

كِتَابُ الْمَكَاوَاةِ

وَحُسْنُ الْعَقَبِي

ابن الداية

أحمد بن يوسف الكاتب

- ٣٤٠ هـ

حققه، وشرحه، وصححه

محمود محمد شاكر

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

كِتَابُ الْمَكَاةِ

جَمِيعُ الْحَقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

كتاب المكافاة

وحسن العقبى

ابن الداية
أحمد بن يوسف الكاتب

٥٣٤٠ -

حققه، وشرحه، وصححه

محمود محمد شاكر

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله

[أبو جعفر ، أحمد بن يوسف بن إبراهيم ، صاحب كتاب المكافأة
وحسن العقبى ، لم نجد من ترجمه إلا ياقوت الحموى فى معجم الأدباء ج ٢ ص
١٥٧ - ١٦٠ . وهذه الترجمة - على عادة شيوخنا رضوان الله عليهم - ناقصة لم
تستوعب شيئاً مما يحقق المترجم معنى الترجمة . وذكر ياقوت فى هذه الترجمة
أباه : « يوسف بن إبراهيم » ، فذكر بعض خبره ، ثم ذكر أحمد بن يوسف ،
وعدد كتبه ، وذكر تاريخ وفاته ، ولم يذكر مولده . ونقل من هذا الكتاب
القستين المذكورتين برقم ١٣ ورقم ٢٦]

كانت أم « يوسف بن إبراهيم » ظئراً ^(١) لإبراهيم بن المهديّ ، أخى
هرون الرشيد ، [ولد إبراهيم بن المهدي سنة ١٦٢] ، وكانت مجددة العهد
ببيت الخلافة . وفى سنة ١٨٠ ولد للرشيد : أبو إسحق محمد بن هرون الرشيد ،
وهو المعتصم أمير المؤمنين ، وفى هذه السنة ولدت أم يوسف ، ولدها
يوسف ، فأرضعته مع المعتصم . لهذا كان يوسف بن إبراهيم يعرف بابن
الدّاية ^(١) ، لمكان أمّه من رعاية إبراهيم بن المهديّ وحضائته وإرضاعه ،

(١) الدّاية والظئر واحد : وهى التى ترضع ولد غيرها وتحضنه

وكان يعرف برضيع المعتصم^(١) ، لمكان رضاعه مع المعتصم وهو سليله
والناشي معه

ونحن نرجح أن يوسف بن إبراهيم نشأ مع أبناء هرون الرشيد حتى
مات الرشيد سنة ١٩٣ . فتخلق بأخلاق بيت الخلافة حتى قال ياقوت عنه :
« كانت له مروءة تامة وعصبية مشهورة » ، ويعنى بالعصبية انتصاره لأهل
بيت الخلافة وتحقيقه بحبهم وخدمتهم . والذي نراه أنه وارع بالحساب والطب
والأخبار والكتابة ، فأخذ عن جبرئيل بن بختيشوع طبيب الرشيد ، وعن
إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت ، وأيوب بن الحكم ، وعن أحمد بن رشيد
الكاتب ، وصحب إبراهيم بن المهدي فأخذ عنه

ثم لم يزل مع إبراهيم بن المهدي حتى صار حاسبه القائم بأمر ضياعه ،
وكاتبه الذي يتولى رسائله وصحبته وأسراره . وقد ذكر ولده أحمد بن يوسف
« ص ١٣٦ » أنه ألف كتاب أخبار إبراهيم بن المهدي . ولكن ياقوت الحموي
خلط في ترجمته ، فذكر أن يوسف ألف كتاباً في أخبار المتطبيين ، واقتصر
على ذلك . وأدخل « كتاب أخبار إبراهيم بن المهدي » و « كتاب الطبخ »
في عدة مؤلفات ولده أحمد بن يوسف صاحب المكافأة . وهذا وهم فاسد ،
فإن نص كلام أحمد بن يوسف في المكافأة « ص ١٣٦ » ، يدل دلالة واضحة
على أن مؤلف هذين الكتابين هو أبوه : يوسف بن إبراهيم . وإنما رواهما

(١) انظر هذا الكتاب ص ١٣٦ ، وأخطأ ياقوت فقال : إنه رضيع إبراهيم بن المهدي

عنه أحمد بن يوسف ، وروى عنه أخبار إبراهيم بن المهدي أيضا: رضوان
ابن أحمد جالينوس الصيدلاني ، ورواه عن رضوان أبو الفرج الأصفهاني ،
وذكر بعض روايته عنه في كتابه «الأغاني» ،

وَمَّا تَرْتَاحَ إِلَيْهِ النَّفْسُ أَنَّ يَوْسُفَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ هَرَبَ إِلَى مِصْرَ أَوْ الشَّامَ ،
فِي الْمَدَّةِ الَّتِي اسْتَتَرَ فِيهَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهْدِيِّ بَعْدَ خِلَافَتِهِ وَمَحَارَبَتِهِ الْمَأْمُونُ ، مِنْ
سَنَةِ ٢٠٣ إِلَى سَنَةِ ٢١٠ ، إِذْ ظَفَرَ بِهِ الْمَأْمُونُ فَأَخَذَهُ وَعَقَا عَنْهُ وَاسْتَبْقَاهُ . فَلَمَّا
رَجَعَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى بَغْدَادَ ، وَعَاشَ بِهَا فِي أَمَانِ الْمَأْمُونِ - رَجَعَ يَوْسُفُ -
وَبَقِيَ مَعَهُ إِلَى أَنْ مَاتَ سَنَةَ ٢٢٤

وَتَزَوَّجَ يَوْسُفُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بِبَغْدَادَ مِنْ بَنَاتِ مَيْمُونَةَ مَوْلَاةِ حَمْدُونَةَ أُمِّ
مُحَمَّدَ بَنَاتِ الرَّشِيدِ ^(١) ، وَهَذِهِ الزَّوْجَةُ لَيْسَتْ أُمُّ «أَحْمَدَ بْنَ يَوْسُفَ» بَغِيرِ شَكٍّ .
وَقَدْ ذَكَرَ أَحْمَدُ بْنُ يَوْسُفَ فِي الْمَكْفَاةِ «ص ٥٦» أَخَا لَهُ لَمْ يَسْمَعْهُ ، فَلَا نَدْرِي
أَهُوَ شَقِيقُهُ ، أَمْ أَخُوهُ أَكْبَرُ مِنْهُ مِنْ بَنَاتِ مَيْمُونَةَ هَذِهِ ؟

وَقَدْ رَوَى يَوْسُفُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ^(٢) أَنَّهُ نَزَلَ دِمَشْقَ سَنَةَ ٢٢٥ عَلَى عَيْسَى بْنِ
حَكَمِ الدِّمَشْقِيِّ الطَّبِيبِ ، فَظَاهَرُ هَذَا أَنَّهُ فَارَقَ بَغْدَادَ بَعْدَ وَفَاةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهْدِيِّ ،
وَلَكِنَّهُ رَجَعَ إِلَيْهَا وَبَقِيَ بِهَا إِلَى مَا بَعْدَ سَنَةِ ٢٢٧ ، وَهِيَ السَّنَةُ الَّتِي مَاتَ فِيهَا الْمُعْتَصِمُ .
وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ خَبْرُ رَوَاهِ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيَّ فِي أَغَانِيهِ ^(٣) ، يَسْتَبِينَ مِنْهُ أَنَّ

(١) ذكر ذلك في المكافاة ص ١٢٧ - ١٢٨

(٢) عيون الأنباء: ج ١ ص ١٢١

(٣) ج ١٤ ص ١٠٦ - ١٠٧

يوسف بن إبراهيم كان ببغداد إلى وفاة المعتصم

فالأرجح إذن أنه رحل من بغداد إلى مصر بعد ذلك ، فقد مات مولاه إبراهيم ، ومات رضيعه المعتصم ، واضطربت الدولة اضطراباً شديداً . وكان هو قد اعتقد من المال ما يسوّغه النعمة في رغد العيش ، فنزل مصر ، وعمل في تقبّل الضياع ، وحسن حاله وظاهره ، كما روى ذلك لولده « ص ١٣٦ » . ويدلّ ما رواه أحمد بن يوسف في المكافأة « ص ١٣٦ » على أن يوسف بن إبراهيم كان من كتاب مصر إلى سنة ٢٥٠ ، فإن حساب ضياعه كان في الدستورات القديمة التي طلبها أبو العباس بن بسطام ليعتبر منها عبر الضياع ، فلما جاء ابن طولون عزله عن ذلك لما يعرف من أسبابه بالحضرة العباسية

ولم يزل يوسف بن إبراهيم بمصر إلى أن جاء أحمد بن طولون إليها سنة ٢٥٤ . فلما استقر أحمد بن طولون بها جعل يحكم أمر دولته ، ويأخذ بأفواه الطرق على كلّ من له سبب إلى الحضرة العباسية ^(١) . فمن ذلك ماجرى بينه وبين ابن مدبر ، ثم ما كان من حبسه يوسف بن إبراهيم في داره . وكان اعتقال الرجل في داره يؤيس من خلاصه - [كما قال مؤلف المكافأة « ص ٢٨ »] ثم أطلقه بعد ذلك

وقد ذكر ياقوت أن يوسف بن إبراهيم كانت له عصية مشهورة ، وهي عصيته لبیت الخلافة ، فلما توفّي بعث أحمد بن طولون خدمه فهاجموا الدار ،

(١) انظر المكافأة ص ٨٨

« وطالبوا بكتبه : مقدرين أن يجدوا فيها كتاباً من بغداد »^(١)، يعنى الخليفة
 فبين أن وفاة يوسف بن إبراهيم كانت ما بين سنة ٢٥٥ وسنة ٢٦٠ ، وهو
 العهد الذى استقل فيه أحمد بن طولون بمصر واشتد فيه فى ضبط المملوك لنفسه
 وولده . وأولى الأقوال بالصواب أن تكون وفاته فى سنة ٢٦٠ أو بعدها بقليل ؛
 فقد روى صاحب المكافأة « ص ٢٩ » ، أن جماعة من مستورى مصر كانوا فى
 مجلس أحمد بن طولون حين قبض على يوسف ، وجاء فى كلامهم أنهم قالوا : « لنا
 ثلاثون سنة ما فكرنا فى ابتياع شيء مما احتجنا إليه ، ولا وقفنا بباب غيره »
 يعنون « يوسف بن إبراهيم » . فإذا صح أنه قد دخل مصر بعد وفاة المعتصم سنة
 ٢٢٧ فلا شك أن القبض عليه كان حوالى سنة ٢٥٨ ، وتكون وفاته بعد ذلك
 بعام أو عامين على الأرجح

والراجح أيضاً عندنا أن يوسف بن إبراهيم تزوج بعد أن دخل مصر سنة
 ٢٣٠ ، وأن أحمد بن يوسف يوم وفاة والده كان كبيراً مدركاً لا يقل عمره عن
 العشرين « انظر المكافأة ص ٥٦ » ، فمولده إذن فيما بين سنة ٢٣٥ وسنة ٢٤٥ ،
 وأقرب ذلك عندى أن يكون مولده فى سنة ٢٤٠ أو نحوها ، وعلى ذلك
 فأحمد بن يوسف عُمر مائة سنة تزيد أو تقل قليلاً [مات أحمد سنة ٣٤٠]
 فأحمد بن يوسف إذن مصرى المولد مصرى المنشأ مصرى المربى ،

تدلُّ على ذلك روايته في كتابه هذا ، فإنه لم يرو عن غيره من المصريين ،
ولم يحدث إلا عن أخبارهم ، أما أخباره الأخرى عن بغداد فهي مما رواه
عن أبيه يوسف

وقد نشأ أحمد في كنف أبيه ، فأخذ عنه ولعه بالكتابة والحساب
والهيئة ، فقد قال ياقوت أنه « أحد وجوه الكتاب الفصحاء ، والحساب
والمنجمين : مجسطى أو قليدسى ، حسن المجالسة ، حسن الشعر ، قد خرج من
شعره أجزاء »

وقد ذكر هو من شعره في كتابه « ص ٢٢ » وفي « ٥٢ » ، وزعم أنه كتب
لأبي الفياض سوار بن أبي شراعة الشاعر جزءاً منه ، فدخل به بغداد ، وعرضه
على جماعة الأحرار ، واشتهر أمره ، حتى كان من ذلك ما قصه هناك من سؤالي
محمد بن سليمان عنه حين دخل مصر

والظاهر أن أحمد بن يوسف لم يل شيئاً من أمر الكتابة في مصر في عهد
أحمد بن طولون ، لما كان يظن بأبيه من بمالة الحضرة العباسية ، فانصرف إلى
ضياعه وضياع أبيه يقوم في أمرها . وكانت ضياعهم هذه في جهة أهناس والبهنسا
وسمسطا في صعيد مصر كما ذكر في « ص ٢١ و ٣٧ » ، وعمل كعمل أبيه في تقبل
الضياع ، وفرغ للتأليف والكتابة

فألف كتاب المكافأة ، وكتاب حسن العقبى [هذا المطبوع] ، ثم كتب
سيرة أحمد بن طولون ، وكتاب سيرة ابنه أبي الجيش خمارويه بن أحمد بن

طولون ، وسيرة هارون بن أبي الجيش ، وأخبار غلمان بني طولون ، وكتاب مختصر المنطق ألفه الوزير علي بن عيسى ، وكتاب الثمرة ، وكتاب أخبار المنجمين . وقد ذكر ياقوت في عداد كتبه : كتاب أخبار الأطباء ، وكتاب الطيخ ، وكتاب أخبار إبراهيم بن المهدي . وهذه الثلاثة هي كتب أبيه بغير شك كما مضى ، وأنا أرجح أن كتاب أخبار المنجمين هو من عمل أبيه أيضاً ، ورواه هو عنه وزاد عليه

* * *

رأيت قبل أن يوسف بن إبراهيم وولده ، كانوا على عهد أحمد بن طولون مظنة النهمة في مراسلة الحضرة العباسية ، ولذلك أخذوا أخذاً شديداً ، وأخيفوا وراعهم ما يلقى أنصار الخلافة العباسية من بطش ابن طولون . واستمروا على ذلك فيما نرجح إلى وفاة ابن طولون في سنة ٢٧٠ وتولى مضر بعده أولاده : خمارويه بن أحمد بن طولون إلى سنة ٢٨٢ ، ثم جيش بن خمارويه إلى سنة ٢٨٣ ، ثم هارون بن خمارويه إلى سنة ٢٩٢ ، ثم شيبان بن أحمد بن طولون وفي عهده انقضت دولة بني طولون . والظاهر أن أحمد بن يوسف كان مجاملاً لهُؤلاء الولاة ، فلم يلق منهم كيداً بعد الذي لقيه هو وأبوه في عهد أحمد بن طولون ، ولذلك عُدَّ من أعوان الدولة الطولونية ، وكذلك توهم هو نفسه

فقد ذكر في « ص ٥٠ » قال : ولما دخل محمد بن سليمان بمصر ، نزل في

ظاهرها ، واستدعى الواحد بعد الواحد من أسباب الطولونية ، فاستصفي ماله بالسوط وعظيم الإخافة ، فراعنى أمره ، وخفت أن يلحقنى عسفه ، ، فلولا ما كان من اشتماله على المداينة لولا الطولونية لما خاف هذا الخوف ، ولما استتر وتخفى من أصحاب دميانة البحرى ^(١) الذى وكله محمد بن سليمان باستباحة مضر ، فنهبا أصحابه وأخذوا الأموال ، واستباحوا الأعراض ، [قال صاحب النجوم الزاهرة] : « ثم تعدّوا إلى أرباب الدولة وأخرجوهم من دورهم وسكنوها كرهاً ، وهرب غالب أهل مصر منها ، وفعلوا فى المصريين ما لا يفعلونه فى الكفرة ، وأقاموا على ذلك أياماً كثيرة مصرّين على هذه الأفعال القبيحة »

كان ذلك فى سنة ٢٩٢ ، ولكن أحمد بن يوسف يقصّ علينا فى « ص ٥٠ - ٥٢ » كيف انتهى أمره مع محمد بن سليمان ، وكيف أجاره وحفظه ورعاه ، وكان أفضل عون له فى أموره « ص ٥٢ » ، وأنه ملحقه شئ يكرهه حتى انصرف عن البلد « ص ٥١ »

وكان محمد بن سليمان هذا كاتباً ، وكان لا يسمّى باسمه ولا بكنيته ، وما كان يدعى إلا بالأستاذ ، وقد كان أعظم ماعطفه على أحمد بن يوسف مارواه من شعره فاستحسنه ، حتى قال له : « والله لقد اشتقت الدخول إلى مضر من أجلك ! » « ص ٥٢ » . هذا ، على ما يروى من أن حكمه فى أهل مصر كانه

(١) انظر المكافاة صفحة ٢٤ و ٢٥ »

بضرب أعناقهم ، وقطع أيديهم وأرجلهم ، وتمزيق ظهورهم بالسياط ، وصَلَبهم
على جذوع النَّخْل ، ونحو ذلك من أصناف النكال . وحتى إنه شَرَّد رجال
الدولة الطولونية ، ولم يبق بمصر منهم أحد يذكر ، وخلت الديار وعفت
الآثار ، وزالت الدولة الطولونية على يديه ، وكانت إقامته بمصر أربعة أشهر
إلى مستهل رجب سنة ٢٩٢

وعاش أحمد بن يوسف بعد انقضاء الدولة الطولونية في ظِلِّ الولاية على
ترتيبهم إلى ولاية الإخشيد ، ثم أنوجور بن الإخشيد ، ومات في السنة السادسة
من ولايته سنة ٣٤٠ . ولسنا نعرف على التحقيق شيئاً عن حياته في ظِلِّ هذه
الدول ، ونستثنى صلته بالوزير علي بن عيسى بن داود بن الجراح الكاتب
البغدادى . فإنه أَلَّفَ له كتاب مختصر المنطق ، كما مضى ذكره . وكان علي بن عيسى
قدم من مكة إلى مصر ليكشفها في سنة ٣١٣ وبقى بها ثلاثة أشهر ، ثم خرج عنها
إلى الرملة ، وعاد إلى بغداد . ولم نجد في كتابه هذا [المكافأة] ، ما يدلُّ على شيءٍ
من حياته وتصرفه في أعماله في حُكْم الولاية من سنة ٢٩٢ إلى سنة ٣٤٠ ، ولعلَّه
أقام واستقرَّ وانقطع في بعض ضياعه ، وكان دخوله الفسطاط قليلاً



كَانَ عصر الدولة الطولونية في مصر من أحسن عصورها في ذلك التاريخ ،
ولذلك أفردَه أحمد بن يوسف بالتأليف كما ذكرنا قبل . وهذه الكتب التي كتبها
في سيرة الدولة الطولونية ، هي التي خلدت ذكره ، وسمَّته بالكتابة ،

وجعلت قوله مشهوراً في تاريخ هذا العصر

وليس بين يدي الآن شيء مما كتبه في سيرة ابن طولون، وقد بقي منها جزء، فأراني غير مستطيع أن أكتب عن حقيقة أسلوب الرجل في التاريخ والرواية وتحرير القول. ولكن كتاب المكافأة أغنى بعض الغناء في البيان عن شيء من ذلك

فقد ساق أحمد بن يوسف كتابه هذا على مدرجة من القول في المكافأة على الحسن والقيس، وحسن العقبي في الصبر والتشدد ونفي الجزع عن النفس، وهو في أكثره يروي الخبر عن حدثه به أو يصوغ في عبارته حكاية مألقيه أو شاهده أو استخرجه

وهو في بيانه قليل التكلف، قريب اللفظ، بعيد عن الغموض. وسهل له ذلك أنه بفطرته محدثٌ بارع، أو كما قال ياقوت: «حسن المجالسة». فكانت سياقة كلامه في كتابته أشبه بالحديث منها بالكتابة. وهو إذا عرض لغرض أبان عنه بوضوح وترتيب وتسويق، ثم هو في خلال ذلك جزل الرأي، مُحْكَم الفكرة، قريب الغور

وسبب ذلك أن أحمد بن يوسف كان صاحب منطق، وحساب وهندسة، كما رأيت، ومن طبيعة التحقق بدراسة هذه العلوم أن تجعل الرأي جزالة وإحكاماً ليست لغيره من عدم النظر فيها والتمرس بها. وقد صدق الشافعي رضي الله عنه إذ يقول:

« من تعلم القرآن عظمت قيمته ، ومن نظر في الفقه تبّل مقداره ، ومن
كتب الحديث قويت حجته ، ومن نظر في اللغة رقى طبعه ، ومن نظر في الحساب
جزّل رأيه ، ومن لم يُصن نفسه لم ينفعه عليه » . ولم يخل أحمد بن يوسف
من أكثر ذلك

وقد اعتمد أحمد بن يوسف فيما يقصّه أن يتبع رأى الجاحظ في رواية
بعض القول على وجهه كما يجري في الحديث ، غير مستنكر أن يكون فيه اللحن
والخطأ في اللغة ، مادّل ذلك على حكاية لفظٍ يختل حاله إذا أزيل عن الوجه
الذي نطق به

ومع ذلك ، ومع ما عرف عنه من حُسن المجالسة ، فإنّه كان ركيناً ثابتاً
قليلَ الحظ من الفكاهة والسخرية والعبث ، فقد جرى في كتابه بعض ما لو
أزيل قليلاً عن وجهه لكان غاية في استدعاء الضحك واستخراج الهزأة ،
ولكنه كان يعدل عن ذلك لقلة حظّه من اللهو ، وكأنّ ذلك كان الأدب
الذي أدبه به أبوه من آيين^(١) بيوت الخلفاء ، ثم ما لقي من الأحداث الكثيرة
المفرعة التي كانت تنفي عنه أفراده ونشاطه للهو ، ثم لما لعله كان فيه من الحرص
الذي هو شيمة أصحاب التقبل بالضياع والأموال وما شاكلها ، وما لازمه مع ذلك
من الخوف من أول حياته ، كما رأيت من خبره يوم وفاة أبيه وما تبع ذلك ، ثم
طبيعة النفس وانصرافها إلى الفكر في علم الحساب والنظر في الهيئة

(١) الآيين : هو قريب مما نسميه الآن « الإتيكيت » ،

وقد استعمل أحمد بن يوسف في كتابه هذا كثيراً من الألفاظ المصرية التي لا تزال باقية إلى يوم الناس هذا ، وعرض بعض العادات القديمة التي لا تزال تنحدر إلينا من ذلك العصر ، ولكنه كان قليل الحفل بالبيان عنها وكشفها ووصفها واستيعاب القول فيها . وذلك لأنه كان يرمى إلى غرض بعينه ، فلم يسر في قصصه سيرة الجاحظ في الاستطراد والتوسع ، وتشقيق المعاني العارضة في وجوه كثيرة . وكأن ما تَعَوَّده من الضبط في الحساب ، هو الذي حمَّله على الضبط في الحديث ، ولو فَعَلَ لكان في كتابه بعض التاريخ الاجتماعي الضائع للعصور العربية الزاهرة التي لا نعرف إلا بعض رسمها وأشتاتها من صفاتها

وبعد ، فهذا غاية ما أعان عليه الوقت ، وهو ما هو ، من ترجمة أحمد بن يوسف ، فإن تسكن في العمر بقية ، نأت في ترجمته بما يعين الله عليه ، مع التحرير والضبط والتفصيل بعد الإجمال . وبالله التوفيق ، ومنا العجز والتقصير ؟

محمد مجدي شكري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أخبرنا أبو محمد عبد الله الفرغاني، قراءةً مني عليه، قال :
نأخبرنا أبو جعفر أحمد بن يوسف الكاتب، قراءةً مني عليه، قال :

سَدَّدَ اللَّهُ فِكْرَكَ ، وَأَحْسَنَ أَمْرَكَ ، وَكَفَّاكَ مُهِمَّكَ
إِنَّ أَشَدَّ عَلَى الْمُتَمَتِّحِينَ مِنْ مِخْنَتِهِ ، عُدُوْلُهُ فِي سَعْيِهِ عَنْ مَصْلَحَتِهِ ،
وَتَنَكُّبُهُ الصَّوَابَ فِي بُغْيَتِهِ . وَلِكُلِّ وَجْهَةٍ مِنَ الْجَدْوَى مَا تَنَى
تَسْتَنْزِلُ بِهِ عَوَائِدُهَا ، وَيَقْرُبُ مَعَهُ مَا اسْتَصْعَبَ مِنْهَا ، يَسْتَنْبِرُهُ
حُسْنُ الرَّوِيَّةِ ، [وَيَهْدِي إِلَيْهِ] صَالِحُ التَّوْفِيقِ
وَقَدْ رَأَيْتَكَ لَا تَزِيدُ مَنْ رَغِبْتَ إِلَيْهِ - فِيمَا تَحْدُوهُ عَلَى بَرِّكَ ،
وَتَحْتُهُ لِمَا أَغْفَلَ مِنْ أَمْرِكَ - عَلَى نَصِّ مَكَارِمَ مَنْ سَلَفَ ^(١) . وَتَرَى
أَنَّهُ يَهْشُ إِلَى مُسَاجَلَتِهِمْ ، فَلَا تَبْلُغُ فِي هَذَا أَكْثَرَ مِنْ إِحْرَازِ الْفَضِيلَةِ
لِلرَّغُوبِ إِلَيْهِ ، وَلَا تُوجِدُ فِي الرَّاغِبِ فَضِيلَةً تَحْتُهُ عَلَى شَفِيعِ
قَصْدِهِ ^(٢) . وَلَوْ عَدَلْتَ عَنْ مَكَارِمَ مَنْ رُغِبَ إِلَيْهِ ، إِلَى حُسْنِ مُكَافَأَةِ
مَنْ أُنْعِمَ عَلَيْهِ ، لَكَانَتْ لَكَ ذَرَائِعُ يَمْتُ ^(٣) بِهَا الرَّاغِبُ ، تُوجِدُ

(١) نص الشيء ، ينصه : رفعه وأظهره

(٢) شفييع قصده : هو المكافأة والشكر

(٣) يمت : إليه ، يمت : توسل إليه

المرغوبَ إليه سبيلاً إلى الإِنعام ، وتَفَسِّح أَمَلَهُ في مُوَاطَرَةِ
الإِحسان ^(١)

ولم يُؤْتَ الجودُ من هَاتِي هُوَ أَغْمَضُ من مُغَادِرَةِ حَسَنِ
المُكَافَأَةِ . ولو أُنعمتَ النَّظَرَ فيها : لَوَجَدْتَهَا أَقْوَى الأسبابِ في
تَمَنُّعِ القاصِدِ ، وَحيرةِ الطالبِ . ولو كانت تُوجَدُ مع كُلِّ فعلٍ
آسَتْحَقُّهَا ، لَأَثَرَ النَّاسُ قاصِدِيهِمْ على أَنْفُسِهِمْ ، وَلَجَرَوْا على الشَّنَةِ
المَأْثُورَةِ عَنْهُمْ

[وقد كُتِبَتْ لَكَ] في هذه الرسالة أخباراً - في المُكَافَأَةِ على
الحَسَنِ والقَبِيحِ ، مُتَّعِمٌ ^(٢) الخاطرَ ، وتَقَرُّبُ بُغْيَةِ الرَّاغِبِ -
مِمَّا سَمِعْنَاهُ عَنْ تَقَدُّمِنَا ، وشَاهَدْنَاهُ بَعْضِرْنَا ، وبِاللَّهِ التَّوْفِيقِ



(١) المِوَاطَرَةُ : المتابعة

(٢) في الأَصْلِ : دَعَمَ ،

١ - المكافأة على الحسن

١ - حدثني أبو محمد يحيى بن الفضل ، عن عبد العزيز بن خالد ، خالد القسري
الأموي ، عن أبيه خالد ، قال : أخبرني محارب بن سامة وديوانياته
كاتب خالد القسري :

« أن ديوانيان خالد^(١) أخرج من ديوانه وثيقة على بعض
المتضمنين^(٢) فدفعها إليه ببرّ تعجّله منه . فدعا به خالد وأمر بقطع
يده بين يديه ، فقال له : « استبقي ، أوصح الله الأمير ! » ، فقال :
« وما يكون من مثلك ؟ » ، فقال له : « إن لم يُقدّر في الزمان رفعتي إلى
منزلتك ، فلا تأمنه على خطك إلى منزلي ، فيكون مني
ما تحمده ! » ، فقال خالد : « أطلقوه ففيه عظيم^(٣) »

فلم يمضِ حَوْلٌ حتى وردَ العراق يوسف بن عمر متولياً لعمله
فحبسه في حُجرة من ديوانه ، ووكل بباب الحُجرة جماعة . فتدسّس
الديوانيان حتى دخل في جملتهم ، وتلطّف للجماعة حتى رأوها
بالخبرة وحسن المداخلة . وتحرّم^(٣) خالد طعام يوسف بن عمر
- خوفاً من أن يكون مسموماً - فطوى^(٤)

(١) الديوانيان : صاحب الديوان وحافظه

(٢) المتضمن : الكفيل الذي يتحمل بأموال الضياع وخراجها وأدائها
لبيت المال

(٣) تحرّم الطعام : أمسك عنه فلم يقربه

(٤) طوى : تعمد أن لا يأكل ولا يشرب

وتأمل من ذلك الديوانيان ، فجعل في منديل نظيف ما يكف
جوعته من طعام قد تأتق فيه ، ودخل إليه كالمستجس عن حاله ،
فقال له : « أنا الديوانيان الذي عفوت عنه ، وهذا طعام تأمن فيه
ما تخافه من غرة ^(١) . فأقام أياماً يأتيه من طرائف الأطعمة
والفواكه ما ينسى به وحشته ، ويكف فاقته ، ثم دخل إليه فقال :
« ليس هذا الذي أفعله مقدار ما يقتضيه إحسانك إلي ؛ وقد
استأجرت الدار التي في هذه الحجرة ^(٢) ، وأحضرت قوماً أثق بهم
من حذاق النقاين ، حتى نقبت سرباً إلى موضعك ^(٣) ، ولم يبق إلا
أن تركض بعض بلاط هذا المجلس ركضة فتفضي إلى السرب ^(٤) .
وقد أعددت في الدار نجيبين ^(٥) أحدهما لك والآخر لي ،

فلما صلى الديوانيان العصر أغلق الباب ، ومضى إلى الموضع
المكترى ^(٦) ، وتركض خالد الموضع وخرج من السرب ، وركبا
نجيبهما وحثا المسير . فما فطن بخالد إلا في غد ذلك اليوم ، فطلبتة
الحيل والتجرب ^(٧) فقأتها . ولم يزل يوضع ^(٧) في البلاد حتى لحق

(١) الغرة . الخديعة ، وفي الأصل : « في غرة ،

(٢) الحجرة : الناحية

(٣) السرب : الطريق الخفي ، السرداب

(٤) ركض الشيء برجله : ضربه

(٥) النجيب : الخفيف السريع من الإبل ، والجمع نجب

(٦) اكترى الموضع : استأجره

(٧) أوضع في الأرض : أسرع

مسئلة بن عبد الملك ، فشفع له إلى هشام وردّه إلى عمله

٢ — وحدثني هارون بن علول ، قال :

ابن مرزوق
ومتضمن

« كنت عند أحمد بن خالد الصريفيّ - وهو يتولّى الخراج بمصر ،
ووجوها عنده ، وقد أكبّ على حاصل ما استخرج في أمسه ، وهو
يقابل به ثبّت المصادرة ^(١) - ، فقال لصاحب حمّالته ^(٢) : « ما أرى
أسم فلان المتضمّن في هذا الحاصل ، وقد صادرتنا بالأمس على
خمس مائة دينار ؟ » فقال : « ما صحّ له شيء ! » فقال : أبعث إليه من
يسجّبه صاغراً حتى يحمله على خُطّة المطالبة ^(٣) ، فقال له رجل من
المتضمّنين يُعرف بما شاء الله بن مرزوق : « الخمس المائة - أيّدك
الله - تصحّ لهذا الرجل في هذه العشية إن شاء الله ، إن أعفى بما قد
أمرت به فيه » ، فقال : « هي عليك ؟ » ، فقال : « نعم ! » ، فتقدّم إلى ^(٤)
صاحب الحمالة ألاّ يعرض له . فالتفت إلى ما شاء الله فقال :
« تعرف هذا الرجل ؟ » ، فقلت : « نعم ! ومن العجب ألاّ تعرّفه ! » ،

(١) الثبّت : الفهرس أو الدفتر (أو ما نسميه الآن الكشف)
صادرت فلانا من حسابي على كذا ، وفارقته ، إذا قطعت الأمر بينك
وبينه على أمر وقع عليه اتفاقكما

(٢) صاحب الحمالة : من أعمال بيت المال ، وكأنها وظيفة القائم
بحساب المتضمّنين

(٣) هذه العبارة كثيرة الورد في كتب هذا العصر ، ويراد بها
التعذيب للمطالبة ، على طريقهم في ذلك
(٤) تقدّم إلى فلان بكذا : أمره به

فقال : « يا أخى أمر فى رجل يجرى بحراًنا فى معاشنا بما لم أطق والله احتماله ، وعندى ضعف ما طوِّب به ، وكانت صيانتُهُ أحبَّ إلىَّ مما حَوِيَّتُهُ . فإذا لَقِيْتَهُ فعَرِّفه أُنّى أورد المالَ عنه لئلاَّ يُورد المالَ مُضَعَّفاً ،

وأنصرفتُ من مجلس أحمد بن خالد ، فلقيتُ الرجلَ فى طريق ، وهو مجذود^(١) ، فسألته عن خبره وأخبرته الخبر ، فقال : « يا أخى ! وما فى هذا من الفرج ؟ إنما انتقلتُ من غمٍّ إلى رِقٍّ ! ومتى أقضى إلى هذا الرجل إحسانه إلىَّ ؟ والله لو دِدْتُ أن أمرَ السلطانَ نَفَذَ فىَّ ، ولم أتحمَّل هذه العارَفة منه^(٢) ! »

قال أحمد بن يوسف ، فقال لى هارون : « وحضرتُ [موت] ماشاء الله بن مرزوق بعدَ هذا بأربع سنين - فى الوقت الذى تُوفى - فأتَّفَق أن كان إلى جانبى رجلٌ قد ألقى بعضَ رِداءه على وجهه ، وهو يَعيجُ بالبكاءِ والشهيق^(٣) ، ثم كَشَفَ وجهه فكان الرجلُ الذى أوردَ ماشاء اللهُ عنه الخمسَ مائةَ الدينار . فقال : « مَنِ الوَصَّى من جماعتكم ، فقال له الوصَّى : « ها أنا ذا ! » ، فقال : « عندى لهذا الرجل رحمة الله ألفا دينارٍ وخمُسُ مائةَ دينار » ، فقلتُ له : « حدثتُ بينكما مُعاملةً بعدى ؟ » ، فقال : « لا والله ، ولكنها الخمس مائةَ الدينار ، صرْتُ بها إليه عندَ تَيْسُرِها فقال : « وما [أُبغى بها] ؟ تكون عندك

(١) يريد أنه صاحب حظ وجدّ

(٢) العارَفة : المعروف

(٣) عَجَّ يَعيجُ : رفع صوته بالبكاء أو الدعاء

إِلَى أَوَانٍ حَاجَتِي إِلَيْهَا ، . فَسَأَلْتُهُ [الإِذْنَ] فِي شَعْلِهَا . فَقَالَ : « هُوَ
حَالُكَ ، اَعْمَلْ بِهِ مَا شِئْتَ ، فَلَمْ تَزَلْ تَنْمِي وَتَزِيدُ حَتَّى بَلَغْتَ هَذَا
الْمَقْدَارَ . فَقَالَ هَارُونُ : « وَوَجَدْتُ مَا خَلَفَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ لِبَنَاتٍ كُنَّ
مَعَهُ شَيْئًا نَزْرًا ، فَخَبَرَهُنَّ اللَّهُ بِذَلِكَ الْمَالِ ،

ابن دعيم
وأعرابي

٣ - وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ دُعَيْمٍ - وَكَانَ مِنْ خَاصَةِ قُوَادِ أَحْمَدَ بْنِ
طُولُونَ - بَعْدَ أَنْ تَرَكَ الدِّيْوَانَ ، وَحَسُنَ انْقِطَاعُهُ إِلَى اللَّهِ ، قَالَ :
« قَلَدَنِي أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ الصَّعِيدَ الْاَوْسَطَ . وَخَرَجَ عَلَيْهِ سَوَّارٌ
أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعُمَرِيُّ ^(١) ، فَكُتِبَ إِلَيَّ يَسْتَخْبِرُنِي عَنْ حَالِهِ ،
فَأَعْلَيْتُهُ ضَعْفَ يَدِهِ ، وَانْتَشَارَ أَمْرُهُ لِقَلَّةِ الْمَالِ . وَقَبِضْتُ عَلَى
رَئِيسٍ مِنَ الْأَعْرَابِ اتَّهَمْتُهُ بِمَكَاتِبَتِهِ وَأَنْهَيْتُ خَبْرَهُ إِلَيْهِ . فَكُتِبَ
إِلَيَّ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ : يَا أُمُرُنِي بِحَمْلِ الْأَعْرَابِيِّ ، [وَجَمْعٍ] مَا قَدَرْتُ
عَلَيْهِ مِنَ النَّجْبِ ، وَالشُّخُوصِ إِلَيْهِ ؛ لِيَقِفَ مِنْ مُشَافَهَتِي عَلَى مَا لَا
تَبْلُغُهُ الْمَكَاتِبَةُ . فَامْتَلَتْ أَمْرَهُ

فَمَا سِرْتُ مَرَحَلَةً حَتَّى لَحِقَ بِي وَجُوهُ تِجَّارِ الْعَمَلِ ، وَمَعَهُمْ
شَابُّ أَعْرَابِي ، وَقَالُوا إِلَيَّ : « جِئْنَاكَ فِي أَمْرِ هَذَا الْأَعْرَابِيِّ الْمَحْمُولِ ،
فَإِنَّ مَعَنَا مِنْ يَبْذُلُ فِي إِطْلَاقِهِ خَمْسَ مِائَةِ دِينَارٍ ، فَقُلْتُ لَهُمْ : « قَدْ
أَنْهَيْتُ أَمْرَهُ إِلَى الْأَمِيرِ ! » ، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ الَّذِي مَعَهُمْ : « فَخُذْ

(١) فِي الْأَصْلِ : « الْقُرْنِي » ، وَهُوَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

عَبْدِ الْحَمِيدِ ، مِنْ وَلَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ

الخمس مائة على أن تجعلني مكانه ، ؛ قلت : « أفعل » . فأحضرت
الأعرابي ؛ وكان من عشيرتي ؛ فقات له : « والله لقد كنت مغموماً
بك حتى سرتني خلاصك ! » ؛ قال : « بماذا تخلصت ؟ » ؛ فقلت : « بذل لي
رجل خمس مائة دينارٍ على أن يكون مكانك وأطلقك ! »

فقال : « ومن هذا الرجل ؟ » ؛ فأحضرتَه إياه . فلما رآه قال :
« أَمْضِ لِسَانُكَ » ، ثم التفت إلي فقال : « يَحْسُنُ بِشَيْخٍ مِثْلِي أَنْ يَتَرَبَّحَ
فِي الْمَعْرُوفِ ؟ هَذَا رَجُلٌ لَقِيْتُهُ وَقَدْ أَكَبَّتْ عَلَيْهِ خِيْلٌ لَتَسْلُبَهُ ثِيَابَهُ
وَمَا كَانَ مَعَهُ ، ففَرَّقْتُهَا عَنْهُ حَتَّى تَخْلَصَ ، فَرَأَمَ أَنْ يُخَلِّصَنِي بِحَصُولِهِ فِي
مَوْضِعٍ لَا يَخْرُجُ مِنْهُ أُخْرَى اللَّيَالِي ، وَ [هُوَ] غَرْمٌ ثَقِيلٌ عَلَى مِثْلِهِ .
وَاللَّهِ هَذَا مِمَّا لَا أَقْبِلُهُ وَلَا أَزْكُنُ إِلَيْهِ » ، فقلت له : « أَنْصَرَفَ فِي حِفْظِ
اللَّهِ فَقَدْ رَضِيَ الرَّجُلُ » ، فقال : « وَاللَّهِ إِنَّ أَمْضَيْتَ هَذَا لَا لِحَقِّكَ » ،
وَلَا تُخْبِرَنَّ الْأَمِيرَ بِصَدِيقِكَ » ، فتوقفْتُ ، وبكى الأعرابي فقال : « إِذَا
كَانَ نَحْبِسُ الْأَمِيرِ عَلَى مَا تَصِفُ ، وَلَيْسَ تَرْجُو خِلَاصاً مِنْهُ ؛ فَمَا أَعْمَلُ
فِي عَارِقِكَ عِنْدِي ؟ وَأَنَا أَنْشُدُكَ اللَّهَ لَمَّا قَبِلْتُ مِنِّْي مَا بَذَلْتَهُ وَأَعْظَمَ
مِنْهُ ؛ وَأَزَلْتَ هَذِهِ الْعَارِقَةَ عَنْ عُنُقِي ؛ فَإِنَّ عَارَأً وَنَقِصَةً عَلَى الْكَرِيمِ
أَنْ يَمُوتَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ مِنْ دِيُونِ الْمَعْرُوفِ » ؛ فقال له : « إِذَا رَأَيْتَ
رَجُلًا أَحَاطَ بِهَ خَيْلٌ تُرِيغُ سَلْبَهُ ^(١) فَذُدَّهَا عَنْهُ ؛ فَقَدْ كَفَأَتْ عَارِقِي ؛
أَنْصَرَفُ مُصَاحِباً ^(٢) . فَعَرَضَ عَلَيْهِ مَامَعَهُ مِنَ الْمَالِ ؛ فَقَالَ : « مَا بِي إِلَيْهِ .

(١) تريغ : تريد وتحتال

(٢) مصاحباً : تصحبك السلامة

حاجة!»، فأكبَّ على رأسه ورجليه يقبلُها ويُبكي؛ فأبكى جماعتنا فلما دخلتُ على أحمد بن طولون شافهته من خبر العُمريِّ بما سرَّه؛ وعَرَضت عليه النُجْب؛ فقال: «حسنة والله»؛ فقلت: «معى أيها الأميرُ ما هو أحسنُ من هذا»، وحدثته الحديثَ. فأحضر الأعرابيَّ وخَلَعَ عليه وأثبتته في ديوانه، وأمرني بإفادِ رسولِي معه في الأعرابيِّ الآخر، فلما وافى خَلَعَ عليه وأثبتته. فلم يزل في خاصته إلى وفاته

أبو مصلح
ومحبوس

٤- وحدثني موسى بن مصلح المعروف بأبي مصلح - وكان هذا

من الثقات عند أحمد بن طولون -

أنَّ أحمد كان بُراعى أمر المحبوس حتى يَمْضَى له حَوْلٌ^(١)، فإذا جازه لم يذكره. وكان يقولُ لي سِرًّا: «إذا تبيَّنت من رجلٍ براءة ساحة فسَهِّلْ عليه واستأْمِرْني^(٢)؛ فإنِّي أَسْتَعْمِلُ التَّشَدُّدَ لِلضَّرُورَةِ إِلَيْهِ، قال موسى بن مصلح: «وكان في الحبس رجل قد زادَ على سنتين منقطعاً إلى الله برغبته؛ لا يسأَلُنا شيئاً من أمره؛ وهو يُكَبِّ على الصلاة والتَّسْبِيح والتَّضَرُّع إلى الله

فقلتُ له يوماً: «النَّاسُ يضطربون في أمورهم؛ ويسألوني إطلاقَ الرُّقعة^(٣) إلى ذَوِي عَنَايَاتِهِمْ؛ وأنتَ خارجٌ عن جُمْلَتِهِمْ؟»، فجَزَّاني

(١) الحَوْل: السنة

(٢) استأْمِرْه: شاوره

(٣) إطلاق الرُّقعة: يعني إرسال الرسائل

الخمسة مائة على أن تجعلني مكانه ، ؛ قلت : « أفعل » . فأحضرت
الاعرابي ؛ وكان من عشيرتي ؛ فقالت له : « والله لقد كنت مغموماً
بك حتى سرتني خلاصك ! » ؛ قال : « بماذا تخلصت » ؛ فقلت : « بذل لي
رجل خمسة مائة دينارٍ على أن يكون بمكانك وأطلقك ! »

فقال : « ومن هذا الرجل ؟ » ؛ فأحضرتَه إياه . فلما رآه قال :
« أمض لشأنك » ، ثم التفت إلي فقال : « يحسنُ بشيخٍ مثلي أن يترجى
في المعروف ؟ هذا رجلٌ لقيته وقد أكتب عليه خيلٌ لتسلبه ثيابه
وما كان معه ، فقرقها عنه حتى تخلص ، فرام أن يُخلصني بحصوله في
موضعٍ لا يخرج منه أخرى الليلي ، و [هو] غرمٌ ثَقِيلٌ على مثله .
والله هذا مما لا أقبله ولا أُرْكَنُ إليه » ، فقلت له : « أنصرف في حفظ
الله فقد رضى الرجل » ، فقال : « والله إن أمضيت هذا لا لحقنك ،
ولا أخبرن الأمير بصديعك » ، فتوقفت ، وبكى الاعرابي فقال : « إذا
كان تحبس الأمير على ما تصف ، وليس ترجو خلاصاً منه ؛ فما أعمل
في عارقتك عندي ؟ وأنا أنشدك الله لما قبلت مني ما بذلته وأعظم
منه ؛ وأزلت هذه العارقة عن عُنُقِي ؛ فإن عاراً ونقيصةً على الكريم
أن يموت وعليه دين من ديون المعروف » ؛ فقال له : « إذا رأيت
رجلاً أحاطت به خيلٌ تُريغ سلبه ^(١) فذدتها عنه ؛ فقد كافأت عارقي ؛
أنصرف مصاحباً ^(٢) . فعرض عليه مامعه من المال ؛ فقال : « ما بي إليه

(١) تريغ : تريد وتحتال

(٢) مصاحباً : تصحبك السلامة

حاجة ١»، فأكبَّ على رأسه ورجليه يقبلُها ويبيكي؛ فأبكي جماعتنا فلما دخلتُ على أحمد بن طولون شافهته من خبر العمريِّ بما سره؛ وعَرَضت عليه النُجب؛ فقال: «حسنة والله»؛ فقلت: «معى أيها الأميرُ ما هو أحسنُ من هذا»، وحدثته الحديثَ. فأحضر الأعرابيَّ وخلَعَ عليه وأثبتَه في ديوانه، وأمرني بإنفاذِ رسولي معه في الأعرابيَّ الآخر، فلما وافى خلَعَ عليه وأثبتَه. فلم يزل في خاصته إلى وفاته

أبو مصلح
ومحبوس

٤ - وحدثني موسى بن مصلح المعروف بأبي مصلح - وكان هذا

من الثقات عند أحمد بن طولون -

أنَّ أحمد كان بُراعى أمر المحبوس حتى يمضى له حولٌ^(١)، فإذا جازه لم يذكره. وكان يقولُ لي - سرًّا: «إذا تبَيَّنْتُ من رجلٍ براءة ساحة فسَهِّلْ عليه واستأْمِرْني^(٢)؛ فإنِّي أَسْتَعْمِلُ التَّشْدُّدَ لِلضَّرُورَةِ إِلَيْهِ» قال موسى بن مصلح: «وكان في الحبس رجل قد زادَ على سنتين منقطعاً إلى الله برغبته؛ لا يسأَلُنا شيئاً من أمره؛ وهو يُكَبِّ على الصلاة والتَّسْبِيح والتَّضَرُّع إلى الله

فقلتُ له يوماً: «النَّاسُ يضطربون في أمورهم؛ ويسألونني إطلاق الرُّقعة^(٣) إلى ذَوِي عَنَايَاتِهِمْ؛ وأنتَ خارجٌ عن جُمْلَتِهِمْ؟»، فجَزَّاني

(١) الحول: السنة

(٢) استأمره: شاوره

(٣) إطلاق الرقعة: يعني إرسال الرسائل

خيراً^(١). ورَقَّ قلبي عليه وكُبر في نفسي محله، فخلوتُ به وقلت له: «لو استجرتُ إطلاقك بغير إذنٍ لفعلتُ؛ ولكن استعين بي في أمرِك». فقال: «والله ما أعرف في هذا البلد غيرَ أبي طالب الخليل - وكان هذا الرجلُ يتولَّى شُرطتي أحمد بن طولون بمصر - ولو وصلتُ إليه سرّاً؛ أو برسالة مع من^(٢) يفهم؛ لرجوتُ تسهيلَ أمري، فقلت له: «والله لا تينَّ في أمرِك ما أخطر به على نفسي. أنا أُطلقك سرّاً على أن تُوثِّقني بأيمانٍ مُحرَّجة أنك لا تهربُ عني ولا تُخفِرُنِي»^(٣)، فقال: «إذا كنتُ عندك بمنزلة مَنْ يُشكُّ فيه؛ فلا حاجة لي بإخراجك إياي». فوافقته - من غير يمينٍ آرتهنتُ بها - على أن يقيمَ ثلاثة أيام، فأطلقته ليلة الجمعة، وفارقته على أن يصيرَ إلى ليلة الاثنين

فلما كان سحرُ يوم السبت، وافاني كما فتحتُ^(٤) باب السجن، فلما دخلَ سجدَ وحمدَ الله، وقال لي: «بعثتُ إلى أبي طالب الخليل - امرأة من أهلنا وطويئتُ عنه إطلاقي، وسألته أن يلطف في أمري فوعَدَ بذلك، وخلفَ المرأة حتى ترجعَ إليَّ بالجواب. وركبَ إلى

(١) جزاه خيراً: قال له، «جزاك الله خيراً».

(٢) في الاصل: «من».

(٣) أخفر ذمتي: نقضها.

(٤) كما فتحت: يريد (حين فتحت) وقد ورد هذا الحرف في كثير

من كتب هذا العصر؛ وانظر هذا في آخر القصة (٦٨)

الأمير عَشِيَّةَ الْجُمُعَةِ ، فأقام إلى قريب من العَتَمَةِ ، ثم أنصرفت
إلى المرأة فقالت : « وافي أبو طالب الأمير وهو مغموم ، فقال لي :
« كَلَّمْتُهُ فِيهِ فَقَالَ : « وَاللَّهِ لَقَدْ أَذْكَرْتُ رَجُلًا يَحْتَاجُ إِلَى عُقُوبَةٍ ! » ،
ثم تقدم إلى رجلٍ أن يصير بك إليه عند جلوسه في يوم السبت ،
بوجه إلى أن أرجع إلى الله عز وجل في أمرك ، فليتني لم أتكلم
فيك ! » . فَسِحِرْتُ ^(١) - مع ما تيقنته في أمري - خوفاً أن يأتيك
رسوله فلا يحدني ، فيحقق مكروته منه . ورأيت كل ما يوعدني
به أسهل عليّ من أن أخفر ظنك بي ، وتقديرك في ،

فما ترَجَّلَ النهارُ ^(٢) حتى وافي الرجل فتسلله مني . وحضرتُ
الدار - وقد أحضره أحمد بن طولون ، ومجلسه بين الخاص والعام -
فلما رآه بكته بالإجلاب عليه في الثغر ^(٣) . فاعتذر بعذر قبيله ،
ولقيه بالرافة ، بضد ما خفته عليه ، وأطلقه . فكان من آثار إخواني
عندي ^(٤) إلى أن فرقت الأيام بيني وبينه »

ابن أسباط
والخناق

٥ - وحدثني عمي إسحاق بن إبراهيم ، قال :

(١) سحر : بكر في السحر

(٢) ترجل النهار : ارتفع ، كما يرتفع الرجل عن الصبا

(٣) أجلب عليه : أعان عليه عدوه ، والثغر : موضع الخفاة من

أطراف البلاد

(٤) من آثارهم : أي من أحبهم وأقربهم

« انتظرتُ أبا عبد الله الواسطى - كاتب أحمد بن طولون -
 فى داره ، حتى رَجَعَ من عند أحمد بن طولون . فأوصلَ إليه بعضُ
 الحُجَّابِ ثَبَّتَ من وقفٍ بالبَابِ ، فرأى فيه إسماعيلَ بنَ أسباطِ
 فسألَ عنه . فقيلَ له : « وقفَ بالبَابِ طويلاً وأَصرَفَ » . فقال :
 « إنَّ هذا الرجلَ مَن عَمَرَ هذه المَنزلةَ مدَّةَ طويلة ، ولستُ أَشكُ أنَّ
 تَجِيئَهُ لِحَاجَةٍ لَهُ ، ومنَ الجميلِ أنْ أركَبَ إليه فَأَقْضِيَهُ حوائِجَهُ ، وأُبَاغِ
 فيها مَحَبَّتَهُ » . ثم رَكِبَ وَسِرْتُ مَعَهُ ، حتى دخلنا دارَ إسماعيلِ
 ابنِ أسباطِ - وهى التى ملكها الشَّيرُ بعده - ، فرأينا داراً عاريةً من
 السُّتُورِ والفُرُشِ ، وتَأَمَّلْنَا مَنْ فِيهَا مِنَ الحَشَمِ على حالٍ سيئَةٍ . فَاسْتَقْبَلَهُ
 إسماعيلُ بالشُّكرِ والدُّعَاءِ لَهُ ، فقالَ له الواسطى : « إنَّه لاَ فَرْقَ بَيْنَكَ
 السَّاعَةَ عِنْدِي فى المَرْتَبَةِ التى كُنْتَ فِيهَا . ومنَ جَمَالِنَا فيما أَفْضَى إِلَيْنَا
 أَنْ نُحْسِنَ فِيهِ خِلَافَةً منَ تَقَدَّمْنَا ، وَأَنْ نَزَاهِمَ كَالآبَاءِ المَسْتَحَقِّينَ
 البِرَّ منَ أَوْلَادِهِمْ » . وسأله عن حاجته ، فقال : « أَخْبِرْكَ بِهَا بَعْدَ
 أَنْ أَحْدِثَكَ بِشَيْءٍ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ المَعْرُوفَ يَنْفَعُ عِنْدَ مُسْتَحَقِّهِ منَ
 غَيْرِ المُسْتَوْجِبِينَ لَهُ »

« كَانَتْ لى - أَيَّدَكَ اللهُ - دَارُ خَيْلٍ نَحْوِ المَنْظَرِ ^(١) ، وَكُنْتُ
 أَرْكَبُ إِلَيْهَا فى غَدَاةِ اللَّيْلَةِ التى أَعَاقِرُ فِيهَا إِخْوَانِي . فَرَكِبْتُ إِلَيْهَا
 يَوْماً فَالْفَيْتُ فى الصَّحْرَاءِ جَمْعاً منَ العَامَّةِ ، وَقد ضَاقَتْ بِهِمْ ، وَمَعَهُمْ
 عَامِلُ المَعُونَةِ . وَاسْتَقْبَلَتْنِي امْرَأَةٌ قد هَتَكَتْ سِتْرَهَا ، وَكَشَفَتْ

(١) المنظر : يريد الصحراء

شَعَرَهَا ، فَقَالَتْ : « يَا سَيِّدِي ! أَخِي ، وَوَاحِدِي ، وَكَافِلِي ، يُعْرَضُ عَلَى الْقَتْلِ السَّاعَةَ ! » . فَعَدَلْتُ إِلَى صَاحِبِ الْمُعُونَةِ وَسَأَلْتُهُ عَنْ حَالِ النَّاسِ ، فَقَالَ : « اجْتَمَعْنَا لَضَرْبِ خَنَاقٍ بِالسُّوْطِ » ، فَقُلْتُ لَهُ بِحَضْرَةِ النَّاسِ : « مَا حَقُّ هَذَا إِلَّا الْإِحْرَاقُ بِالنَّارِ ، وَأَنَا أَكْتُبُ فِيهِ إِلَى السُّلْطَانِ » ، فَأَعْلَنَ الْجَمِيعَ بِالْإِدْعَاءِ لِي ، وَانْصَرَفُوا . فَسَأَلْتُهُ الْبُعْثَةَ بِالْخَنَاقِ إِلَيَّ ، فَوَعَدَنِي بِذَلِكَ فِي الْمَسَاءِ . فَلَمَّا صَلَّيْتُ عِشَاءَ الْآخِرَةِ أَنْقَذَ إِلَيَّ مِنْهُ شَابًّا مُكْفَهَرًا الْوَجْهَ لَا تَخْفَى قَسْوَتُهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : « أَمَا تَسْتَجِي مِنْ اللَّهِ وَتَخَافُهُ فِي طُعْمَتِكَ ؟ ^(١) » ، فَقَالَ : « يَا سَيِّدِي ! أَنَا أَشْهَدُ اللَّهَ أَنِّي لَا أَعَاوِدُ هَذَا الْفِعْلَ أَبَدًا » ، فَأَوْصَيْتُهُ بِخَيْرٍ ، وَأَضَفْتُ إِلَيْهِ مِنْ أَخْرَجَهُ عَنِ الْبَلَدِ فِي حَالِ سَتْرِ ، وَاقْنَا بَعْدَ ذَلِكَ سَنِينَ ، وَتَقَاصَرَتْ أُمُورُنَا وَتَغَيَّرَتْ أَحْوَالُنَا . بِتَقْلِيدِ إِسْحَاقَ بْنِ تَمِيمٍ عَلَيْنَا . فَلَمَّا بَلَغْنَا ^(٢) بِمَا نَطَالِبُ بِهِ ، أَشْخَصَنِي وَأَخِي أَحْمَدَ إِلَى الْحَضْرَةِ ، فَطَالَبَنَا الْوَزِيرُ بِمَا لَفَقَهُ ابْنُ تَمِيمٍ عَلَيْنَا ، فَشَكُونَا إِلَيْهِ شِدَّةَ اخْتِلَالِنَا ^(٣) ، فَقَالَ : « فُلَانُ ! ، فَوَافَاهُ رَجُلٌ بِمَنْزِلَةِ أَثِيرَةٍ ^(٤) عِنْدَهُ : غَلِظَ الطَّبْعُ ، كَرِيهَ الْوَجْهَ ، تَنَامَلُ الشَّرِّ فِي سَجَايَاهُ ، فَقَالَ : « اسْتَخْرِجْ مِنْ هَذَيْنِ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ الْيَوْمَ » .

(١) الطَّعْمَةُ : طَرِيقَةُ كَسْبِ الرِّزْقِ ، يُقَالُ : « فُلَانٌ طَيِّبُ الطَّعْمَةِ أَوْ خَيْشَهَا ،

(٢) بَلَغَ الْغَرِيمَ : أَفْلَسَ

(٣) الْإِخْتِلَالُ : الْحَاجَةُ وَالْفَقْرُ

(٤) أَثِيرَةٌ : مَكِينَةٌ مَقْرَبَةٌ

« انتظرتُ أبا عبد الله الواسطى - كاتب أحمد بن طولون - في داره ، حتى رَجَعَ من عند أحمد بن طولون . فأوصلَ إليه بعضُ الحُجَّاب ثَبَّتَ من وقف بالباب ، فرأى فيه إسماعيلَ بن أسباط . فسأل عنه . فقيل له : « وقف بالباب طويلاً وأَصرَف » . فقال : « إن هذا الرجلَ مَن عَمَرَ هذه المنزلةَ مدَّةً طويلةً ، ولست أَشكُ أنَّ نَجِيتهُ لِحاجةٍ له ، ومن الجليل أن أركبَ إليه فَأَقْتَضِيَهُ حوائِجَهُ ، وأُبَاغَ فيها مَحَبَّتَهُ » . ثم ركبَ وسِرْتُ معه ، حتى دخلنا دارَ إسماعيل ابن أسباط - وهى التى ملكها الشَّيرُ بعده - ، فرأينا داراً عاريةً من الستورِ والفُرُش ، وتأمَّلنا مَنَ فيها من الحَشم على حالٍ سيئةٍ . فاستقبله إسماعيلُ بالشُّكر والدعاءِ له ، فقال له الواسطى : « إنه لا فرقَ بينك الساعةَ عندى فى المرتبةِ التى كنتَ فيها . ومن جَمالنا فيما أفضى إلينا أن نُحَسِّنَ فيه خِلافةً من تقدَّمنا ، وأن نراهم كالآباءِ المستحقِّين البرَّ من أولادِهِم » . وسأله عن حاجته ، فقال : « أَخْبِرْكَ بها بعد أن أَحَدْتُكَ بشيءٍ يَدُلُّ على أنَّ المعروفَ ينفعُ عندَ مستحقِّه من غيرِ المستوجِبين له »

« كانتُ لى - أيدك الله - دارُ خيلٍ نحوَ الْمَنْظَرِ ^(١) ، وكنتُ أركبُ إليها فى غداةِ الليلةِ التى أَعاقِرُ فيها إخوانى . فركبتُ إليها يوماً فألفيتُ فى الصَّحراءِ جَمْعاً من العامَّةِ ، وقد ضاقتُ بهم ، ومعهم عاملُ المَعُونَةِ . واستقبلتَنى امرأةٌ قد هَتَكَتْ سِتْرَها ، وكَشَفَتْ

شَعَرَهَا ، فَقَالَتْ : « يَا سَيِّدِي ! أَخِي ، وَوَاحِدِي ، وَكَافِلِي ، يُعْرَضُ عَلَى الْقَتْلِ السَّاعَةَ ! » . فَعَدَلْتُ إِلَى صَاحِبِ الْمُعُونَةِ وَسَأَلْتُهُ عَنْ حَالِ النَّاسِ ، فَقَالَ : « اجْتَمَعْنَا لَضَرْبِ خَنَاقٍ بِالسُّوْطِ » ، فَقُلْتُ لَهُ بِحَضْرَةِ النَّاسِ : « مَا حَقُّ هَذَا إِلَّا الْإِحْرَاقُ بِالنَّارِ ، وَأَنَا أَكْتُبُ فِيهِ إِلَى السَّلْطَانِ » ، فَأَعْلَنَ الْجَمِيعَ بِالْإِدْعَاءِ لِي ، وَانْصَرَفُوا . فَسَأَلْتُهُ الْبُعْثَةَ بِالْخَنَاقِ إِلَيَّ ، فَوَعَدَنِي بِذَلِكَ فِي الْمَسَاءِ . فَلَمَّا صَلَّيْتُ عِشَاءَ الْآخِرَةِ أَنْقَذَ إِلَيَّ مِنْهُ شَابًّا مُكْفَهَرًا الْوَجْهَ لَا تَخْفَى قَسْوَتُهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : « أَمَا تَسْتَجِي مِنْ اللَّهِ وَتَخَافُهُ فِي طُعْمَتِكَ ؟ ^(١) » ، فَقَالَ : « يَا سَيِّدِي ! أَنَا أَشْهَدُ اللَّهَ أَنِّي لَا أَعَاوِدُ هَذَا الْفِعْلَ أَبَدًا » ، فَأَوْصَيْتُهُ بِخَيْرٍ ، وَأَضَفْتُ إِلَيْهِ مِنْ أَخْرَجَهُ عَنِ الْبَلَدِ فِي حَالِ سَتْرِ ،

« وَأَقْنَا بَعْدَ ذَلِكَ سَنِينَ ، وَتَقَاصَرَتْ أُمُورُنَا وَتَغَيَّرَتْ أَحْوَالُنَا بِتَقْلِيدِ إِسْحَاقَ بْنِ تَمِيمٍ عَلَيْنَا . فَلَمَّا بَلَغْنَا ^(٢) بِمَا نَطَالِبُ بِهِ ، أَشْخَصَنِي وَأَخِي أَحْمَدَ إِلَى الْحَضْرَةِ ، فَطَالَبْنَا الْوَزِيرَ بِمَا لَفَقَهُ ابْنُ تَمِيمٍ عَلَيْنَا ، فَشَكُونَا إِلَيْهِ شِدَّةَ اخْتِلَالِنَا ^(٣) » ، فَقَالَ : « فَلَان ! » ، فَوَافَاهُ رَجُلٌ بِمَنْزِلَةِ أَثِيرَةٍ ^(٤) عِنْدَهُ : غَلِظَ الطَّبْعُ ، كَرِيهَ الْوَجْهَ ، تَنَاطَلَ الشَّرِّ فِي سَجَايَاهُ ، فَقَالَ : « اسْتَخْرِجْ مِنْ هَذَيْنِ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ الْيَوْمَ » .

(١) الطُعْمَةُ : طَرِيقَةُ كَسْبِ الرِّزْقِ ، يُقَالُ : « فَلَان طَيْبُ الطُعْمَةِ »
أَوْ خَيْشَهَا ،

(٢) بَلَحُ الْغَرِيمِ : أَفْلَسَ

(٣) الْإِخْتِلَالُ : الْحَاجَةُ وَالْفَقْرُ

(٤) أَثِيرَةٌ : مَكِينَةٌ مَقْرَبَةٌ

خيراً^(١). ورقّ قلبي عليه وكُبر في نفسي محله، فخلوتُ به وقلت له: «لو استجزرتُ إطلاقك بغير إذنٍ لفعلتُ؛ وإن كنتُ استعنتُ بي في أمرك». فقال: «والله ما أعرف في هذا البلد غيرَ أبي طالب الخليل - وكان هذا الرجلُ يتولى شُرطتيَ أحمد بن طولون بمصر - ولو وصلتُ إليه سرّاً؛ أو برسالة مع من^(٢) يفهم؛ لرجوتُ تسهيلَ أمري، فقلتُ له: «والله لا تينّ في أمرك ما أخطر به على نفسي. أنا أطلقك سرّاً على أن تُوثّقني بأيمانٍ مُحَرَّجَةٍ أنك لا تهربُ عني ولا تُخفّرني^(٣)»، فقال: «إذا كنتُ عندك بمنزلة من يُشكُّ فيه؛ فلا حاجة لي بإخراجك إياي». فوافقته - من غير يمينٍ آرتهنتُ بها - على أن يقيمَ ثلاثة أيام، فأطلقته ليلة الجمعة، وفارقته على أن يصيرَ إلى ليلة الاثنين

فلما كان سحرُ يوم السبت، وافاني كما فتحتُ^(٤) باب السجن، فلما دخلَ سجدَ وحمدَ الله، وقال لي: «بعثتُ إلى أبي طالب الخليل امرأة من أهلنا وطوّيتُ عنه إطلاقي، وسألتُهُ أن يُلطفَ في أمري فوعَدَ بذلك، وخلفَ المرأة حتى ترجعَ إليّ بالجواب. وركبَ إلى

(١) جزاء خيراً: قال له، «جزاك الله خيراً»

(٢) في الأصل: «من»

(٣) أخفر ذمته: نقضها

(٤) كما فتحت: يريد (حين فتحت) وقد ورد هذا الحرف في كثير

من كتب هذا العصر؛ وانظر هذا في آخر القصة (٦٨)

الأمير عَشِيَّةَ الْجُمُعَةِ ، فأقام إلى قريب من العَتَمَةِ ، ثم آنصرفت
إلى المرأة فقالت : « وَاَقَى أَبُو طَالِبِ الْأَمِيرِ وَهُوَ مَغْمُومٌ ، فَقَالَ لِي :
« كَلَّمْتُهُ فِيهِ فَقَالَ : « وَاللَّهِ لَقَدْ أَذْكَرْتُ نِجْلًا يَحْتَاجُ إِلَى عُقُوبَةٍ ! » ،
ثم تقدم إلى رجلٍ أَنْ يَصِيرَ بِكَ إِلَيْهِ عِنْدَ جُلُوسِهِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ ،
وَوَجَّهَ إِلَيَّ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَمْرِكَ ، فَلَيْتَنِي لَمْ أَتَكَلَّمْ
فِيكَ ! » . فَسَحِرْتُ ^(١) - مع مَا تَيَقَّنْتُهُ فِي أَمْرِي - خَوْفًا أَنْ يَأْتِيكَ
رَسُولُهُ فَلَا يَجِدُنِي ، فَيَلْحَقَكَ مَكْرُوهٌ مِنْهُ . وَرَأَيْتُ كُلَّ مَا يُوعِدُنِي
بِهِ أَسْهَلُ عَلَىَّ مِنْ أَنْ أُخْفِرَ ظَنِّكَ بِي ، وَتَقْدِيرَكَ فِيَّ ،

فَمَا تَرَجَّلَ النَّهَارُ ^(٢) حَتَّى وَاقَى الرَّجُلُ قَتْلَهُ مِنِّي . وَحَضَرْتُ
الدَّارَ - وَقَدْ أَحْضَرَهُ أَحْمَدُ بْنُ طَوْلُونٍ ، وَجُلَّسَهُ بَيْنَ الْخَاصِّ وَالْعَامِ -
فَلَمَّا رَأَاهُ بَكَتَهُ بِالْإِجْلَابِ عَلَيْهِ فِي الثَّغْرِ ^(٣) . فَاعْتَذَرَ بِعُذْرِ قَبِيلِهِ ،
وَلَقِيَهُ بِالرَّأْفَةِ ، بَضْدًا مَا خِفَّتُهُ عَلَيْهِ ، وَأَطْلَقَهُ . فَكَانَ مِنْ آثَرِ إِخْوَانِي
عِنْدِي ^(٤) إِلَى أَنْ فَرَّقَتِ الْأَيَّامُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ »

ابن أسباط
والخناق

٥ - وَحَدَّثَنِي عَمِّي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ :

(١) سحر : بَكَرَ فِي السَّحَرِ

(٢) تَرَجَّلَ النَّهَارُ : ارْتَفَعَ ، كَمَا يَرْتَفِعُ الرَّجُلُ عَنِ الصَّبَا

(٣) أَجْلَبَ عَلَيْهِ : أَعَانَ عَلَيْهِ عَدُوَّهُ ، وَالثَّغْرُ : مَوْضِعُ الْخِيفَةِ مِنْ

أَطْرَافِ الْبِلَادِ

(٤) مِنْ آثَرِهِمْ : أَيُّ مِنْ أَحْبَبِهِمْ وَأَقْرَبِهِمْ

خيراً^(١). ورقّ قلبي عليه وكُبر في نفسي محله، فخلوتُ به وقلت له: «لو استجزتُ إطلاقك بغير إذنٍ لفعلتُ؛ وإن كنتُ استعين بي في أمرك». فقال: «والله ما أعرف في هذا البلد غيرَ أبي طالب الخليلج - وكان هذا الرجلُ يتولّى شرطتي أحمد بن طولون بمصر - ولو وصلتُ إليه سرّاً؛ أو برسالة مع من^(٢) يفهم؛ لرجوتُ تسهيلَ أمري، فقلت له: «والله لا تينّ في أمرك ما أخطر به على نفسي. أنا أطلقك سرّاً على أن تؤثّقني بأيمانٍ مُحرّجة أنك لا تهربُ عني ولا تُخفّرني^(٣)»، فقال: «إذا كنتُ عندك بمنزلة من يُشكُّ فيه؛ فلا حاجة لي بإخراجك إياي». فوافقته - من غير يمينٍ آرتهنتُ بها - على أن يقيمَ ثلاثة أيام، فأطلقته ليلة الجمعة، وفارقته على أن يصيرَ إلى ليلة الاثنين

فلما كان سحرُ يوم السبت، وافاني كما فتحتُ^(٤) باب السجن، فلما دخلَ سجدَ وحمدَ الله، وقال لي: «بعثتُ إلى أبي طالب الخليلج - امرأة من أهلنا وطوّيتُ عنه إطلاقي، وسألته أن يلطف في أمري فوعد بذلك، وخلف المرأة حتى ترجعَ إليّ بالجواب. وركبَ إلى

(١) جزاء خيراً: قال له، «جزاك الله خيراً».

(٢) في الاصل: «ومن».

(٣) أخفر ذمته: نقضها.

(٤) كما فتحت: يريد (حين فتحت) وقد ورد هذا الحرف في كثير من كتب هذا العصر؛ وانظر هذا في آخر القصة (٦٨)

الأمير عَشِيَّةَ الْجُمُعَةِ ، فَأَقَامَ إِلَى قَرِيبٍ مِنَ الْعَتَمَةِ ، ثُمَّ أَنْصَرَفَتْ
إِلَى الْمَرْأَةِ فَقَالَتْ : « وَاقَى أَبُو طَالِبِ الْأَمِيرَ وَهُوَ مَغْمُومٌ ، فَقَالَ لِي :
« كَلَّمْتُهُ فِيهِ فَقَالَ : « وَاللَّهِ لَقَدْ أَذْكَرْتُ نِجْلًا يَحْتَاجُ إِلَى عُقُوبَةٍ ! » ،
ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى رَجُلٍ أَنْ يَصِيرَ بَكَ إِلَيْهِ عِنْدَ جُلُوسِهِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ ،
بِوَجْهِهِ إِلَى أَنْ أَرْجَعَ إِلَى اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ فِي أَمْرِكَ ، فَلَيْتَنِي لَمْ أَتَكَلَّمْ
فِيكَ ! » . فَسَحِرْتُ ^(١) - مَعَ مَا تَيَقَّنْتُهُ فِي أَمْرِي - خَوْفًا أَنْ يَأْتِيَكَ
رَسُولُهُ فَلَا يَجِدُنِي ، فَيَلْحَقَكَ مَكْرُوهٌ مِنْهُ . وَرَأَيْتُ كُلَّ مَا يُوعِدُنِي
بِهِ أَسْهَلُ عَلَىَّ مِنْ أَنْ أُخْفِرَ ظَنِّكَ بِي ، وَتَقْدِيرَكَ فِيَّ ،

فَمَا تَرَجَّلَ النَّهَارُ ^(٢) حَتَّى وَاقَى الرَّجُلُ قَتْلَهُ مِنِّي . وَحَضَرْتُ
الدَّارَ - وَقَدْ أَحْضَرَهُ أَحْمَدُ بْنُ طَوْلُونَ ، وَمَجْلِسُهُ بَيْنَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ -
فَلَمَّا رَأَاهُ بَكَتَهُ بِالْإِجْلَابِ عَلَيْهِ فِي الشَّجَرِ ^(٣) . فَاعْتَذَرَ بِعُذْرِ قَبِيلِهِ ،
وَلَقِيَهُ بِالرَّأْفَةِ ، بِضِدِّ مَا خَفَّتُهُ عَلَيْهِ ، وَأَطْلَقَهُ . فَكَانَ مِنْ آثَرِ إِخْوَانِي
عِنْدِي ^(٤) إِلَى أَنْ فُرِّقَتِ الْأَيَّامُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ «

ابن أسباط
والخناق

٥ - وَحَدَّثَنِي عَمِّي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ :

(١) سحر : بكر في السحر

(٢) ترجل النهار : ارتفع ، كما يرتفع الرجل عن الصبا

(٣) أجلب عليه : أعان عليه عدوه ، والشجر : موضع الخفاقة من

أطراف البلاد

(٤) من آثرهم : أي من أحبهم وأقربهم

خيراً^(١). ورَّقَ قلبي عليه وكَبُرَ في نفسي محَلُّهُ ، فخلَوْتُ به وقلت له : « لو استَجَزْتُ إطلاقك بغير إذنٍ لفعلتُ ؛ ولكن استعِن بي في أمرك » . فقال : « والله ما أعرف في هذا البلد غيرَ أبي طالب الخليلج - وكان هذا الرجلُ يتولَّى شُرْطَتِي أحمد بن طولون بمصر - ولو وصلتُ إليه سرّاً ؛ أو برسالة مع من^(٢) يفهم ؛ لرجوتُ تسهيلَ أمري » ، فقلت له : « والله لا تينَّ في أمرك ما أخطر به على نفسي . أنا أُطلقك سرّاً على أن تُوثِّقني بأيمانٍ مُحرَّجة أنك لا تهربُ عني ولا تُخفِرُنِي »^(٣) ، فقال : « إذا كنتُ عندك بمنزلة مَنْ يُشكُّ فيه ؛ فلا حاجة لي بإخراجك إياي » . فوافقته - من غير يمينٍ آرتهنته بها - على أن يقيمَ ثلاثة أيام ، فأطلقته ليلة الجمعة ، وفارقته على أن يصيرَ إلى ليلة الاثنين

فلما كان سَحَرُ يوم السبت ، وافاني كما فتحتُ^(٤) باب السجن ، فلما دَخَلَ سَجَدَ وحَمِدَ الله ، وقال لي : « بعثتُ إلى أبي طالب الخليلج امرأةً من أهلنا وطَوَيْتُ عنه إطلاقي ، وسألته أن يُلْطَفَ في أمري فوعَدَ بذلك ، وخلفَ المرأةَ حتى ترجعَ إليَّ بالجواب . وركبَ إلى

(١) جزاءه خيراً : قال له ، « جزاك الله خيراً » ،

(٢) في الاصل : « بمن » ،

(٣) أخفر ذمته : نقضها

(٤) كما فتحت : يريد (حين فتحت) وقد ورد هذا الحرف في كثير

من كتب هذا العصر ؛ وانظر هذا في آخر القصة (٦٨)

الأمير عَشِيَّةَ الْجُمُعَةِ ، فأقام إلى قريب من العَتَمَةِ ، ثم آنصرفت
إلى المرأة فقالت : « وَاَقَى أَبُو طَالِبِ الْأَمِيرَ وَهُوَ مَغْمُومٌ ، فَقَالَ لِي :
« كَلَّمْتُهُ فِيهِ فَقَالَ : « وَاللَّهِ لَقَدْ أَذْكَرْتُ نِثْرِي رَجُلًا يَحْتَاجُ إِلَى عُقُوبَةٍ ! » ،
ثم تقدم إلى رجلٍ أن يصيرَ بك إليه عند جلوسه في يوم السبت ،
وَوَجَّهَ إِلَيَّ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَمْرِكَ ، فَلَيْتَنِي لَمْ أَتَكَلَّمْ
فِيكَ ! » . فَسَحِرْتُ ^(١) - مع مَا تَيَقَّنْتُهُ فِي أَمْرِي - خَوْفًا أَنْ يَأْتِيَكِ
رَسُولُهُ فَلَا يَجِدُنِي ، فَيَلْحَقَكَ مَكْرُوهٌ مِنْهُ . وَرَأَيْتُ كُلَّ مَا يُوعِدُنِي
بِهِ أَسْهَلُ عَلَىَّ مِنْ أَنْ أُخْفِرَ ظَنِّكَ بِي ، وَتَقْدِيرَكَ فِيَّ ،

فَمَا تَرَجَّلَ النَّهَارُ ^(٢) حَتَّى وَاقَى الرَّجُلُ قَدْسَلَهُ مِنِّي . وَحَضَرْتُ
الدَّارَ - وَقَدْ أَحْضَرَهُ أَحْمَدُ بْنُ طَوْلُونٍ ، وَجُلَسَهُ بَيْنَ الْخَاصِّ وَالْعَامِ -
فَلَمَّا رَأَاهُ بَكَتْهُ بِالْإِجْلَابِ عَلَيْهِ فِي الشَّجَرِ ^(٣) . فَاعْتَذَرَ بِعُذْرِ قَبِيلِهِ ،
وَلَقِيَهُ بِالرَّأْفَةِ ، بِضِدِّ مَا خِفْتُهِ عَلَيْهِ ، وَأَطْلَقَهُ . فَكَانَ مِنْ آثَرِ إِخْوَانِي
عِنْدِي ^(٤) إِلَى أَنْ فَرَّقَتْ الْأَيَّامُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ »

ابن أسباط
والخناق

٥ - وَحَدَّثَنِي عَمِّي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ :

(١) سحر : بكر في السحر

(٢) ترجل النهار : ارتفع ، كما يرتفع الرجل عن الصبا

(٣) أجلب عليه : أعان عليه عدوه ، والشجر : موضع الخفاقة من

أطراف البلاد

(٤) من آثرهم : أي من أحبهم وأقربهم

« انتظرتُ أبا عبد الله الواسطيَّ - كاتبَ أحمد بن طولون - في داره ، حتى رَجَعَ من عند أحمد بن طولون . فأوصلَ إليه بعضُ الحُجَّابِ ثَبَّتَ من وقفَ بالباب ، فرأى فيه إسماعيلَ بنَ أسباط . فسألَ عنه . فقيلَ له : « وقفَ بالباب طويلاً وأَنصَرَفَ » . فقال : « إنَّ هذا الرجلَ مَن عَمَّرَ هذهَ المَنزلةَ مدَّةً طويلةً ، ولستُ أَشكُّ أَنَّ تَجِيئَهُ لِحَاجَةٍ لَهُ ، ومنَ الجميلِ أنْ أركبَ إليه فَأَقْتَضِيَهُ حَوائِجَهُ ، وَأُبَاغٍ فِيهَا مَحَبَّتَهُ » . ثم ركبَ وسِرْتُ مَعَهُ ، حتى دخلنا دارَ إسماعيلِ ابنِ أسباط - وهي التي مَلَكَهَا الشَّيْرُ بَعْدَهُ - ، فرأينا داراً عَاريةً من السُّتُورِ والفُرُشِ ، وتَأَمَّلْنَا مَنْ فِيهَا مِنَ الحَشَمِ عَلَى حَالِ سَيِّئَةٍ . فَاسْتَقْبَلَهُ إِسْمَاعِيلُ بِالشُّكْرِ والدَّعَاءِ لَهُ ، فقالَ لَهُ الواسطيُّ : « إِنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَكَ السَّاعَةَ عِنْدِي فِي المَرْتَبَةِ الَّتِي كُنْتَ فِيهَا . وَمَنْ جَمَّالُنَا فِيمَا أَفْضَى إِلَيْنَا أَنْ نُحْسِنَ فِيهِ خِلَافَةً مِنْ تَقَدَّمْنَا ، وَأَنْ نَزَاهِمَ كَالآبَاءِ المَسْتَحَقِّينَ البِرَّ مِنْ أَوْلَادِهِمْ » . وسأله عن حاجته ، فقال : « أَخْبِرْكَ بِهَا بَعْدَ أَنْ أَحَدْتُكَ بِشَيْءٍ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ المَعْرُوفَ يَنْفَعُ عِنْدَ مُسْتَحَقِّهِ مِنْ غَيْرِ المُسْتَوْجِبِينَ لَهُ » .

« كَانَتْ لِي - أَيَّدَكَ اللَّهُ - دَارُ خَيْلٍ نَحْوِ الْمَنْظَرِ ^(١) ، وَكُنْتُ أَرْكَبُ إِلَيْهَا فِي غَدَاةِ اللَّيْلِ الَّتِي أُعَاقِرُ فِيهَا إِخْوَانِي . فَرَكِبْتُ إِلَيْهَا يَوْمًا فَالْفَيْتُ فِي الصَّحَرَاءِ جَمْعًا مِنَ الْعَامَّةِ ، وَقَدْ ضَاقَتْ بِهِمْ ، وَمَعَهُمْ عَامِلُ المَعُونَةِ . وَاسْتَقْبَلَتْنِي امْرَأَةٌ قَدْ هَتَكَتْ سِتْرَهَا ، وَكَشَفَتْ

سَعَرَهَا، فَقَالَتْ: «يَا سَيِّدِي! أَخِي، وَوَاحِدِي، وَكَافِلِي، يُعَرِّضُ عَلَى الْقَتْلِ السَّاعَةَ!». فَعَدَلْتُ إِلَى صَاحِبِ الْمُعُونَةِ وَسَأَلْتُهُ عَنْ حَالِ النَّاسِ، فَقَالَ: «اجْتَمَعْنَا لَضَرْبِ خَنَاقٍ بِالسُّوْطِ»، فَقُلْتُ لَهُ بِحُضْرَةِ النَّاسِ: «مَا حَقُّ هَذَا إِلَّا الْإِحْرَاقُ بِالنَّارِ، وَأَنَا أَكْتُبُ فِيهِ إِلَى السُّلْطَانِ»، فَأَعْلَنَ الْجَمِيعَ بِالْدُّعَاءِ لِي، وَانْصَرَفُوا. فَسَأَلْتُهُ الْبُعْثَةَ بِالْخَنَاقِ إِلَيَّ، فَوَعَدَنِي بِذَلِكَ فِي الْمَسَاءِ. فَلَمَّا صَلَّيْتُ عِشَاءَ الْآخِرَةِ أَنْفَذَ إِلَيَّ مِنْهُ شَابًّا مُكْفَهَرًا الْوَجْهَ لَا تَخْفَى قَسْوَتُهُ، فَقُلْتُ لَهُ: «أَمَا تَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ وَتَخَافُهُ فِي طُعْمَتِكَ؟»^(١)، فَقَالَ: «يَا سَيِّدِي! أَنَا أَشْهَدُ اللَّهَ أَنِّي لَا أَعَاوِدُ هَذَا الْفِعْلَ أَبَدًا»، فَأَوْصَيْتُهُ بِخَيْرٍ، وَأَضَفْتُ إِلَيْهِ مِنْ أَخْرَجَهُ عَنِ الْبَلَدِ فِي حَالِ سَتْرِ، «وَأَقَمْنَا بَعْدَ ذَلِكَ سَنِينَ، وَتَقَاصَّرَتْ أُمُورُنَا وَتَغَيَّرَتْ أَحْوَالُنَا بِتَقْلِيدِ إِسْحَاقَ بْنِ تَمِيمٍ عَلَيْنَا. فَلَمَّا بَلَغْنَا^(٢) بِمَا نَطَالِبُ بِهِ، أَشْخَصَنِي وَأَخِي أَحْمَدَ إِلَى الْحَضْرَةِ، فَطَالَبْنَا الْوَزِيرَ بِمَا لَفَّقَهُ ابْنُ تَمِيمٍ عَلَيْنَا، فَشَكُونَا إِلَيْهِ شِدَّةَ اخْتِلَالِنَا^(٣)، فَقَالَ: «فُلَانُ!، فَوَافَاهُ رَجُلٌ بِمَنْزِلَةِ أَثِيرَةٍ^(٤) عِنْدَهُ: غَالِظُ الطَّمْعِ، كَرِيهُ الْوَجْهِ، تَنَاطَلَ الشَّرِّ فِي سَجَايَاهُ، فَقَالَ: «اسْتَخْرِجْ مِنْ هَذَيْنِ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ الْيَوْمَ».

(١) الطُعْمَةُ: طَرِيقَةُ كَسْبِ الرِّزْقِ، يُقَالُ: «فُلَانٌ طَيِّبُ الطَّعْمَةِ

أَوْ خَيْشَهَا،

(٢) بَلَغَ الْغَرِيمَ: أَفْلَسَ

(٣) الْإِخْتِلَالُ: الْحَاجَةُ وَالْفَقْرُ

(٤) أَثِيرَةٌ: مَكِينَةٌ مُقَرَّبَةٌ

فانزَعَنَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ بِفَظَاظَةٍ أَيْقَنْتُنَا بِالْهَلَكَةِ . ثُمَّ صَارَ بِنَا إِلَى حُجْرَةٍ لَهُ فِي دَارِ الْوَزِيرِ ، فَسَأَلَنَا عَنْ بَلَدِنَا وَنَسَبَتِنَا ، فَلَمَّا سَمِعَ « أَسْبَاطَ ، سَكَنَ قَوْرُهُ وَرَقَّ قَلْبُهُ ، وَقَالَ : « مَنْ تَكُونُونَ مِنْ إِسْمَاعِيلَ ؟ » فَقُلْتُ : « أَنَا إِسْمَاعِيلُ ! » فَبَكَى وَأَنْكَبَّ عَلَى رَأْسِي وَرَجُلِي ، وَقَالَ لِي : « يَا سَيِّدِي ! أَنْعِرْ قِي ؟ » ، قُلْتُ : « لَا » ، قَالَ : « أَنَا الْخَنَاقُ الَّذِي أَطْلَقْتَنِي بِمِصْرَ ! وَوَاللَّهِ مَا خَنَقْتُ أَحَدًا بِحَمْدِ اللَّهِ بَعْدَ إِطْلَاقِي ، وَلَكِنْ شِرَاسَةً طَبَعِي عَدَلْتُ بِي عَنْ الزَّهَادَةِ إِلَى مَادُونِ الْخَنَقِ ، وَهُوَ اسْتِخْرَاجِي لِلْوَزِيرِ الْأَمْوَالِ بِالْتَّعْذِيبِ ، وَقَدْ وَجَدْتُ عِنْدِي فِيهِ مَا لَمْ يَجِدْهُ عِنْدَ غَيْرِي » . ثُمَّ طَعَنَ ^(١) فِي تِلْكَ الْحَجْرَةِ فَأَخْرَجَ إِلَى صَنْدُوقٍ يَحْمِلُهُ غُلَامَانِ ، فَقَالَ : « فِي هَذَا مِنَ الْمَالِ وَالْحَلِيِّ مَا نَكْتَفِي بِهِ ، فَقَوْمُوا بِنَا حَتَّى نَهْرُبَ لَيْلًا يَقَعُ بِكُمْ بَأْسٌ » . فَأَعْلَمْتُهُ أَنَا نَخَافُ فِي الْهَرَبِ تَتَّبِعُ الْوَلَدَ وَالْأَهْلَ . فَرَجَعُ إِلَى الْوَزِيرِ يَبْكِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَحْدِّثُهُ مَحَلَّنًا - كَانَ - وَمَا أَوْلَيْنَاهُ ، فَعَجِبَ الْوَزِيرُ مِنْ رِقَّتِهِ عَلَيْنَا ، لَمَّا وَتَفَ عَلَيْهِ مِنْ فَظَاظَتِهِ ، وَكَانَ - شَهِدَ اللَّهُ - أَقْوَى .

الأسباب في دَفْعِ الْمَطَالِبَةِ عَنَّا

« ثُمَّ سَأَلَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْوَاسِطِيَّ - بَعْدَ هَذَا الْحَدِيثِ - حَوَائِجَ وَقَعَ بِهَا فِي مَجْلِسِهِ ، وَوَكَّلَ بِهَا مُتَنَجِّزًا مِنْ خَاصَّتِهِ ، وَلَمْ تَزَلْ الْإِطَافَةُ ^(٢) تَعْتَادُهُ إِلَى أَنْ تُؤَفِّيَ ،

(١) طعن في الحجرة : أدخل ومعند

(٢) المتعجل : الألفاظ : جمع لطف ، وهي التحفة والهدية

محمد بن علي
ومسلمة

٦ — وحدثني يوسف بن إبراهيم والدي ، قال : حدثني إبراهيم
ابن المهدي عن إسحاق بن عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس ، عن
أبيه :

أنه كان مع أبي عبد الله محمد بن علي - أبي الخلفاء - برُصافة
هشام بعد وفاة أبي محمد علي بن عبد الله ، وأنه أقام ثلاثة أشهر
برُصافة هشام لا يأذن له هشام عليه ، إلى أن بَاغَ أبا عبد الله إجماع
مَسْلَمَةَ الْقُدُومِ على هشام ، فتلقاه على أميالٍ من الرُصافة ، وشكى إليه
جَفْوَةَ هشام وتأخيرَه الإذن عليه . فقال له مسلمة : « أرجو أن
يزولَ هذا بُقْدُومِي » ، وأمره أن يُقيمَ بباب هشام إذا دخل عليه
مسلمة ، ولا يَرِيمُ ما أقام مسلمة عنده ^(١) ؛ فأقام أبو عبد الله إلى
وقت زوالِ الشمس

قال عيسى بن علي : نخرج مسلمة إليه ، فقال له : « قَوْضِ رَحْلَكَ
أبا عبد الله ! فمالكَ عند الرجل من خَيْرٍ ! لَأَتِيَّ خَاطِبَتَهُ فِي أَمْرِكَ -
بعد ما تَقْضِي سَلَامِي عليه - : » محمد بن علي بن عبد الله على شاكٍ
رَحِمَهُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ، يقيم ثلاثة أشهر
ببابك فلا يؤذن له عليك ؟ » . فقال : « أَلَهُ عَنْهُ أَبَا سَعِيدٍ » ،
فَأَمْسَكَتْ حَتَّى حَضَرَ الطَّعَامُ ، فَأَعْدَتْهُ أَنْ لَا أُسْتَجِيزُ الْأَكْلَ وَإِنَّهُ
قَائِمٌ عَلَى الْبَابِ ! فغَضِبَ غَضْباً زَادَ بِهِ حَوْلَهُ ^(٢) ، وقال : « يَسْمَى

(١) لا يريم . لا يبرح مكانه

(٢) كان هشام بن عبد الملك أحول

أَبْنَيْهِ عَبْدَ اللَّهِ وَعَبْدَ اللَّهِ ، وَيَرْجُو هَذَا أَنْ يَلِيَا الْخِلَافَةَ ، ثُمَّ يَطْمَعُ
فِي خَيْرٍ مِنِّي ! وَاللَّهِ لَوْلَا مَاتَهُ رَحِمَهُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى
آلِهِ وَسَلَّمَ لَقَطَعْتُ مِنْ وَسْطِهِ شَيْبَرًا ^(١) ،

ثُمَّ عَانَقَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، وَقَالَ : « رُسُولِي إِلَيْكَ صَائِرٌ » . فَرَجَعَ أَبُو
عَبْدِ اللَّهِ إِلَى رَحْلِهِ فَقَوَّضَهُ ، وَبَقِيَ فِي حَيْرَةٍ لِعَجْزِهِ عَمَّا يُنْهِيضُهُ . وَوَافَاهُ
رَسُولُ مُسْلِمَةَ يَقُولُ : « لَمْ أَقْدَرُ فِي سَفَرِي هَذَا طَوْلَ اللَّبْثِ ، وَأَشْهَدُ
اللَّهُ أَنِّي مَا حَمَلْتُ مَعِيَ إِلَّا أَلْفًا وَثَلَاثُمِائَةَ دِينَارٍ ، وَقَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ
بِأَلْفٍ ، وَخَلَّفْتُ الثَّلَاثُمِائَةَ لِنَفْقَتِي ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهْدِي : تُخَدِّثُ
بِهَذَا الْحَدِيثِ الرَّشِيدُ فِي حَدِيثَةِ الْمَوْصِلِ فَبَكَى ، وَقَالَ : « وَصَلْتُ أَبَا
سَعِيدٍ رَحِمَهُ ، وَاللَّهِ لَا دَخَلْتُ الرِّقَّةَ حَتَّى أَقْضِيَ عَارِفَتَهُ عِنْدَنَا » . فَلَمَّا
وَافَيْنَا حَصْنَ مُسْلِمَةَ ، أَحْصَى مَنْ فِيهِ مِنْ وَلَدِهِ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ
فَوَجَدَهُمْ أَرْبَعِينَ ، فَأَمَرَ لَهُمْ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ،

٧ - وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ وَلِيدٍ ، قَالَ :

ابن نصير
والوزاق

« وَدَعَتْ إِسْحَاقَ بْنَ نُصَيْرِ الْعِبَادِيِّ فِي بَعْضِ خَرَاجَاتِي إِلَى بَغْدَادَ ،
فَأَخْرَجَ إِلَيَّ ثَلَاثَةَ آلَافِ دِينَارٍ وَقَالَ : « إِذَا دَخَلْتَ بَغْدَادَ ،
فَادْفَعْ أَلْفَ دِينَارٍ إِلَى ثَعْلَبٍ ، وَأَلْفَ دِينَارٍ إِلَى الْمُبَرِّدِ ، وَصِرْ إِلَى
قَصْرِ وَضَّاحٍ فَانْظُرْ إِلَى أَوَّلِ دُكَّانٍ لِلْوَرَّاقِينَ ، فَإِنَّكَ تَجِدُ صَاحِبَهَا -
إِنْ كَانَ حَيًّا لَمْ يَمُتْ - قَدْ شَاخَ ، فَاجْلِسْ إِلَيْهِ وَقُلْ لَهُ : « إِسْحَاقُ بْنُ

نَصِيرُ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامُ : وَهُوَ الْغَلَامُ الَّذِي كَانَ يَقْصِدُكَ كُلَّ عَشِيَّةٍ - رَاجِلًا مِنْ دَارِ الرُّومِيِّينَ - بِدُرَاعَةٍ ^(١) وَعِمَامَةٍ وَنَعْلٍ رَقِيقَةٍ ، فَيَسْتَعِيرُ مِنْكَ الْكِتَابَ بَعْدَ الْكِتَابِ ، فَإِذَا آقَتْضِيَّتَهُ كِرَاءً مَا نَسَخَ مِنْهُ ^(٢) قَالَ : « أَصِيرُ عَلَى إِلَى الصَّنْعِ » ^(٣) ، فَإِذَا اسْتَقَرَّتْ مَعْرِفَتِي فِي نَفْسِهِ دَفَعَتْ إِلَيْهِ هَذِهِ الْأَلْفَ الدِّينَارَ وَقُلْتُ لَهُ : « هَذِهِ ثَمْرَةٌ حَصْرِكَ عَلَى »

قَالَ لِي أَحْمَدُ بْنُ وَلِيدٍ : فَلَمَّا دَخَلْتُ بَغْدَادَ - وَدَفَعْتُ الْأَلْفَ دِينَارَ إِلَى ثَعْلَبٍ وَالْمُهَرَّدَ - ، مَضَيْتُ إِلَى قَصْرِ وَضَّاحٍ ، فَأَلْفَيْتُ الدَّكَانَ الَّتِي وَصَفَ لِي قَفَرًا لَيْسَ فِيهِ كِتَابٌ ، وَرَأَيْتُ فِيهَا الشَّيْخَ الَّذِي وَصَفَهُ لِي فِي حَالِ رَثَّةٍ وَثِيَابٍ خَلَقَةٍ ^(٤) ، وَقَدْ أَفْضَى بِهِ الْأَمْرُ إِلَى التَّوْرِيقِ لِلنَّاسِ ^(٥) . فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ وَسَأَلْتُهُ عَنْ حَالِهِ ، فَقَالَ : « يَا أَخِي ! مَا ظَنُّكَ بِحَالٍ : مَا تَتَأَمَّلُهُ فِي أَحْسَنُ مَا فِيهَا ؟ » ، ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى الْمَسْأَلَةِ إِلَى أَشْيَاءَ كَانَ فِيهَا خَيْرُ إِسْحَاقَ بْنِ نَصِيرٍ ، فَقَالَ : « قَدْ كَانَ يَحْيِيئُنِي مِنْ دَارِ الرُّومِيِّينَ غَلَامٌ - وَوَصَفَهُ - فَأَسْمَحُ لَهُ بِاللُّسْخَةِ بَعْدَ اللُّسْخَةِ - يَقَالُ لَهُ : « إِسْحَاقُ » ، وَكَانَ يَعِدُنِي فِي كُلِّ شَيْءٍ يَأْخُذُهُ إِلَى الصَّنْعِ ، وَأُخْبِرْتُ أَنَّهُ وَقَعَ بَنَوَاحِي مِصْرَ وَمَا حَصَلَ لِي مِنْهُ شَيْءٌ ! » ، فَأَخْرَجْتُ الْأَلْفَ

(١) الدَّرَاعَةُ : جَبَّةٌ مَشْقُوقَةٌ الْمَقْدَمُ

(٢) الْكَرَاءُ : أَجْرُ الْمُسْتَأْجِرِ

(٣) الصَّنْعُ : يَرِيدُ صَنَعَ اللَّهِ وَلَطْفَهُ

(٤) خَلَقَةٌ : بِالِيَّةِ

(٥) التَّوْرِيقُ : نَسَخُ الْكُتُبِ - عَلَى الْوَرَقِ - وَتَجْلِيدُهَا . وَهُوَ الْوَرَقُ

الدينار وقلتُ له ، يقول لك : « هذه ثمرة صبرك » ، فكاد والله يموتُ فرحاً . فقالت له : « ليستُ دراهم وهي دنانير ! » . وانصرفت عنه وهو أحسنُ من في سوقه حالاً

قال لي أحمد بن وليد : واجتزت بعد ذلك فرأيت دكانه معمورة ، وهو متصدّرٌ فيها على أحسنِ حالٍ وأوفاهها ،

ابن الزنق
والقاسم بن
شعبة

٨ - وكان بنحو دارِ العُنُقودِ شيخٌ يتنخس^(١) في الدَّوَابِّ - يُعرَفُ بابن الزنق - قد لحقَ بمصرَ أكابرَها ، ورأيتُه في أيام أحمد ابن طولون قد علّتُ سنه ، وضعف عن التصرف . وكان له ابنُ أختٍ - خفيفُ الروح ، مقبولُ الصورة ، حلوُ الألفاظ ، يتنخس في الدَّوَابِّ - خَفَّ على قلب القاسم بن شعبة . وكان شعبةً من أكابر أصحاب أحمد بن طولون ، ومات في طاعته ، فرَدَّ إلى القاسم ابنه إحدى الشرطتين بمصر . فانصرف ابنُ أخت ابن الزنق من عند القاسم وقد خلَعَ عليه دُرّاعة خَزَّ من تحتها جبةٌ ملّحَم^(٢) ، فنظر إليها خاله ابن الزنق ، فقال : « ما هذه الخلعة الرائعة ؟ » ، فقال : « خلعتها على القائد . ! » ، يريد القاسم بن شعبة . فقال : « يا بُنَيَّ ! إن كنتَ تصبر على التَّدَلِّي معه في حِجْنِهِ ، كما تَدَلِّي في رِيعِمِهِ ، وإلا فاعتزله - ولا تَفْضَحْنَا بالقُعود عنه في نَوَائِبِهِ » ، فقال : « أرجو أن يصونه الله

(١) النخاس : بائع الدواب . ويتنخس فيها : يتجر

(٢) الملحم : ضرب من الثياب تختلف لحمته عن لحمه غيره في نوعها

وما أنعمَ عليه به ، من نائبةٍ تَلَحُّقه ، أو مكروهٍ يقع به ، ، فقال : « وأنا أرجو هذا أيضاً له ، ولكن ينبغي أن لا تُلْسَى نصيبه منك في الشدة ، كما عني بك في النعمة »

واتصل بأحمد بن طولون عن القاسم بن شعبة شيء أنكره ، فخبسه ووكل بداره جماعةً ، وأختفى النخاس في دار خاله . فسأله بعد يومين عن سبب مُلازِمته المنزل ، فقال : « وَجَدْتُ عِلَّةً » ، إلى أن اتصل الخبرُ بالشيخ ، فدخل إلى ابن أخته فقال : « قَبَّحَكَ اللهُ ! سَرَقْتَ معروفَ هذا القائد ، وَخَلَيْتَهُ يُقَارِعُ شَجْوَهَ بِمُحَنَّتِهِ ؟ ! » . وأسرجَ حماراً له وركبه ، وجير أنه يناشدونه الله ألا يفعل ، فقال : والله القتلُ أحسنُ مما أتى به هذا الوغدُ »

ثم قصد دارَ القاسم بن شعبة - وعليها جماعةٌ من الموكلين وأصحاب الأخبار^(١) - ، فوقف على الباب فقال : « كيف حال القائد أبي محمد أيده الله ؟ » ، فقالوا : « آمض يا شيخ » ، فقال : « ما أمضى حتى أبلي عُذراً ! هذا رجل قد لَزِمْتَنِي له عارضةً ، وهذا أو أن تَضَاهَا » . فوقع خبره إلى أحمد بن طولون فأحضره ، وقال : « ما كنت تَعْمَلُهُ للقاسم ابن شعبة ؟ » ، قال : « أولاني في بعض أقاربي جميلاً ، فانتصبتُ الساعة لما يحتاج إليه ؛ وما أحقُّ الأمير أن يَفْضُلَنِي بِمُحْسِنِ المكافأة عن طاعة والده له ، فقد كان مشهوراً بها ! »

فخذني أبو العباس الطرسوسي . أن أحمد بن طولون قال له في

هذا المجلس : « ما أحسن ما اهتدى هذا الشيخ إلى إذكاري بحق قاسم وعظمني عليه ! » ، ثم أحضر القاسم بن شعبة وخلع عليه خلعة رضى ، وصرفه إلى منزله . وعدل الشيخ ولم يدخل معه داره ؛ وانصرف إلى بيته وقد قام بما قعد عنه ابن أخته

هارون بن
ملول وابن تميم

٩ — وحدثني هارون بن ملول ، قال :

لما مات أبى ورثتُ منه مالا جمًّا ومُستَغَلَّاتٍ نفيسة . وكان يَقْصُرُنِي عَلَى زِيِّ التَّجَارِ ، وَيَمْنَعُنِي مِنَ التَّخْرُقِ ^(١) وَالسَّرَفِ فِي الْهَيْئَةِ . ، فَعَمَدْتُ إِلَى أَثْوَابِ وَشَى سَعِيدِي ^(٢) كَانَتْ فِي الْمَتَاكِزِ الَّتِي خَلَفَهَا وَالَّذِي فَقَطَعْتُهَا ، وَقَطَعْتُ لِحْدِيمَ — أَرْتَبِطُهُمُ لِلتَّجَارَةِ — مِنَ الْمُلْحَمِّ وَالذَّيْبِاجِ مَا لَا يَتَسَمَّحُ بِهِ أَحَدٌ مِنْ أَبْنَاءِ التَّرَفِ . وَجَلَسْتُ فِي الْوَشَى ، وَقَامَ الْغُلَامَانِ بَيْنَ يَدَيَّ فِيمَا قَطَعْتَهُ لَهُمَا

وَوَافَانَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ [بْنِ تَمِيمٍ] مُفْتَقِدًا ، فَتَأَمَّلْنِي فَقَالَ : « لَقَدْ سَرَفَنِي بَعْدُ يُتِمِّمُكَ وَحُسْنُ زِيِّكَ ^(٣) ، بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْكَ ! » . ثُمَّ وَافَى جَمَاعَةً مِنْ إِخْوَانِ أَبِي وَأَصْفِيَايِهِ ، فَوَاللَّهِ مَا أَنْكَرَ عَلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا خَرَجْتُ إِلَيْهِ مِنْ زِيِّ أَسْلَافِي . فَلَمَّا كَانَ فِي عَشِيِّ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَافَانِي رَسُولُ إِسْحَاقَ بْنِ تَمِيمٍ : « عِنْدِي مِنْ لَا تَحْتَشِمُهُ ، فَتُؤْنِسُ

(١) التخرق : التوسع في العطاء والمعيشة

(٢) وشى سعيدى : ضرب من برود الين موشية تعرف بالسعيدية ،

منسوبة إلى سعيد بن العاص

(٣) اليتمة : حالة اليتيم ، ولم ترد في كتب اللغة

جَمَاعَتَنَا بِحُضُورِكَ ؟ فَقَدْ أَعْجَبَنِي الْيَوْمَ حُسْنُ زِيَّتِكَ ! » . فزدت في
الْخِلْعَةَ وَرَكِبْتُ ، فَلَمَّا دَخَلْتُ إِلَيْهِ لَمْ أَفْقِدْ عِنْدَهُ أَحَدًا مِنْ إِخْوَانِ
وَالِدِي . فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ الصَّحْنُ ابْتَدَرَ نِي الْغُلَامَانِ ، وَصَاحَ بِي إِسْحَاقُ :
« تَتَوَهَّمُ يَا جَاهِلُ أَنَّ أَبَاكَ مَضَى وَاسْتَرْحَتَ ! وَلَا تَعْلَمُ أَنَّ أَبَاكَ
خَلَّفَ لَكَ هَؤُلَاءِ الْآبَاءَ بِأَسْرِهِمْ يَرُدُّونَكَ عَنْ الْخَطَا بِأَلِيمِ الْعُقُوبَةِ ،
وَلَا يَشْفَعُونَ فِي مَصْلَحَتِكَ مِنْ عَظِيمِ مَا كَانَ أَبُوكَ يَرِثُ عَنْهُ فِيكَ ؟ ،
ثُمَّ بَطِطَحْتُ فِي وَسْطِ الدَّارِ ، فَصَحْتُ بِهِمْ : « يَا سَادَتِي ! وَاللَّهِ
مَا قَرِعْتُ قَطُّ بِمِقْرَعَةٍ ! » ، فَقَالَ إِسْحَاقُ : « وَلَا أَتَيْتَ بِمِثْلِ هَذَا
الْفِعْلِ ! » . وَضَرَبْتُ ضَرْبًا مُبَرِّحًا ، وَلَمْ تُرْفَعْ الْمِقْرَعَةُ عَنِّي حَتَّى
حَلَفْتُ لَهُمْ أَلَّا أَزِيدَ عَلَى مَعْرِضِ وَالِدِي وَأَقْتِصَادِهِ ، فَأَقَمْتُ عَلَى هَذَا
إِلَى الْيَوْمِ »

وَمَا زَالَ عَنْهُ إِلَى أَنْ تُوفِّيَ

١٠ - وَلَمَّا اسْتَفْحَلَ أَمْرُ ابْنِ الْخَلِيجِ ، انْحَاذَ عَنْهُ جَيْشُ مِصْرَ وَ عَرَابُ مِنَ
إِلَى الْإِسْكَندَرِيَّةِ وَخَلَا الْفُسْطَاطُ مِنْهُمْ ، وَكُنْتُ بِمَدِينَةِ أَهْنَاسٍ ^(١) ،
وَأَضْطَرَبَتِ النَّوَاحِي ، وَاحْتَجَجْتُ إِلَى مُشَاهَدَةِ الْفُسْطَاطِ . فَتَخَفَّرَتْ
بِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ مِنَ الْقَيْسِيَّةِ ، دَفَعْتُ إِلَيْهِمْ عَشْرِينَ دِينَارًا وَخَرَجْتُ مَعَهُمْ ،
فَأَحْسَنُوا الْعِشْرَةَ ، وَأَجَمَلُوا الصُّحْبَةَ . وَكُنَّا لَا نَجْتَازُ بَحِيَّ وَلَا جَمَاعَةَ
إِلَّا كَفَوْنَا مَوْنَةً كَلَامَهُمْ ، وَصَرَفُوا عَنَّا بِأَسْهَمِهِمْ . وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ

(١) أَهْنَاسُ : بَلَدَةٌ بِالصَّعِيدِ مِنْ عَمَلِ الْبَهْنَسَا

دَأْبُنَا حَتَّى بَلَغْنَا قَصْرَ الْجِيزَةِ ، فَأَقْبَلَتْ رَعْلَةٌ مِنَ الْأَعْرَابِ ^(١) -
 قَدَّرْتُهَا بِرَأْيِ الْعَيْنِ خَمْسِينَ فَارْسًا - كَانَتْ مِنْ غَيْرِ حِيَّتِهِمْ ، فَصَمَّمْتُ
 نَحْوَنَا بِرِمَاحِهَا ، وَعَمِلْتُ عَلَى نَهْبِنَا وَقَتْلِنَا ، وَرَأَيْتُ الْمَوْتَ فِي أَسِنَّتِهِمْ .
 وَأَحْسَنَ الْأَرْبَعَةَ - الَّذِينَ تَخَفَّرْنَا بِهِمْ - لِقَاءَهَا وَالتَّضَرَّعَ إِلَيْهِمْ ،
 وَنَاشَدُوهُمْ إِلَّا يُخَفِّرُوا ذِمَّتَهُمْ ، وَأَجْمَلُوا النَّاتِيَّ حَتَّى انْصَرَفُوا ^(٢) .
 وَجَدَدْنَا فِي السَّيْرِ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى حَيِّ الْمُخَفَّرِينَ لَنَا ، فَقَالَ
 الْمُخَفَّرُونَ : « قَدْ بَلَغْتَ إِلَى مَنْ تَأْمَنُهُ ، فُحِطَ رَحْلُكَ ، فَمَا تَسْتَقِلُّ ^(٣) »
 دَوَّابُّكَ الزِّيَادَةُ عَلَى هَذَا السَّيْرِ . فَنَزَلْتُ وَتَقَدَّمْتُ إِلَى الْغُلَّامَانِ فِي
 إِطْعَامِهِمْ ، وَلَمْ أَجِدْ لِلطَّعَامِ مَسَاغًا مِنْ فَرِطٍ مَا لَحِقَنِي مِنَ الرَّوْعِ .
 وَعَمِلْتُ فِي الْمُخَفَّرِينَ هَذِهِ الْآيَاتِ :

حَزَى اللَّهُ خَيْرًا مَعَشَرًا حَقَّنُوا دَمِي
 وَقَدْ شُرِعَتْ نَحْوِي الْمُتَّقِفَةُ السُّمُرُ
 دَرَاهِمُهُمْ مَبْذُولَةٌ لِضَرْفِ حِيَّتِهِمْ
 وَأَعْرَاضُهُمْ مِنْ دُونِهَا الْغَفَرُ وَالسَّيْرُ
 إِذَا مَا أَغَارُوا وَاسْتَبَاحُوا غَنِيمَةً
 أَغَارَ عَلَيْهِمْ فِي رِحَالِهِمُ الشُّكْرُ
 وَإِنْ نَزَلُوا قَطْرًا مِنَ الْأَرْضِ شَاسِعًا
 فَمَا ضَرَّهُ إِلَّا يَكُونُ بِهَا قَطْرُ

(١) الرعلة : القطعة من الخيل قدر عشرين

(٢) تَأْتِي لِلشَّيْءِ : تَرْفُقُ لَهُ وَأَتَاهُ مِنْ وَجْهِهِ

(٣) تَسْتَقِلُّ : تَحْتَمِلُ

فَلَحَظْنِي وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَأَنَا أَكْتُبُهَا ، فَظَنَّ أَنِّي أَكْتُبُ إِلَى السُّلْطَانِ
 فَاسْتَكْبَرَ مَا كَانَ مِنَ الْفُرْسَانِ الَّذِينَ لَقُونَا بِقَصْرِ الْجِيزَةِ ، فَقَالَ :
 « قَدْ سَأَلْتُكَ اللَّهُ مِنْ أَوْلِيكَ الْقَوْمِ ، وَقَدْ أَحْسَنُوا إِلَيْنَا فِي حُسْنِ
 الْإِجَابَةِ لَنَا ، فَلَا تَكْتُبْ فِيهِمْ بَشْيَءٌ » . فَقَالَتْ : « وَاللَّهِ مَا كَتَبْتُ
 فِيهِمْ وَلَا فِي غَيْرِهِمْ إِلَى السُّلْطَانِ بَشْيَءٌ » ، فَقَالَ لِي شَيْخٌ مِنَ الْمُخَفَّرِينَ
 - وَقَدْ قَرُبَ مِنِّي - : « فَمَا تَكْتُبُ ؟ » ، قُلْتُ : « أَكْتُبُ أَيْيَانًا
 مَدْحُكُمْ فِيهَا » ، فَقَالَ : « وَإِنَّكَ لَتَقْرُضُ الشَّعْرَ ؟ » ، قُلْتُ :
 « نَعَمْ ! » ، قَالَ : « أَنْشِدْنِي عَلَى اسْمِ اللَّهِ » ، فَأَنْشَدْتُهُ إِيَّاهَا ، فَقَالَ :
 « بَرَكَ اللَّهُ وَوَصَّلَكَ ! »

ثُمَّ صَاحَ بِالثَّلَاثَةِ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَنْشَدَهُمْ إِيَّاهَا ، فَمَا خَرَمَ - شَهِدَ
 اللَّهُ - حَرْفًا وَاحِدًا ، فَعَجِبْتُ مِنْ حِفْظِهَا وَلَمْ أُعِدْ عَلَيْهِ حَرْفًا
 مِنْهَا ، وَتَبَيَّنَتِ الْفَرَحُ فِي سَائِرِهِمْ ، وَحَفِظُوهَا بِأَجْمَعِهِمْ . ثُمَّ صَاحَ
 بِهِمُ الشَّيْخُ : « مَا تَنْتَظِرُونَ ؟ أَرَحْضُوا ^(١) السَّوْءَةَ عَنْكُمْ » . فَأَدْخَلُوا
 أَيْدِيَهُمْ فِي جُيُوبِهِمْ ، وَجَمَعُوا شَيْئًا أَخَذَهُ الشَّيْخُ مِنْهُمْ ، ثُمَّ قَالَ لِي :
 « قَدْ شَكَرْنَا صَدِيقَتَكَ ، وَاللَّهِ لَا نَجْمَعُ بَيْنَ شَعْرِكَ وَوَفْرِكَ ! » ، وَوَضَعَ
 الْعَشْرِينَ الدِّينَارَ بَيْنَ يَدَيَّ فَأَكْبَرْتُ ذَلِكَ وَأَعْظَمْتُهُ . فَقَالُوا لِي :
 « الصَّوَابُ أَلَّا يَعْلَمَ بِهَا عَشِيرَتُنَا ، فِيرْجِعْ عَلَيْكَ مِنْهَا أَكْثَرُ مِمَّا
 خِيفْتَهُ مِّنْ لَّقَيْكَ بِقَصْرِ الْجِيزَةِ » . وَرَكِبْتُ فَسَرْتُ مَعَ جَمْعٍ كَثِيرٍ
 مِنْهُمْ وَهُمْ يَنْشُدُونَ تِلْكَ الْآيَاتِ ، فَالْتَمَسْتُ أَنْ يَقْبَلُوا مِنِّي بَرًّا فَلَمْ

أَصِلْ إِلَى ذَلِكَ ، وَرَأَوْا أَنَّ الشَّعْرَ أَحْسَنُ مَوْقِعاً مِمَّا مَلَكَتْهُ

المؤلف
وعباسي

١١ - وَنَزَلَ فِي حَارَتِنَا غَلامٌ مُرَدُّ تَأْخُذِهِ الْعَيْنَ ، وَكُنْتُ
أُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِذَا آجَسَتْ بِهِ ، كَمَا أَفْعَلُ هَذَا بغيرِهِ مِنْ جِيرَتِي .
فَانْصَرَفْتُ يَوْمًا إِلَى مَنْزِلِي فَوَجَدْتُهُ قَائِمًا عَلَى بَابِهِ ، فَدَفَعَ إِلَيَّ رَقْعَةً
يَذْكُرُ فِيهَا أَنَّهُ عَبَّاسِيٌّ مِنْ وَلَدِ الْمَأْمُونِ ، وَيَسْأَلُنِي فِيهَا بِرَّهِ . وَدَخَلَ
مَنْ كَانَ مَعِيَ بِدُخُولِي ، فَقَضَيْتُ شُغْلِي بِالْجَمَاعَةِ حَتَّى أَنْصَرَفُوا ، وَوَضَعْتُ
الْمَائِدَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْعَبَّاسِيِّ فَأَكَلْنَا ، وَهُوَ يَتَأَمَّلُنِي فَلَا يَجِدُ فِي شَيْءٍ
قَدَرَهُ . فَلَمَّا غَسَلَ يَدَهُ ، دَفَعْتُ إِلَيْهِ ثَلَاثَةَ دَنَانِيرَ ، وَاعْتَذَرْتُ إِلَيْهِ
مَنْ تَقْصِيرِي فِي حَقِّهِ ، وَأَنْصَرَفَ وَقَدْ رَأَيْتُ تَبَجُّلِي فِي حَمَالِقِ
عَيْنِيهِ

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ بُسْنِيَّاتٍ ^(١) - وَأَنَا فِي ضِيَاعٍ تَقَبَّلْتُ بِهَا ^(٢)
وَلِي فِيهَا غَلَّةٌ ^(٣) بِمَالٍ جَسِيمٍ ، نَفِخْتُ أَنْ أَدْخُلَ الْفُسْطَاطَ فَتَخَرَّبَ
الضِيَاعُ وَتَتَعَطَّلَ عِمَارَتُهُمَا ؛ فَكُنْتُ أَكْمُنُ نَهَارًا فِي بَعْضِ مَنَازِلِ
الْفَلَاحِينَ ، وَأُظْهِرُ لَيْلًا فَأَعْقِدُ مِنْهَا مَاتِهِيًا إِلَى عَقْدِهِ ^(٤) . فَإِنِّي لَكَا مَنَّ
فِي يَوْمٍ مِنَ الْإَيَّامِ حَتَّى سَمِعْتُ رَجَّةً شَدِيدَةً ، فَدَخَلْتُ إِلَى بَعْضِ

(١) تصغير سنوات

(٢) تقبل بخراج أو جباية : تكفل بها والتزمها بعقد

(٣) الغلة : الدخل من كراء دار ، أو أجر غلام ، أو فائدة أرض

(٤) يعقد منها : يريد يجمع منها

غُلْمَانِي . فقال : « دَخَلَ أَصْحَابُ دُمِيَانَةَ الضَّيْعَةَ ، وَعَمِلُوا عَلَى نَقْلِ الْغَلَائِ ! » ، وَأَيَقَنْتَ بِتَأْفِ أَكْثَرِ مَا أَمْلِكُ ، ثُمَّ سَكَنْتُ أَصْوَاتَهُمْ

ودخل إلى غلام لي فقال لي : « يامولاي ! كانت هذه الضياع قد أشفّت على نقل ما فيها ^(١) ، حتى نَظَرَ إِلَى الْعَبَّاسِيِّ الَّذِي كَانَ فِي جِوَارِنَا ، فَقَالَ لِي : « أَلَسْتَ غُلامَ أَحْمَدَ بْنِ يُوسُفَ ؟ » ، قُلْتُ : « نَعَمْ ! » ، قَالَ : « فَهَذِهِ ضَيَاعُهُ ؟ » ، قُلْتُ : « نَعَمْ ! » ، نَصَّاحَ بِالْجَمَاعَةِ الَّتِي دَخَلَتْ مِنْ أَصْحَابِ دُمِيَانَةَ : « أَخْرِجُوا بِأَسْرَمِكُمْ عَنْهَا » ، فَخَرَجُوا . ثُمَّ قَالَ لِي : « قُلْ لِمَوْلَاكَ : يَا سَيِّدِي ! مَحَلِّي عِنْدَ الْأَمِيرِ دُمِيَانَةَ مَحَلُّ الْإِخْ ، فَأَظْهَرُ وَأَرْكَبُ إِلَيْهِ ، فَقَدْ آمَنَكَ اللَّهُ عَلَى نَفْسِكَ وَمَالِكَ » . فَسَأَلْتُ الْغُلامَ : « مَا كَانَ زِيَّتُهُ ؟ » ، فَقَالَ : « كَانَ عَلَيْهِ كِسَاءٌ صَوْفٍ مِمَّا يُنَامُ فِيهِ ؛ وَتَحْتَهُ خُفَّتَانُ » ^(٢)

فَأَحْضَرْتُ بَعْضَ مَشَايِخِ الضَّيْعَةِ ، وَحَمَلْتُ مَعَهُ إِلَيْهِ دُرَّاعَةَ خَزٍّ كُحْلِيَّةً ، وَمُطْرَفَ خَزٍّ ^(٣) ، وَخَمْسِينَ دِينَارًا ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَقْبَلَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ نَاحِيَتِي . فَقَبِلَ الدَّرَّاعَةَ الْخَزَّ ، وَرَدَّ الْمُطْرَفَ وَالْدَنَانِيرَ ، وَقَالَ لِرَسُولِي : « وَاللَّهِ لَلثَلَاثَةِ الدَّنَانِيرِ - الَّتِي وَهَبَهَا لِي لِشَرَفِي لَا لَشَيْءٍ مِمَّا ظَنَنْتُهُ بِهِ - أَحْسَنُ مَوْقِعًا عِنْدِي مِمَّا رَدَدْتُهُ إِلَيْهِ ،

(١) أَشْفَى عَلَى كَذَا : أَشْرَفَ وَقَارَبَ

(٢) الْخُفَّتَانِ : ضَرْبٌ مِنَ الثِّيَابِ ، وَكَأَنَّهُ قَرِيبٌ مِمَّا نَسْمِيهِ (الْقَفْطَانِ)

(٣) الْمُطْرَفُ : ثَوْبٌ يَكُونُ فِي أَطْرَافِهِ وَشَيْءٌ وَأَعْلَامُ

فكثّر الله في الناس مثله !

فلم يزل عَصْدًا لِي وَسِثْرًا عَلَيَّ ، حتى انصَرَفَ دميانة عن
الناحية

يحيى بن نجه
والرخجي

١٢ - وحدثني يحيى بن الفضيل ، عن يحيى بن نجه - وكان هذا
الرجل حسن الكتابة - ، قال :

« ترددتُ إلى عمر بن فرج الرخجي مدة ، فدخلتُ عليه
في يوم من الأيام . فقال : « قد أنضيناك ^(١) » اقد استنممتَ في
هذا اليوم سنة ، ووقع لي بتقليد عمل سني . واضطربت فيما
أحتاج إلى التجهز به ، فلما لم يبقَ عليّ إلا نص ^(٢) ركابي ، برزت
ظهري وثقل ^(٣) ، ووقفت على باب دار أمير المؤمنين المنتصر
أنتظر توديع عمر والخروج إلى عملي . فرأيتُ غلمانَ عمر يتسلّلون
فسألت عن السبب ، ف قيل لي : « سخطَ أمير المؤمنين على عمر ! »
فحرتُ ، وخفتُ أن أرجعَ إلى منزلي فأخسرَ جميعَ ما أنفقته .
فإني اني تلك الحيرة حتى خرج عمر بن فرج ، ومعه رجلٌ من
شيعة بني العباس ، فقال لي : « أين كُلُّ من كان معي ؟ » ، فقلت
« تسلّلوا للحادث ! » ، فقال : « وقد وُكِّلَ بي هذا الشيعي على

(١) أنضاه : أتعبه

(٢) نص الركاب : تسييرها

(٣) الثقل : متاع المسافرين وحشمه

أَنْ يَنْفِيَنِي إِلَى بِلَادِ التُّرْكِ ، وَلَمْ أُعِدَّ شَيْئاً وَلَا أَجِدُ مِنْ يُعِدُّهُ لِي ،
قُلْتُ : « هَذِهِ قُبَّةٌ وَظَهَرُ يُقَالُ لَكَ ، وَأَنَا أَصْحَبُكَ شُكْرًا عَلَى مَا أَسْلَفْتَنِي
مِنَ التَّقْلِيدِ »

فَرَكِبَ الْقُبَّةَ ، وَأَحْضَرَ الشَّيْعِي قُبَّةً لَهُ ، وَرَكِبْنَا وَأَنَا أُعَادِلُهُ ^(١) ،
وَانْتَهَى الْمَسِيرُ بِنَا إِلَى خُرَاسَانَ . وَكُنَّا لَا نُفْضِي مِنْ بُلْدَانِ خُرَاسَانَ
إِلَى بَلَدٍ إِلَّا وَجَدْنَاهُ أَغَاطَ طَبْعاً مِنَ الْبَلَدِ الَّذِي فَارَقْنَاهُ ، حَتَّى بَلَّغْنَا
بُخَارَى ، فَرَأَيْنَا قَوْمًا فِي نَهَائِهِ مِنْ غَاظِ الطَّبَاعِ ، فَقَالَ لِي - حِينَ
رَأَى أَنِّي أَتَعَجَّبُ مِنْهُمْ - : « كَيْفَ لَوْ رَأَيْتَ التُّرْكَ وَبُلْدَانَهُمْ ؟ يَقْتُلُونَ
الْمُسْتَجِيرَ بِهِمْ ، وَيُغَيِّرُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، فَيَهْلِكُ النَّازِعُ إِلَيْهِمْ
بَيْنَهُمْ ^(٢) ! » ، فَزَادَنِي هَذَا الْقَوْلُ تَهْيِئاً لِلسَّيْرِ مَعَهُ ، ثُمَّ مَلَكَتُ
مَا اسْتَغْرَبَ ^(٣) مِنِّي ، وَتَمَاسَكْتُ

وَجَدَّ بِنَا السَّيْرَ عَنْ بُخَارَى إِلَى أَرْضِ التُّرْكِ ، وَإِنِّي مَعَهُ فِي الْقُبَّةِ -
وَهُوَ يُحَدِّثُنِي بِشَيْءٍ قَدْ شَغَلَنِي عَنْ تَبَيُّنِهِ مَا يُقْلِقُنِي مِنْ رُكُوبِ
مَا أَقْدَمْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَرِ - حَتَّى سَمِعْنَا حَلَقَ الْبَرِيدِ ، فَدَشَوْفْنَا لَهَا ،
وَوَافِيَ بِهَا رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَكِتَابُهُ بِمَا أَمَرَهُ بِالْحَضْرَةِ : مِنَ الرِّضَا
عَنْهُ وَرَدَّهُ إِلَى مَرْتَبَتِهِ ؛ وَيَأْمُرُهُ فِيهِ بِكَشْفِ مَدُنِ خُرَاسَانَ ، وَتَجْرِيدِ
عُقُودِهَا عَلَى أَصُوبٍ مَا اسْتَقَرَّتْ عَلَيْهِ ، وَاسْتِثَارَةِ التَّوْفِيرِ بِهَا وَالزِّيَادَةِ

(١) عادله : ركب معه في الجانب الآخر من يحمل البعير

(٢) النازع : الطارئ الغريب

(٣) ما استغرب مني : ما تباعد عني من عزيقتي ورأيتني

فيها . فلما استتم قراءته ؛ حمد الله وألقى الكتاب إلى ؛ وقال : « بارك
الله لك في الخلاص وهنأك المزيدي » . ورد إلى تأمل ما أمر به
أمير المؤمنين من كشف عُقُود النواحي «
فانصرف إلى منزلي بمائة ألف دينار ؛ مع ارتهان شكر المعاملين
وإحماد السلطان » ^(١)

والد المؤلف
ومصطنعيه

١٣ — وحدثنا أحمد بن يوسف ، قال :

« حبس أحمد بن طولون يوسف بن إبراهيم والذي في بعض
داره . وكان اعتقال الرجل في داره يؤيس من خلاصه ^(٢) ، فكاد
يستره ينهتك لخوف شمله عليه . وكان له جماعة من أبناء السستر
يتحمل مؤنهما ، مقيمة عليه لاتفقة طمع إلى غيره . فاجتمعوا - وكانوا
زهاء ثلاثين رجلا - فركبوا إلى دار أحمد بن طولون ، فوقفوا بباب
له يعرف بباب الجبل ، واستأذنوا عليه فأذن لهم . فدخلوا إليه ،
وعنده محمد بن عبد الله بن الحسك وجماعة من أعلام مشورى مصر ،
فابتدروا كلامه بأن قالوا : « قد اتفق لنا - أيد الله الأمير - من
حضور هذه الجماعة مجلسه ، مارجونا أن يكون ذريعة إلى ما نأمله ؛
ونحن نرغب إلى الأمير في أن يسألها عنا ، ليقف على منازلنا » .
فسألهم عنهم ، فقالوا : « قد عرّضت العدالة على أكثرهم فامتنع

(١) أحمد بن السلطان : رضى فعله ووجده مستحقا للحمد

(٢) آيسه الامر : مثل أياسه

« حنها »^(١)

فأمرهم أحمد بن طولون بالجلوس؛ وسألهم تعريفه ما قصدوا له؛ فقالوا: « ليس لنا أن نسأل الأمير مخالفة ما أمر به في يوسف بن إبراهيم، لأنه أهدى إلى الصواب فيه، ونحن نسأله أن يُقدمنا إلى ما اعتزم عليه فيه: إن آثر قتله أن يُقتلنا؛ وإن آثر غير ذلك أن يُسلف بنا »^(٢)، وهو في حل وسعة منه، قال: « ولم ذلك؟ »، فقالوا: « لنا ثلاثون سنة ما فكرنا في اتباع شيء مما آحتجنا إليه؛ ولا وقفنا بباب غيره. ونحن والله أيها الأمير نرتمض^(٣) البقاء بعده من السلامة من شيء من المكروه وقع فيه، وعجوا بالبكاء بين يديه. قال أحمد بن طولون: « بارك الله عليكم فقد كافأتم إحسانه وجازيتم إنعامه »، ثم قال: « على يوسف بن إبراهيم »، فأحضر. فقال: « خذوا بيد صاحبكم وانصرفوا ». فخرجوا معه؛ وانصرف بهم إلى منزله »

١٤ - قال :

المؤلف
« وطالبني بعض عمال الخراج بمصر بمال زاد على ما في حاصلي؛ وبعض التجار

فاحتجت إلى مُعاملة بعض التجار عليه؛ فدللت على رجل من

(١) العدالة: تزكية الشهود عند القاضى وتعديلهم، أى أن يقول
لأنهم عدول، وكانت من وظائف القضاء

(٢) يسلف بنا: يبدأ بنا ويجعلنا سلفاً، والسلف: المتقدمون

(٣) ارتمض الرجل من الشيء: إذا اشتد فأقلقه كأنه يقف في
الرمضاء، وهى حر الحجارة من شدة حر الشمس

أهل الشام يعامل برهون؛ فصار إلى - وأنا في بيت المال -
منه شيخ حسن الصورة جميل اللقاء ، فقال : « إلى كم تحتاج ؟ »
قلت : « إلى مائتي دينار » . فأخرج من كُمه مالا فوزنه ، واستزاد
من غلام كان معه دنانير حتى أكمل المائتين ، ثم سألها إلى واقتضاني
خطا بها ، وقال : « قد كُفيت مؤونة الرهن » ، فقلت : « فكيف
أكتب الخط ؟ » ، قال : « بمائتي دينار كما أعطيتك » ، فقلت له :
« سبيل المعاملة غير هذا ! » ، فقال : « والله لا قبلت منك فيهار بجأ ،
ولو وهبتها لك لكان من أصغر حقوقك علي » ، ثم قال لي :
« تعرفني ؟ » ، قلت : « لا ! »

قال : « ركبت مرّة كبا أريد الفسطاط من تنيس ، وحملت فيه
تجارة لي ما كنت أملك غيرها ، حتى إذا بلغت المحلة ووازيت
ضياعا كانت في يدك ، كسر بنا ، وغرق جميع ما أملكه ، وسلمت
بجشاشة نفسي ^(١) . فجلست على الشط أبكي وأنتحب ، فأقبلت في جماعة
معك فسألتنى عن حالى فأخبرتكم بها ، فبثثت في حشد من يغوص
على المركب وما فيه وحططت على الشط ، فأخرجوا بزّا كان
لي وتآلف ما سواه ؛ واستحلقتني على ما ذهب لي فأخبرتكم به -
وكانت قيمته سبعين دينارا - فقسمتها لي على وكلائك وكتّابك

(١) الحشاشة : بقية رمق الحياة والروح في المريض والغريق

فلما حصلتُ لى أعطيتنى دنائيرَ من عندك وقلت لى : « هذا أَرُشُ »^(١)
 ما لحقك فى الشَّباب ، وأمرت أن يُكْتَرى [لى] إلى تَنْيسَ ، وكتبت لى
 إلى جماعة معاً إليك بتَنْيسَ بما لحقنى ، وبمعوتى على أمرى ، فرجع بك إلى
 ما أَمْلِكُ ، واكتسبت جاهاً بتَنْيسَ تضاعف مالى به ، وحسنت معه حالى
 « وأخذ خطى بالمال وأصرف ،

أحمد بن بسطام
 وصاعد

١٤ - وسمعت أبا العباس أحمد بن بسطام يُحدِّث ، أبا الطيب
 أحمد بن على ، قال :

« لما سَخِطَ الموفق على صاعدٍ وكَلَّ به من يطالبه ، وأقرنى
 والطائى على ما كنا نتفادُه له . وكان صاعدٌ محسناً إلينا ، جميلَ العِشرة
 لنا ، فلم نترك شيئاً نصل إليه بما خفف عنه إلّا بلغناه . وكانت بينى
 وبين الطائى إحنة ^(٢) ، فدعانى الموفق فى يوم من الأيام - ونحن
 بواسطٍ وقد بَاجَ ^(٣) صاعدٌ ، واستنزل المستخرج جميع ما وصل إليه
 منه - ، فقال لى : « أحمدُ ! ادْخُلْ إلى صاعدٍ فقل له : أظنك
 أَرْضَيْتَ المستخرجَ حتَّى فَتَرَ فى مطالبتك ، وتالله لئن لم تخرج
 مُحْتَجِبَكَ ، لا تولَّينَ تعذيبك بنفسى ! »

فدخلت إليه وأديت الرسالة ، فقال لى : « يا أحمد ! والله ما بقى

(١) الأرش : دية الجراحات والجنايات التى ليس لها قدر معلوم وهو
 الذى نسميه « التعويض »

(٢) إحنة : حقد وعداوة

(٣) بلج : أفلس

لى شىء ، وما ملكت قط ما هو أحب إلى من نفسى ، فتقول له :
 ياسيدى ! والله ما أملك على الأرض ولا فيها ديناراً ولا درهما ولا
 جوهراً ، وأنت أرى بالتطوّل^(١) على خادمك ، . فانصرفت من عنده
 وأنا أخاف أن يُغريه ذلك الجواب . ودخلت إليه وقلت له :
 يقول لك : « ياسيدى ! ما أملك على وجه الأرض ولا بطنها غير
 مائة ألف دينار عند الطائى » . فأمر يا حضاره ، فلما مثل بين يديه ،
 قال له : « المائة الآلاف الدينار التى لصاعد عندك ، قد بعثت إلى
 يحلف أنه لا يملك غيرها » . فقال له : « وهى بمدينة السلام ، فيُنظرنى
 الأمير مسافة الطريق ، وأنا أستسلف له ما تيسر منها من التجار
 هاهنا ؟ » . فقال له : « اكتب خطك بها » . فكتبه وسلمه إلى
 الموفق ، فسلمه إلى غلام من خاصته ، وانصرف الطائى

فاستقبح ما صدر منى فيه ، وعظم فى نفسى لتصديقه صاحبه ،
 وترك معارضته بما يدفع به المرء عن نفسه . فدنوت من الموفق
 وقلت له : « أيتها الأمير ! جميع ما أديته إليك عن صاعد منى تقولته ،
 وقد قبّح فى عيني ، وسيدى الأمير بخير بين الصفيح عنه والعقوبة
 عليه » . فقال : « أحسنت ! بارك الله عليك » . ثم أمر برد
 الطائى ، فقال : « لم لم تتقرب إلى بذكر هذا المال ؟ » فقال :
 « أيتها الأمير ! يمنعنى من ذلك ما تولاه من اصطناعى » فقال له :
 « ايس يقنعنى إلا أن تحلف برأسى على هذا المال ، وفى أى وقت

(١) تطوّل عليه : تفضل عليه وأحسن إليه

دَفَعَهُ إِلَيْكَ . فَقَالَ : « يَعْنِينِي الْأَمِيرُ مِنْ ذَلِكَ » . فَقَالَ : « وَاللَّهِ لَا فَعَلْتُ » . فَقَالَ : « وَحَقُّ رَأْسِ الْأَمِيرِ مَالُهُ عِنْدِي دَرَاهِمُ وَاحِدٌ فَضْلًا عَنْهُ ، وَلَكِنِّي لِمَا رَأَيْتُهُ قَدْ عَاذَ بِالْدَعْوَى عَلَيَّ ، ثَبِّقْنَتْ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ لَهُ حِيلَةٌ فِي الْمَدَافَعَةِ عَنْ نَفْسِهِ ، فَعَمَلْتُ عَلَى تَحْمُلِ هَذَا الْمَالِ ، وَوَاللَّهِ مَا أَمْلِكُهُ ، وَرَجَوْتُ أَنْ أَصِلَ إِلَيْهِ بِجَاهِي وَطَافِي حِيلَتِي » . فَاسْتَحْضَرَ الْمَوْفِقَ الْخَطَّ وَدَفَعَهُ إِلَى الطَّائِي ، فَقَالَ لَهُ : « خَرِّقْهُ » . ثُمَّ تَقَدَّمَ بِإِعْفَاءِ صَاعِدٍ مِنَ الْمَطَالِبَةِ .

نجاح بن سلمة
وابن تميم

١٦ - وَكَانَ نَجَاحُ بْنُ سَلَمَةَ - مَعَ مَا يُؤَثَّرُ عَنْهُ مِنْ زَعَارَةِ أَخْلَاقِهِ ، ^(١) وَقَبِيحِ تَسَلُّطِهِ - يَحْبُ التَّبَسُّطَ عَلَى طَعَامِهِ ، وَيَحْسِنُ الْمَكَافَأَةَ عَلَيْهِ . فَخَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ تَمِيمٍ ، قَالَ : أَقَامَ إِسْحَاقُ وَالِدِي بِبَغْدَادَ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً فِي رَفْعِ حِسَابِهِ ، يَنْقُضُ الْكِتَابَ جَمَاعَاتِهِ وَيَسْلُطُونَ الْإِعْنَاتَ عَلَيْهِ ، قَالَ لِي يَعْقُوبُ ، فَخَدَّثَنِي أَبِي : أَنَّ أَغْلَظَ الْكِتَابِ بِأَسْرَمِهِ كَانَ عَلَيْهِ ، نَجَاحُ بْنُ سَلَمَةَ . قَالَ : « فَلَمَّا أَفْرَطَ عَلَى سُوءِ تَحْكُمِهِ ، جَلَسْتُ فِي مَنْزِلِي ، فَمَرَّبَهُ أَسْمَى ، فَقَالَ : « قَدْ عَزَمَ إِسْحَاقُ بْنُ تَمِيمٍ عَلَى أَنْ يَتَرَبَّصَ بِنَا كَمَا كَانَ يَتَرَبَّصُ بِمَنْ كَانَ قَبْلَنَا ؟ » . ثُمَّ نَظَرَ إِلَى بَعْضِ الْمَضْمُومِينَ إِلَيْهِ فَقَالَ : « بَكَرٌ إِلَى إِسْحَاقَ ابْنِ تَمِيمٍ فَأَحْضَرَهُ الدَّارَ إِلَى أَنْ أَنْصَرَفَ » . قَالَ : فَبَاكَرَنِي فَظُّ مِنْ الْجُنْدِ لَمْ أَمْلِكْ نَفْسِي مَعَهُ حَتَّى صَارَ [بَنِي] إِلَى دَارِ نَجَاحٍ ، فَوَجَدَنَاهُ

(١) الزعارة : الشراسة وسوء الخلق

قد ركب

فخصاني على الباب وجاس معي^(١)، وتعالى النهار واشتدَّ جُوعى .
 فقلت له : « آهض معى إلى المنزل لنأكل جميعاً ونرجع ! » فأبى .
 فقلت لحاجب نجاح - ورأيتُه متمكناً من داره : - « أصلحك الله ،
 إنى قليل الصبر على الجوع ، وأخاف أن يتأخر الأستاذ وأضعف
 عن حجتى فى حضوره لغلبة الصفرَاء على ، وقد سألت هذا الرجل
 أن يُطلق لى الذهاب إلى منزلى لأكل وأرجع فأبى ، قال : « لم
 لا تأكل هاهنا ؟ » . وأجلسنى فى بُشْخانة^(٢) فيها ، واستحضر الطعام ،
 فأحضرت مائدة نجاح بن سلمة ، ولم يبق حُلُوٌّ ولا حاض ولا حار
 ولا بارد إلا نُقِلَ علينا . حتى إذا بلغتُ إلى الحُلُوء من الطعام ،
 دخل الدار نجاح فجلس فى المجالس ، ورآنى فى دخوله ، ومكانى من
 البُشْخانة^(٣) ، فبعث إلى غلاما له [يقول] : « بحياتى استَئِمْ أَكْلَكَ
 ولا تتجوز فيه » . فأقمت حتى فرغ الطعام ، وجأؤنى بالغُسل
 والبُخُور ، ثم قمتُ . فلما رآنى ضحك إلى وقال : « من علمك على
 هذا ؟ » ، قلت : « التوفيق » ، قال : « أجل ! » ، ثم قال لى : « ارفع
 حسابك كيف شئت واحشُه ، فقد أَمَّنكَ اللهُ من اعتراضك بشىء
 فكرهه »

(١) حصله على الباب : يريد ، وصل به إليه وأبقاه

(٢) فى الأصل : ، نأخه ، فى الموضعين ، وأقرب ما أعرف إلى هذا

الرسم هو : ، بشْخانة ، قال الخفاجى : يقال لها التاموسية ، عامية معربة
 « بشه خانه » ، أى بيت البعوض ، أو كما أخبرنى بعضهم أنها بيت الحاجب

قال يعقوب : قال لي أبي : « فغدوتُ إليه بحسابي ، فوالله ما زاد على التوقيع في الجَمَاعَاتِ بإعضائها وتخليدها . ثم قال : « متى تعزم على بلدك ؟ » ، فقلت : « ياسيدي ! إنما أُنْتَظَرُ فيه إِنْكَ ، فكل شيء لي مفروغٌ منه » ، فقال : « اجعله بعد صلاة الجمعة » ، قلت : « أفعل » . ثم قال لي : « تروح إلى لالفاك في حوائج لي ؟ » ، فقدرتُ أن يحمّلني في الحوائج غُرم الألف الدينار

فلما رحتُ إليه ، دخلتُ وهو خالٍ ، فقال لي : « إنك ترجع إلى بلدٍ قد يئس منك فيه أهله ، فأدخل الجارُ من جيرانك الخشبة في حائطك ، والجارُ في البستان قد تحيف حدودك ^(١) ، فهب لي ما بينك وبينهم » . قلت : « أفعل »

قال : « وترى ببلدك جماعة قد ارتفعُوا ، أبناءَ خاملين ، فلا تنهرهم بدقّة ^(٢) أصولهم ، وانصرف ^(٣) عما كان عليه سلفهم ، فإنه يزرع لك المقت في قلوبهم » . قلت : « أفعل »

قال : « وأصحاب البريد ، فاحذر أن يرد في كتبهم ذكرٌ لك بخير ولا شر » . قلت : « أفعل »

ثم أومى إلى يعانقني ، قلت : « ياسيدي ! حوائجك ؟ » . قال : « هي ماعدته عليك ، إنك قد حملت مني بانساطك محلّ القرابة

(١) تحيف الشيء : نقصه وأخذ من جوانبه وحافته وأطرافه

(٢) دقة الأصل : خسته وأومه

(٣) في الأصل . والصدق

الذي أُسْرَ بِصَوَابِهِ ، وَيَغْمُنِي زَكَلَهُ ، فَإِنْ حَزَبَكَ ^(١) أَمْرٌ فِي بَلَدِكَ
فَلَا تَعْدِلْ بِهِ عَنِّي ، وَأَنَا أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهَ »
« فَانصرفت عنه وأنا على غايةٍ من الشكر »

محمد بن يزيد
ومسافر

١٧ - وحدثني محمد بن يزيد - وكان حَسَنَ التَّقْشُفِ ، سَدِيدَ
الرَأْيِ - قَالَ :

أُطْلِقَ جَمَاعَةٌ مِنْ حَبْسِ أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ كَانَتْ قَدْ وَقَعَتْ بِهِمْ ظَنَّةٌ
بِالتَّلَصُّصِ ، وَكَانُوا يَنْزِلُونَ كُورَةَ أَهْنَسَ . فَإِنِّي عِنْدَ بَعْضِ أَصْحَابِ
الْأَكْسِيَّةِ حَتَّى وَاثَاهُ غَلَامٌ أَصْفَرُ ، خَبِيثُ الْمَنْظَرِ ، مَتَمَكِّنٌ مِنْ نَفْسِهِ ،
مِنَ الْخَارِجِينَ مِنَ الْحَبْسِ ، فَرَحَّبَ بِهِ ، وَجَلَسَ عِنْدَهُ ، وَهَنَاهُ بِسَلَامَتِهِ .
ثُمَّ سَأَلَ عَنْ حَالِهِ ، فَقَالَ : « خَرَجْتُ مِنَ الْحَبْسِ كَمَا تَرَانِي ، وَمَا
مَعِيَ نَفَقَةٌ تَبْلُغُنِي مَنْزِلِي »

فَقُلْتُ لَهُ : « مَا أَسْمُكَ ؟ » ، فَقَالَ : « مُسَافِرٌ » ، فَقُلْتُ لَهُ : « يَا قَتِي !
قَدَّمَ اللَّهُ فِي أُمُورِكَ وَلَا تَعْدِلْ عَنْهُ ، فَإِنَّ الرَّاحَةَ فِي ظِلِّهِ » ، فَقَالَ
لِي : « يَا سَيِّدِي ! الْحَقُّ فِيمَا قُلْتَهُ ، وَالنَّفْسُ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ، وَالتَّوْفِيقُ
إِلَى اللَّهِ دُونَ خَلْقِهِ » ، فَأَعْجَبَنِي جَوَابُهُ ، وَقُلْتُ لَهُ : « كَيْفَ يَكْفِيكَ إِلَى
مَنْزَلِكَ ؟ » ، فَقَالَ : « دِينَارٌ » ، فَرَفَعْتُهُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : « إِذَا حَدَّثَتْكَ
نَفْسُكَ بِإِخَانَةِ السَّبِيلِ فَأَبْعَثْ إِلَى حَتَّى أُمْسِكَ مِنْ رَمَقِكَ ،
وَأَكْفَ فَاقْتِكَ »

فما مضى شهر حتى اضطربت ناحية أهناس والبهتسا بتسلط
 رَجُلٍ من اللصوص - في جمع كثير ، على كثير من المواضع ،
 وكثيرهم الضياع . وكانت لى أسلاف ^(١) بسُسطا ونواحيها ،
 فخرجت لقبضها في رُفقة من التجار ، قد حملوا البز والطيب
 وما يحتاج إليه للأرياف . فإنا بنواحي الحرقة ، حتى لقينا قطعة
 من اللصوص ، فساقتنا بأسرنا إلى موضع منقطع عن المارة ،
 وفيه شاب أصفر راكب فرس ، ومعه مقدار خمسة فوارس ،
 فعرضت الجماعة عليه إلى أن بلغنى ، فتأملتُهُ فوجدته « مسافراً » ،
 فأكب على رأسى وتحنى بى ^(٢) ، ثم قال لأصحابه : « أخطأ والله
 حزرُكم ^(٣) ، هذه رُفقة شيخى وسيدى ، والله لادخل إلى
 منها شيء » . وسار معنا حتى أخرجنا إلى الأمن ، ثم قال لى :
 « أنا أعلم أنك لاتأكل طعمى ، ولا تقبل شيئاً منى ، وقد والله
 ياسيدى حببت إلى بجانب ما أنا بسيدى ، فنشدتك الله لكما
 جعلتنى طريقك فى الرجعة ! » . فتضمنت له ذلك

ودخلنا مدينة أهناس ، فشاع خبر ما أولانى فى الناس . وكان
 المتقلد لها رجلاً من أصحاب أحمد بن طولون - يُعرف بفهم -

(١) الأسلاف : القروض ، جمع سلف وهو القرض بغير فائدة

(٢) تحنى به : احتنى ، وبالع فى إظهار السرور والفرح به ، وأكثر

السؤال عن حاله

(٣) الحزر : التقدير ، حزر الشيء : قدره بالظن .

مُتَقَدِّمًا عِنْدَهُ ، أَثِيرًا لَدَيْهِ ^(١) فَبَعَثَ إِلَيَّ ، وَعَرَفَ مَذْهَبِي ، فَقَالَ :
 « قَدْ أَحْفَيْتُ الْمَسْأَلَةَ عَنْ هَذَا الْغُلَامِ ، فَرَأَيْتُهُ لَا يَرَى الْقَتْلَ ،
 وَلَا هَتَكَ الْحَرِيمَ ، وَإِنَّمَا يَتَعَلَّقُ بِأَطْرَافِ الْأَمْوَالِ وَلَا يَبْلُغُ
 الْاجْتِيَا حَ ^(٢) . وَأَنَا أَسْأَلُكَ أَنْ تَسْفِرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ^(٣) ، فَإِنِّي أُؤَمِّنُهُ
 وَأُكْرِمُهُ وَأَقْلُدُهُ سِيَارَةَ الْبِلَادِ » . فَرَجَعْتُ فِي حَاجَةِ فَهْمٍ إِلَيْهِ ،
 فَأَلْقَيْتُهُ وَالْجَمَاعَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَأَدْبَيْتُ إِلَيْهِ رِسَالَتَهُ ، وَأَعْلَمْتُهُ أَنَّ هَذَا
 الرَّجُلَ صَحِيحُ الضَّمَانِ ، فَقَالَ : « يَا سَيِّدِي ! مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ فِي الْأَعْمَالِ
 إِلَّا أَنُّسُ النَّاسِ بِهِ » . ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : « مَنْ يُسَاعِدُنِي عَلَى الْخُرُوجِ
 إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؟ » ، فَقَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ : « نَحْنُ ! » . فَسَارَ مَعِيَ
 حَتَّى إِذَا قُرْبُنَا مِنْ أَهْنَأَسَ ، وَضَعَ حَبْلًا فِي عُنْقِهِ وَقَالَ : « ادْخُلْ
 بِي فِي زِيَّ الْأَسْرَى وَهَذِهِ الْجَمَاعَةُ » ، فَدَخَلُوا ، وَالنَّاسُ يَبْكُونَ
 لِمَا اتَّفَقَ لَهُمْ مِنْ حُسْنِ الْهَدَايَةِ ، وَرَأَى النَّاسُ تَجَبُّبًا مِنْ سَوَقِ
 شَيْخٍ مِثْلِي ضَعِيفٍ رَجُلًا قَدْ أَعْجَزَ خَيْلَ السَّالْطَانِ . فَطَلَبَ فَهْمُ أَنْ
 يَقْبَلَ لَهُ خِلْعَةً ، فَامْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَضَافَ أَصْحَابَهُ إِلَى فَهْمٍ ،
 وَأَقَامَ إِلَى وَقْتِ الْحَجِّ فَخَرَجَ إِلَى مَكَّةَ رَاجِلًا ، ثُمَّ فَقَدْتُهُ »

المقرئ وراعى
غنى

١٨ — وَحَدَّثَنِي أَبُو حَبِيبٍ الْمُقْرِي ، قَالَ :

(١) الأثير : المحبوب المقرب المقدم على غيره

(٢) الاجتياح : الاستئصال والمحق

(٣) سفر بين المتخاصمين : سعى بينهما في الإصلاح

« ضاقت أحوالى ، فلم يبقَ لى إلا جارية أحبها ، ومنزلاً
أسكنه . فبعتُ المنزلَ بألف دينار ، وخرجتُ إلى مكة بالجارية ،
فقلتُ لها : « يكون هذا المال فى وسطك » فكانت إذا نزلت فى
منزلٍ حَفَرَتْ فى خِيَمَتِها حَفِيرَةً ، وأودعت المالَ فيها وطمَّتها ^(١) .
فإذا نُودِيَ بالرحيل أثارتَه وشَدَّتَه فى وَسَطِها
قال : فاتَّفَق أن رَحَلْنَا عن مَنَهْلٍ ونَسِيتِ المالَ فى الحَفرة ،
فأخبرتُنِى الجاريةُ بذلك ، قال : فخارَ فِكْرِى ، وطاشَ رُوعِى ^(٢) ،
ولم أدِرِ ما أعمل . ودخلنا مكة ، فحدَثَتْنِى نَفْسِى ببيعِها فلم يُطِئَنِ
قلْبِى . فلما رَجَعْنَا ونزلنا المَنَهْلَ الذى خَلَفْتَ فيه الكيسَ ،
رأيتُ صحراءَ ، وغلَامٌ على رابيةٍ يرعى غُنياتٍ له ، وأقبلتُ
أدور وأنظر إلى الأرض ، فقال لى : « ويَحْك ! ما تَطْلُب ؟ » ،
قلتُ شيئاً أودعته أرضُ هذا المَنَهْلِ ، فقال لى : « صفه لى » ،
قلتُ : « كيسٌ أحمرٌ فيه مال » ، فقال : « ومالى فيه إن دَلَلْتَكِ
عليه ؟ » ، قلتُ : « نصفه ! » ، قال : « هاهو ذاك فى الرابية » .
فلما رَأَى تحيِّرِى فيه ، قام حتى أخرجَه ووضعَه بين يَدِى ،
فحمدتُ الله ، وقسمتُ الكيسَ قسَمين وخيرتُه أحَدَهما ، فقال
لى : « إني أرى قِسْمِى منه كَثِيراً ، وأنا أكتفى بنصف أحد
القسمين » ، فقسمته بقسمين ، فقال : « تَقْسِمْه أيضاً بقسمين » ،

(١) طم الحفرة : كبسها ، بالتراب

(٢) الروع : القلب

فَفَعَلْتُ ، فَقَالَ : « مَا أُعْجِبُ أَمْرَكَ ! أَتُرْكُهُ كُلَّهُ حَرَامًا ، وَنَصْفَهُ
حَلَالًا ، وَتَأْخُذُ مِنْهُ شَيْئًا ! هَذَا مَا لَا يَكُونُ ، أَنْصَرِفْ بِمَا لَكَ » .
فَقُلْتُ لَهُ : « يَا غَلَامُ ! أَنْتَ حُرٌّ أَوْ مَمْلُوكٌ ؟ » ، فَقَالَ : « مَمْلُوكٌ » ،
فَقُلْتُ : « لِمَنْ ؟ » ، فَقَالَ : « لِشَيْخٍ هَذَا الْحَيِّ » .

فَدَخَلْتُ الْحَيَّ فَأَلْفَيْتُ الشَّيْخَ وَالنَّاسَ عِنْدَهُ ، فَقَامَتْ لَهُ : « رَأَيْتُ
غَلَامًا فِي الْمَنْهَلِ يَرْعَى غُنَيْمَاتٍ وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَبَيِّنَ لِي » ، فَقَالَ :
« اشْتَرَيْتُهُ بِعَشْرَةِ دَنَانِيرَ » ، فَقُلْتُ : « أَنَا آخُذُهُ بِعَشْرِينَ » ، فَقَالَ :
« إِنْ لَمْ أُبْعَهِ ؟ » ، قُلْتُ : « أُعْطِيكَ بِهِ ثَلَاثِينَ دِينَارًا » ، فَقَالَ لِمَنْ
حَوْلَهُ : « أَمَا تَسْمَعُونَ مَا يَقُولُ ؟ وَمَا يَحْمِلُكَ عَلَى أَنْ تَبْذُلَ بِهِ هَذَا
الْثَمَنَ ؟ » ، فَقُلْتُ : « جَمَعَ عَلَى ضَالَّةٍ ، فَتَذَرْتُ أَنْ أُعْثِقَهُ وَأَبْتَاعَ
الْغَنَمَ يَرْعَاهَا لَهُ ، وَأُمْلِكُهُ لِيَابَاهَا » ، فَقَالَ : « نَذَرْتُ أَنْ تَفْعَلَ بِهِ
هَذَا لَفَعْلَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْجَمِيلِ أَوْ لَا كَفَهَا ^(١) ، وَلَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ
مَلِكْنَاهُ حَسَنَةٌ تَقْتَضِي أَكْثَرَ مِمَّا نَأْتِيهِ لَهُ ؟ وَأَنَا أَشْهَدُ الْجَمَاعَةَ أَنَّهُ
حُرٌّ لَوَجْهِ اللَّهِ ، وَأَنْ مَارِعَاهُ لَهُ » .

فَانْصَرَفْتُ عَنِ الشَّيْخِ وَقَدْ بَلَغَ بِي مَا أَمْلَتْهُ لَهُ .

١٩ — وَقُلْتُ يَوْمًا لِأَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ أَبِي عِصْمَةَ

ابن أبي عصمة
وابن طغان

كَاتِبِ أَحْمَدَ بْنِ طُغْغَانَ — وَكَانَ لِي صَدِيقًا مُصَافِيًا — : « قَدْ كَثُرَ النَّاسُ

(١) أولاه الجميل : فعله ابتداء من غير مكافأة على جميل سابق

في إصابتك^(١) مع ابن طغان^(٢) ، فقال : « ما أخطئوا في التكثير ،
 وكان صاحبي سَمَحًا^(٣) ؛ ولقد أصابني منه في جهة واحدة ثلاثون
 ألف دينار ، فسألته عن تلك الجهة ، فقال : « كان لا يُمِسُّكَ
 مالا ، ولا يَعْتَقِدُ ذَخِيرَةً^(٤) ، فقال لي يوما : « لم يُصْبِحْ في حاصلي
 درهم واحد ، فاستسلف لي شيئا أنفقته . فمضيتُ إلى منزلي
 فحملتُ إليه ألف دينار . فلما وضعتها بين يديه ، ففتح الكيسَ
 وقلب ما فيه ، فلما رأى الدنانير صحاحاً جيدة ، قال : « ما هذه
 دنانير صيرفي ، فبحياتي ممن أخذتها ؟ » ، فقلت له : « كانت عندي » ،
 فقال : « ما ظننت هذا موضعك » ، وسكت

وكان له في كل شهر ألف دينار نُزْلٌ^(٥) ، فجئته به عند
 استيجابه إياه ، فقال لي : « ما هذا ؟ » ، قلتُ : « النزل » ، فقال :
 « آقِضْ به دنانير الرجل » . ثم جئته به مرة أخرى بنزل الشهر
 الثاني ، فقال : « اصرفه إلى الرجل » ، قلتُ : « قد قضيتُهُ » ، فقال :
 « اصرفه إليه كما أمرك » . فلم يزل يفعلُ بي هذا حتى مضى
 ثلاثون شهرا حصلت فيها ثلاثين ألف دينار ،

(١) كثروا في إصابتك معه ، أي : أكثروا وتزيدوا في تقدير ما استفادته
 من الأموال

(٢) السمع : الجواد السخي السهل العطاء

(٣) الذخيرة : ما يدخره الرجل ويحفظه . واعتقدها : أمسكها وجمعها
 وكأنه عقد عليها عقدة

(٤) النزل : رزق العامل وأجره - (المرتب)

٢٠ - حدثني هرون بن مملول ، قال ، حدثني ياسين بن زُرارة ، قال :

« كان ببعض أرياف مصر نصراني من أهلها كثير المال ، فاشى النعمة ، سمح النفس ؛ وكانت له دار ضيافة ، وجرايات^(١) واسعة على ذوى الستر بالفسطاط . فهرب من المتوكل رجل - كنى عن اسمه - خطير المنزلة ، لميل كان من المنتصر إليه ، وتبرأ من حاشيته ولبس جبة صوف ، فأنهى به المسير إلى مصر . فلما دخلها رأى فيها كثيراً من أهل بغداد ، يخاف أن يُعرف فنزع إلى أريافها^(٢) ، فأنهى به المسير إلى ضياع النصراني ، فرأى فيها منه رجلاً جميلاً الأمر . وسأله النصراني عن حاله ، فذكر أن الاختلال^(٣) انتهى به إلى ما ظهر عليه ، فغير هيأته ، وفوض إليه شيئاً من أمره ، فأحكمه فيما أسند إليه واضطلع به . ولم يزل حاله يتزايد عنده حتى غلب على جميع أمره ، وقام به أحسن قيام ، فكان محل الرجل الهارب من النصراني ، يفضل كل ما ذهب له

وورد على النصراني مستحث^(٤) بحمل مال وجب عليه ،^(٤)

(١) الجراية : الصدقة الجارية التي لا تنقطع

(٢) نزع إلى الريف : تباعد إليه في رحلته

(٣) اختل الرجل : افتقر واحتاج ، والخلة : الحاجة والفقر

(٤) المستحث : الذى يستحثه ويستعجله

[وسأله] النصرانيُّ عن خَبَرِ الناسِ بالفُسْطاطِ ، فقال : « ورد خَبَرُ قَتْلِ المتوكلِ وتقلُّدِ المنتصرِ ، ووَاقَى رسولٌ من المنتصرِ في طلبِ رجلِ هَرَبَ في أيامِ المتوكلِ يُعرَفُ بفلانِ بنِ فلانِ ، ويُوَعِزُّ إلى عمالِ مصر والشامِ بأن يتلقَّوه بالتَّكْرِيمَةِ والتَّوَسُّعَةِ ، فيلحقَ أميرَ المؤمنين في حالِ تشبُّهِهُ محلهِ عنده »

فعدل النصرانيُّ بالمستحيثِ إلى بعضِ من أنزله عليه ، وخلا الهاربُ بالنصرانيِّ فقال : « أحسنَ اللهُ جَزَاءَكَ ا فقد أُولِيتَ غايةَ الجليلِ ، وأحتاجُ إلى أن تأذنَ لي في دُخُولِ الفُسْطاطِ » ، فقال : « يا هذا ! إن كنتَ استَقْصَرْتَنِي ^(١) فَأَحْتَكِمَ في مَالِي ، فَإِنِّي لَا أَرُدُّ أَمْرَكَ ، وَلَا أَزُولُ عَنْ حُكْمِكَ ، وَلَا تَنَأَى عَنِّي » ، فقال له : « أنا الرجلُ المطلوبُ بالفُسْطاطِ ، وقد خَلَقْتُ شَمْلًا جَمًّا ونِعْمَةً واسعةً ، وَإِنَّمَا عَدَلْتُ بِي الخَرْفَ عَلَى نَفْسِي » ، فقال له : « يَا سَيِّدِي ! فَا لِمَالُ في يَدِكَ ، وَمَا عِنْدَكَ مِنَ الدَّوَابِّ فَأَنْتَ أَعْرَفُ بِهِ مِنِّي ، فَأَحْتَكِمَ فِيهِ » ، فَأَخَذَ بِغَالَا وَمَا صَلَحَ لِمَثَلِهِ ، وَخَرَجَ النَّصْرَانِيُّ مَعَهُ ، وَقَدَّمَ كِتَابًا إِلَى عَامِلِ الْمَعُونَةِ ^(٢) مِنْ مُسْتَقَرِّهِ ، فَتَلَقَّاهُ عَامِلُ الْمَعُونَةِ فِي بَعْضِ طَرِيقِهِ ، وَوَصَّاهُ وَجَمِيعَ الْعُمَّالِ بِالنَّصْرَانِيِّ . وَصَارَ إِلَى الْحَضْرَةِ ، فَأَصْدَرَ إِلَيْهِمُ الْكِتَابَ فِي الْوَصَاةِ بِهِ ؛ إِلَى أَنْ قَدَّمَ بَعْضَ الْعَمَالِ الْمُتَّجِرَةِ ، ^(٣)

(١) استقصره : وجدده مقصراً

(٢) عمل المعونة كان من أكبر وظائف الدولة كولاية الخراج

(٣) يريد العمال الذين يجعلون سلطان عملهم تجارة ، فيظلمون الناس

٢٠ - حدثني هرون بن مملول ، قال ، حدثني ياسين بن زُرارة ، قال :

« كان ببعض أرياف مصر نصراني من أهلها كثير المال ، فاشى النعمة ، سَمَحَ النَّفْس ؛ وكانت له دار ضيافة ، وجرايات^(١) واسعة على ذوى السَّتر بالفُسطاط . فهرب من المتوكل رجل - كَتَى عن اسمه - خطيرُ المنزلة ، لميل كان من المنتصر إليه ، وتبرأ من حاشيته ولبس جُبَّة صوف ، فأنهى به المسير إلى مصر . فلما دخلها رأى فيها كثيراً من أهل بغداد ، يخاف أن يُعرف فنزع إلى أريافها^(٢) ، فأنهى به المسير إلى ضياع النصراني ، فرأى فيها منه رجلاً جميلاً الأمر . وسأله النصراني عن حاله ، فذكر أن الاختلال^(٣) انتهى به إلى ما ظهر عليه ، فغير هيأته ، وفوض إليه شيئاً من أمره ، فأحكمه فيما أسند إليه واضطلع به . ولم يزل حاله يتزايد عنده حتى غلب على جميع أمره ، وقام به أحسن قيام ، فكان محلُّ الرجلِ الهارب من النصراني ، يفضِّل كلَّ ما ذهب له

وورَد على النصراني مُسْتَحْتٌ بِحَمَلٍ مالٍ وَجَبَ عليه ،^(٤)

(١) الجراية : الصدقة الجارية التي لا تنقطع

(٢) نزع إلى الريف : تباعد إليه في رحلته

(٣) اختل الرجل : افتقر واحتاج ، والخلَّة : الحاجة والفقر

(٤) المستحث : الذى يستحثه ويستعجله

[وسأله] النصراني عن خبر الناس بالفسطاط ، فقال : « ورد خبر قتل المتوكل وتقلد المنتصر ، ووافى رسول من المنتصر في طلب رجل هرب في أيام المتوكل يُعرف بفلان بن فلان ، ويُوْعَزُ إلى عمال مصر والشام بأن يتلقوه بالتَّكْرِمة والتَّوسِعة ، فيلحق أمير المؤمنين في حال نُشْبِهِ محله عنده ،

فعدل النصراني بالمستحث إلى بعض من أنزله عليه ، وخلا الهارب بالنصراني فقال : « أحسن الله جزاءك ا فقد أوليت غاية الجميل ، وأحتاج إلى أن تأذن لي في دخول الفسطاط » ، فقال : « يا هذا ! إن كنت استقصرتنى ^(١) فأحتكم في مالي ، فإني لا أَرُدُّ أمرك ، ولا أزول عن حكمك ، ولا تنأى عني » ، فقال له : « أنا الرجلُ المطلوبُ بالفسطاط ، وقد خلقتُ شَمَلاً جَمّاً ونعمةً واسعة ، وإنما عدلَ بي الخرف على نفسي » ، فقال له : « ياسيدي ! فالمالُ في يدك ، وما عندك من الدوابِّ فأنت أعرفُ به مني ، فأحتكم فيه » ، فأخذ بغالا وما صالح لمثله ، وخرج النصراني معه ، وقدم كتاباً إلى عامل المعونة ^(٢) من مُستَقَرِّه ، فتلقاه عاملُ المعونة في بعض طريقه ، ووصاه بجميع العُمَـالِ النصراني . وصار إلى الحضرة ، فأصدر إليهم الكتب في الوصاة به ؛ إلى أن قدم بعض العمال المُتَّجِرة ، ^(٣)

(١) استقصره : وجده مقصراً

(٢) عمل المعونة كان من أكبر وظائف الدولة كولاية الخراج

(٣) يريد العمال الذين يجعلون سلطان عملهم تجارة ، فيظلمون الناس

٢٠ - حدثني هرون بن مملول ، قال ، حدثني ياسين بن زُرارة ، قال :

« كان ببعض أرياف مصر نصرانيٌّ من أهلها كثيرُ المالِ ، فاشى النعمة ، سَمَحَ النَّفْسَ ؛ وكانت له دارُ ضيافةٍ ، وجراياتٌ ^(١) واسعةٌ على ذوى السَّترِ بالفُسْطاطِ . فَهَرَبَ من المتوكِّلِ رجلٌ - كَتَى عن اسمه - خطيرُ المنزلةِ ، لميلِ كان من المنتصرِ إليه ، وتبرأ من حاشيته ولبسَ جُبَّةَ صوفٍ ، فأنهى به المسير إلى مصر . فلما دخلها رأى فيها كثيراً من أهل بغداد ، يخاف أن يُعرَفَ فنزع إلى أريافها ^(٢) ، فأنهى به المسير إلى ضياع النصراني ، فرأى فيها منه رجلاً جميلاً الأمر . وسأله النصرانيُّ عن حاله ، فذكر أن الاختلالَ ^(٣) انتهى به إلى ماظهر عليه ، فغيَّرَ هَيَأَتَهُ ، وفوَّضَ إليه شيئاً من أمره ، فأحكمه فيما أَسْنَدَ إليه واضطلع به . ولم يزل حاله يتزايد عنده حتى غلب على جميع أمره ، وقام به أحسن قيام ، فكان محلُّ الرجلِ الهاربِ من النصرانيِّ ، يفضِّلُ كلَّ ما ذَهَبَ له

وَوَرَدَ على النصرانيِّ مُسْتَحْتٌ بِحَمْلٍ مالٍ وَجَبَ عليه ، ^(٤)

(١) الجراية : الصدقة الجارية التي لاتقطع

(٢) نزع إلى الريف : تباعد إليه في رحلته

(٣) اختل الرجل : افتقر واحتاج ، والحلة : الحاجة والفقير

(٤) المستحث : الذى يستحثه ويستعجله

[وسأله] النصراني عن خَبَرِ الناس بالفُسْطاط ، فقال : « ورد خَبَرُ قَتْلِ المتوكل وتقلد المنتصر ، ووافى رسولٌ من المنتصر في طلب رجل هرب في أيام المتوكل يُعرَفُ بفلان بن فلان ، ويُوْعِزُ إلى عمال مصر والشام بأن يتلقَّوه بالتَّكْرِيمَةِ والتَّوَسُّعَةِ ، فيلحق أمير المؤمنين في حال تُشَبِّهُ مُحَلَّه عنده »

فعدل النصراني بالمستحيث إلى بعض من أنزله عليه ، وخلا الهاربُ بالنصراني فقال : « أحسن الله جزاءك ا فقد أُرِيَتْ غاية الجميل ، وأحتاج إلى أن تأذن لي في دخول الفُسْطاط » ، فقال : « يا هذا ! إن كنت استقصرتني ^(١) فأحتسبكم في مالي ، فإني لا أُرِدُّ أمرك ، ولا أزيل عن حكمك ، ولا تنأى عني » ، فقال له : « أنا الرجلُ المطلوبُ بالفُسْطاط ، وقد خلقتُ شُملاً جَمًّا ونعمةً واسعة ، وإنما عدلَ بي الخرف على نفسي » ، فقال له : « ياسيدي ! فالمالُ في يدك ، وما عندك من الدوابِّ فأنت أعرفُ به مني ، فأحتسبكم فيه » ، فأخذ بغالا وما صالح لمثله ، وخرج النصراني معه ، وقدم كتاباً إلى عامل المعونة ^(٢) من مُستَقَرِّه ، فتلقاه عاملُ المعونة في بعض طريقه ، ووصاه بجميع العُمال بالنصراني . وصار إلى الحضرة ، فأصدر إليهم الكتب في الوصاية به ؛ إلى أن قدم بعض العمال المُتَّجِرَة ، ^(٣)

(١) استقصره : وجده مقصراً

(٢) عمل المعونة كان من أكبر وظائف الدولة كولاية الخراج

(٣) يريد العمال الذين يجعلون سلطان عملهم تجارة ، فيظلمون الناس

فتتبع النصراني ورام الزيادة عليه ، فخرج إلى بغداد
قال لي هرون ، أن ياسين قال له ، أن النصراني حدثه ، : أنه
دخل بغداد فلم ير بها أوقى محلا وأكثر قاصداً منه
ثم استأذنت عليه وعنده جمع كثير ، فخرج أكثر غلماناه حتى
استقبلوني ، فلما رأني قام علي رجله ثم قال : « مرحباً بأستاذي
وكافلي والقائم بي حين قعد الناس عني » ، وأجلسني معه . وانكب
علي ولده وشمله ، وأنا أتأمل مواقع الإحسان من الأحرار .
وسألني عن حالي في ضياعي ، فأخبرته خبر العامل ، وكان أخوه
في مجلسه ، فنظر إليه من كُنّا عنده وقال له : « كنتُ السبب في
تقليد أخيك ، فصار أكبر سبب في مسأاتي ! » . فكتب من مجلسه
كتاباً إليه بجملة الخبر وأنفذه . وأقتُ عنده حولا في أرغد عيشة
وأعظم ترثفه . وورد علي كتب أصحابي ، فخبروني بانصراف العامل
عن جميع ما كان اعترض عليه في أمري ، وأخرج أمر السلطان
في إسقاط أكثر خراج ضياعي ، والاقتصار بي على يسير من مالها ،
قال ياسين ، فكتب النصراني ببغداد حجة ^(١) أشهد فيها علي
نفسه أن أسهمه في جميع الضياع التي في يده - وسمّاها وحدّها -
لهذا الرجل الذي كان هرباً ، وصار بها إليه ، فقال له : « قد
سوّغك الله هذه الضياع » ^(٢) فإني أراك أحق بها من سائر الناس ،

(١) الحجة : كتاب يكتب ليكون وثيقة وحجة

(٢) سوّغه الشيء : أي : جعله له سائغاً سهلاً

فامتنع الرجلُ من ذلك ، وقال له : « عليك فيها عاداتٌ تُحسِّنُ ذَكَرَكَ ، وترُدُّ الأضغانَ عنك ، ولست أقطعُها بقبضِ هذه الضياعِ عنك »

ورجع النصراني إلى الفسطاط فجدد الشهادة له فيها . فلما توفى النصراني أقرها في يد أقاربه ، ولم يزالوا معه بأفضل حال

يحيى البرمكى
والفضل بن
سهل

٢١ - حدثني أحمد بن أبي يعقوب عن أبيه ، قال :

« كان يحيى بن خالد بن برمك قد تبنى الفضل بن سهل وأجراه مجزى الولد - ونظر إليه ولده بعين الأخ لهم - . فضمه إلى المأمون . وكان يحيى بن خالد حَسَنَ المعرفة بالنجوم ، والفضلُ بارِعاً فيها ، فاتفقا على ما ترجبه النجوم في مُدد البرامكة ^(١) ، وتبيننا سعادةً تلتهمي إليها حالُ الفضل ، وكان كلُّ واحدٍ منهما كالشاهد لما انتهى إليه

وأوقع الرشيدُ بالبرامكة ، فاعتصم الفضلُ بمجده من خدمة المأمون ؛ وكانت يده تَعِجْزُ عما يُصْلِحُ يحيى وولده عند الرشيد ، فوجه إليه : « سيدي ! قد كَرَبَنِي أَمْرُكَ ^(٢) ، ولست أصل إلى

(١) المدد : جمع مدة ، ويريد : مدد بقاء سلطان البرامكة

(٢) كربه الأمر : ضيق عليه الكرب وشدده

فتتبع النصراني ورام الزيادة عليه ، فخرج إلى بغداد
قال لي هرون ، أن ياسين قال له ، أن النصراني حدثه ، : أنه
دخل بغداد فلم ير بها أوفى محلا وأكثر قاصداً منه
« ثم استأذنت عليه وعنده جمع كثير ، فخرج أكثر غلماناه حتى
استقبلوني ، فلما رأني قام علي رجله ثم قال : « مرحباً بأستاذي
وكافلي والقائم بي حين قعد الناس عني » ، وأجلسني معه . وانكبَّ
علي ولده وشمله ، وأنا أتأمل مواقع الإحسان من الأحرار .
وسألني عن حالي في ضياعي ، فأخبرته خبر العامل ، وكان أخوه
في مجلسه ، فنظر إليه من كُنَّا عنده وقال له : « كنتُ السبب في
تقليد أخيك ، فصار أكبر سبب في مَسْأَتي ! » . فكتب من مجلسه
كتاباً إليه بجملة الخبر وأنفذه . وأقامتُ عنده حولا في أرغد عيشة
وأعظم ترفه . وورد علي كتب أصحابي ، فخبروني بانصراف العامل
عن جميع ما كان اعترض عليه في أمري ، وأخرج أمر السلطان
في إسقاط أكثر خراج ضياعي ، والاقتصار بي علي يسير من مالها .
قال ياسين ، فكتب النصراني ببغداد حجة ^(١) أشهد فيها علي
نفسه أن أسهمه في جميع الضياع التي في يده - وسمها وحدد لها -
لهذا الرجل الذي كان هرباً ، وصار بها إليه ، فقال له : « قد
سوغك الله هذه الضياع » ^(٢) فإني أراك أحق بها من سائر الناس ،

(١) الحجة : كتاب يكتب ليكون وثيقة وحجة

(٢) سوغه الشيء ، أي : جعله له سائغاً سهلاً

خامتنع الرجلُ من ذلك ، وقال له : « عليك فيها عاداتٌ تُحسِّن
ذكرك ، وترُدُّ الأضغانَ عنك ، ولست أقطعُها بقبض هذه
الضياع عنك »

ورجع النصراني إلى الفسطاط فجدد الشهادة له فيها . فلما
توفي النصراني أقرها في يد أقاربه ، ولم يزالوا معه بأفضل حال

يحيى البرمكي
والفضل بن
سهل

٢١ - حدثني أحمد بن أبي يعقوب عن أبيه ، قال :

« كان يحيى بن خالد بن برمك قد تبنى الفضل بن سهل
وأجراه مجرى الولد - ونظر إليه ولده بعين الأخ لهم - . فضمه
إلى المأمون . وكان يحيى بن خالد حَسَنَ المعرفة بالنجوم ،
والفضلُ بارِعاً فيها ، فاتفقا على ما تُرجيه النجوم في مُدد البرامكة ^(١) ،
وتبينا سعادةً تنتهي إليها حالُ الفضل ، وكان كلُّ واحدٍ منهما
كالشاهد لما آتتهى إليه

وأوقع الرشيدُ بالبرامكة ، فاعتصم الفضلُ بمحله من خدمة
المأمون ؛ وكانت يده تعجز عما يُصلحُ يحيى وولده عند الرشيد ،
فوجه إليه : « سيدي ! قد كَرَبَنِي أَمْرُكَ ^(٢) ، ولست أُصل إلى

(١) المدد : جمع مدة ، ويريد : مدد بقاء سلطان البرامكة

(٢) كربه الأمر : ضيق عليه الكرب وشده

حُسْن الدِّفَاع عَنْكَ ، فَأَحِلَّ ذِمَامُهُ فِي هَذِهِ الْمِحْنَةِ ^(١) ؛ فَإِنِّي أَرْجُو
أَنْ أَفْضِيَهُ عَنْكَ عِنْدَ أَنْتَهَائِي إِلَى سَعَادَتِي «

قال ابن أبي يعقوب : فحدثني أحمد بن أبي خالد الأحول ،
قال : « أَتَّصَلَ بِي مِنْ ضَيْقٍ يَحْيِي مَا كَدَّرَ عَيْشِي . وَذَكَرْتُ
إِحْسَانَهُ إِلَيَّ ، وَحُسْنَ صَنِيعِهِ بِي ، فَضَاقَ بِيَ الْعَرِيسُ . وَوَجَدْتُ
مَا لِمَلِكِهِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ دِينَارٍ ، فَقَسَمْتُهَا قِسْمَيْنِ ، وَحَمَلْتُ أَحَدَهُمَا ،
وَتَوَصَّلْتُ إِلَى الدَّخُولِ إِلَيْهِمْ فِي مَحْبَسِهِمْ ، فَوَضَعْتُهَا بَيْنَ يَدَيَّ يَحْيِي
ابن خالد ، فَقَالَ لِي : « لَيْسَ يَحْسُنُ بِنَا أَنْ نَعْرَكَ مِنْ أَنْفُسِنَا ،
وَلَا أَنْ نَعِدَّكَ عَنَا مَا لَا تَنفِي بِهِ الْأَيَّامُ لَكَ ، وَقَدْ انْتَهَى أَمْرُنَا ،
فَإِنْ كُنْتَ تُقَدِّرُ أَنْ أَحْوَالَنَا تَصَاحُ فَأَمْسِكْ عَلَيْكَ مَالَكَ » ،
فَقُلْتُ : « مَا ذَهَبْتُ فِي ذَلِكَ إِلَّا لِقَضَاءِ بَعْضِ الْحَقِّ عَنِّي » . فَأَخَذَ
بِضَاءً ^(٢) فَكَتَبَ فِيهَا : « يَا أَبَا الْعَبَّاسِ أَيْدِكَ اللَّهُ ! هَذَا رَجُلٌ
خَلَصَ عَلَى تَجْرِ بَنَانَا ^(٣) ، وَأَحْسَنَ بِنَا مَعَ اسْتِحْكَامِ يَأْسِهِ مِنَّا ، وَأَنَا
أَذْكُرُكَ الْعَهْدَ ، وَأَرْغَبُ إِلَيْكَ فِي قَضَاءِ حَقِّهِ عَنِّي ، وَتَخْفِيفِ ثِقَلِهِ
عَلَيَّ ، أَحْسَنَ اللَّهُ عَوْنَكَ ، وَكَفَاكَ مَا أَعْجَزَكَ » . ثُمَّ ثَنَّاها وَقَطَعَهَا
عَرْضًا بِقِطْعَتَيْنِ ، وَقَالَ لِي : « احْفَظْ هَذَا النُّصْفَ مَعَكَ ، وَلَا
تَفْرِطْ فِيهِ فَيَفُوتَكَ حَظٌّ كَبِيرٌ » ،

(١) الذِّمَامُ : الْعَهْدُ وَالْمِثَاقُ ، وَأَحِلَّ الذِّمَامَ : جَعَلَهُ حَلَالًا لَا يَلْتَزِمُ
عَهْدَهُ وَشَرْطَهُ

(٢) يَرِيدُ : وَرَقَةً بَيْضَاءَ

(٣) خَاصَّ عَلَى التَّجَرُّبَةِ ، أَيْ : تَبَيَّنَ إِخْلَاصَهُ بَعْدَ التَّجَرُّبَةِ وَالْمِحْنَةِ

ثم فرق ذلك المال في قوم ضَعُفَتْ أحوالهم بما لحقه ،
وانصرفت من عنده وقد آتَسَنِي من رجوع حاله ، وأعطاني
نصفَ رُقعة لا أقف على ما توصل إليه . وتَقَضَّى أمرهم ^(١) ،
ومات الرشيدُ بطوس ، وغلب الفضلُ بن سهلٍ على المأمونِ
بخراسان ، وخلفه على جميع أمره ، وشَجَرَ الأمرُ بين الأمين
والمأمون ^(٢) ، فظهرَ المأمون عليه ^(٣) ، وصَحَّت وزارة الفضل
ابن سهلٍ للمأمون ، ووردت بِإِدْرَةِ المأمون ^(٤) بذلك إلى سائر
النواحي . وطالت عُمُلتى ، واشتَدَّت فاقتي ، وفقدت من كان
يُؤَثِّرُنِي وينحاشُ إليَّ ^(٥)

فإني لجالس في منزلي - في يوم قد أعوزني فيه قوتُ يومى ،
وعلى ثوب خَاقٍ ، وليس لى إلا خِلعة أركبُ فيها - حتى دخل
إلى غلامى فقال : « بالباب جماعة من أصحاب طاهر بن الحسين ا » ،
فلبستُ ثيابَ رُكوبى ، وأذنتُ لهم ، وتقدّمهم رئيس لهم تبيّنت
إعظامى في نفسه ، فقال : « الأميرُ طاهرُ يسألك المسيرَ إليه » .
فنهضتُ ، فلما دخلتُ قدّمتى وأعظمتنى وقال : « ورد كتابُ الوزير
أيده الله علىّ في حملك إلى حضرته على حالٍ تَكْرِمَةٍ ، ومعك

(١) تقضى أمرهم : انتهى وانقضى

(٢) شجر الأمر بين الصديقين : إذا اختلفا وتنازعا وتشاجرا

(٣) ظهر عليه : غلبه وفاز به

(٤) البادرة : أوائل من يأتى بالأخبار والبشرى

(٥) انحاش إليه ، يريد : اكترث له ، أو اجتمع إليه

نصف الرُّقعة التي دفعها إليك يحيى بن خالد ، وأمرني بدفع ألفي دينار إليك لحُمولتك ومُخلفيك^(١) ،

فقويتُ نفسي ، وانفسح رَجائي ، وخرجتُ بعد قبْض المال مع رسول طاهر . فلما دخلتُ إلى الفضل بن سهل ، لقيني بأجل لقاء ، وسألني عن نصف الرُّقعة فأحضرتها ، ثم أسرَّ إلى بعض خاصته شيئاً ، فمضى ، وجاء برقعة فوصلها بها فسكملت ، فلما استتمَّ قراءتها بكى ، ثم قال : « رحم الله أبا العباس ! فما كان أعرفه بتصرف الأيام ، واستدعاء الشكر فيها ، والتحيز من الذمِّ بها ! »^(٢)

ثم أدخلني إلى المأمون ، وواكد أمرى عنده^(٣) ، حتى بلغت معه إلى أخص أحوال كتابه ، ومن وثق به في مهمِّ أمره .

٢٢ - وحدثنى عليُّ المتطبِّب المعروف بالديدان - وكان على المتطبِّب وولد أفلاطون حسن المعرفة بكتب أفلاطون ورُموزه ، ومبرِّزاً في الطب - ، قال :

« خرجت مع رجل - يُعرف بابن بروخ - من قواد السلطان إلى

(١) الحمولة : ما يحمل عليه القاعد من الدواب ، والمخلفون ، يريد : أهله الذين يخلفهم وراءه

(٢) تحيز من الذم : تنحى عنه وتأخر

(٣) واكدّه ووكدّه : أوثقه

طَارُسُوس ، فغنم سنييا كثيراً ^(١) ، وكان السبي في دار خراب في
الموضع الذي نزل فيه ، فدخلت لتأمله ؛ فوجدت في السبي شاباً
حسن الصورة جميل السميت ^(٢) ، وأكثر السبي حوله ، ومكانه
منهم مكان المولى من المماليك : يتسرعون إلى جميع ما أوحى إليه ،
ويكفون أخذَه بنفسه . فكلّمت فيه بعض السبي وسألته عنه ، فقال
لي : « هذا من ولد أفلاطون » ، فارتحت إليه لا تتفაცი بجده ،
ودخلت إلى ابن بروخ فقلت : « هب لي من هذا السبي غلاماً » ،
فقال لي : « خذه » .

فدعوت بغلام يشتمل على أمرى ^(٣) ، ووصفت له الشاب
الذي في السبي ، وقلت له : « إذا سلّيه إليك غلام ابن بروخ
فأطعمه مما أعددت من طعامي ، وألبسه من فاخر ثيابي ، وطيبه
ومكّنه من مجلسي إلى أن أنصرف إليكم » . وتشاغلّت بأمر ابن
بروخ إلى آخر النهار ، وأنصرفت ، فوجدته على الهيئة التي
آثرتُها ، ورام مني ما يفعله غلمان من الوقوف ، فمنعته من ذلك ،
فقال لي بالرومية : « ياسيدي ! ما الذي وعدّتك به نفسك مني ؟
فإن كان عندي بذلته لك وكنت حقيقاً به ، وإن لم يكن لدى
صدقتك عنه ، ولم أتغنم منك ما لا يشبهني تغنمه ^(٤) » ، فقلت له :

(١) السبي : الأسرى من العدو

(٢) السميت : الهيئة والمنظر والحركة

(٣) يشتمل على أمره : يخدمه في جميع أمره ويحوطه

(٤) تغنم الشيء : طلب أن يجعله غنيمة بغير جهد

« قد اقتبَسْنَا مِنْ جَدِّكَ أَنْوَارَ أَحْسَنِهَا أَثَرُهُ عَلَيْنَا ، وَوَجِبَ عَلَيْنَا بِهَا
وِقَايَتُكَ بِأَنْفُسِنَا » ، فَقَالَ : « وَاللَّهِ إِنَّ الطَّبَاعَ الَّتِي لَأَسْلَافِنَا مَعَنَا ،
وَلَكِنَّا شَغَلْنَاهَا فِي رَعْيِ الْخَنَازِيرِ ، فَبَعُدْتُ بِهَا عَنْ قَرَابَتِي لَهُ ،
وَأَكْرَمْتِي بِسَبِيهِ »

فَخَيَّرَتْهُ بَيْنَ الدَّخُولِ مَعِيَ إِلَى مِصْرَ ، عَلَى أَنْ أَشَاطِرَهُ وَلِكِي
وَعِيشِي ، أَوْ أَحْتَالَ لَهُ فِي رَدِّهِ إِلَى بَلَدِهِ ؟ فَاخْتَارَ رَدَّهُ إِلَى بَلَدِهِ .
فَلَطَفْتُ لَهُ ^(١) - بِإِنْفَازِ بَعْضِ مَنْ أَتَقُّ بِهِ مَعَ الرُّسُلِ الْمُتَوَجِّهِينَ مَعَهُ - حَتَّى
وَصَلَ إِلَى بَلَدِهِ ،

٢٣ - وَكَانَتْ تَنْتَابُ عَجَائِزَنَا ^(٢) عَجُوزٌ جَمِيلَةٌ الْمَذْهَبِ ، ضَعِيفَةٌ
الْحَالِ - تُعْرِفُ بِأَمِّ مُحَمَّدٍ - ، فَيَجْتَمِعْنَ عَلَى كُلِّ صَالِحَةٍ ، وَكُنْتُ
أَخْضُهَا بِكَفَايَتِهَا . فَلَمَّا دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ مِصْرَ ، نَزَلَ فِي
ظَاهِرِهَا ، وَاسْتَدْعَى الْوَاحِدَ بَعْدَ الْوَاحِدِ مِنْ أَسْبَابِ الطُّوْلُونِيَّةِ ^(٣) ،
فَاسْتَصْنَى مَالَهُ بِالسَّوْطِ وَعَظِيمِ الْإِخَاقَةِ ^(٤) ، فَرَاغَنِي أَمْرُهُ ، وَخَفْتُ
أَنْ يَلْحَقَنِي عَسْفُهُ

محمد بن سليمان
والمؤلف

(١) لطف له وبه . ترفق

(٢) انتاب القوم : إذا قصدهم ، وأتاهم مرة بعد مرة

(٣) الأسباب : المودعات ، ويريد أصدقاءه بني طولون الذين يمدون

إليهم بسبب

(٤) استصنى مال الرجل : استخلصه وأخذ صفوه ، واستخرج

أكثره

فإني لجالس في يوم من الأيام وأنا خائف، حتى دخلتُ جاريةً
أم محمد العجوز، فسَلَّمتُ علىَّ، فظننتُها واللهِ تَقْتَضِي بعضَ
ما عَوَّدْتُها، فقالت: «سَيِّدَتِي أم محمد تقرأُ عليكَ السلام وتقول:
«جاءني الساعةَ رسولُ ابنِ عمي وسَيِّدِي أبي عليٍّ مُحَمَّدِ بنِ سليمان
يسألُ عَنِّي فعرَّفَنِي أَنِّي كُنتُ في كِفَايَتِكَ»، والرسول على الباب
يُريغُ الوصولَ إليك»، فقلت: «يَدْخُلُ»

فدخل شابٌ حسن الصورة يُعرَفُ بناثِي، فقال: «جزاك
الله خيراً! فقد وصفتُك أبنَةُ عم سَيِّدِي بما أَرْجُو أن يحسُنَ أثرُه
عليك». ودعا بأصحابِ الأرباع، فتقدَّم إليهم بأن يَمْنَعُوا مَنْ
تعرَّضَنِي، فعرَّضْتُ عليه برًّا فقال: «وأىُّ برٍّ أَكْثَرُ مما أُتِيَتْه
إِلينا؟»، وانصرفَ عَنَّا

فرجع إلى ناثِي هذا بِرُقْعَةٍ بخط ابنِ سليمان: «سر إلينا لننظَرَ في
أمرِكَ، ونبلُغَ فيه محبَّتَكَ، فَإِنِّي أُرْعَى لَكَ متقدِّمَ حُرْمَتِكَ، ووَكِيدَ
أسبابِكَ، إن شاء الله». ومالحقني منه شيء أكرهه حتى انصرف
عن البلد

٣٤ - وكان أبو الفياض سَوَّار بن أبي مُشْرَاعَةَ الشاعر صديقاً ابن أبي شراعة
والمؤلف

لي، ومائلاً إلىَّ، فلَمَّا اعتَزَم على الرجوع إلى العراق، سألني أن
أكتبَ له شيئاً من شِعْري، فكتبْتُ له مقدارَ خمسين ورقةً منه،
وكان يستحسنه ويُعْجِبُ به. فصار إلى بغداد وعَرَضَه على جماعة

الاحرار^(١)، وأحسن وصفي لهم بسلامة مذهبه، وطهارة نيّته
 ودخل محمد بن سليمان مصر، وقد رُدَّ البريدُ بها إلى
 أبي عُبَيْدِ اللَّهِ أحمد بن صالح، فسأله عند دخوله إيّاها عن أحمد
 ابن يوسف، فأحضر أحمد بن يوسف - كاتباً كان لأحمد بن
 وصيف، ولأبن الجصاص بعده -، فقال له: «تعرف
 أبا الفياض؟»، قال: «لا!». فقال لهم: «ليس هذا الرجل
 الذى طلبتُ»، فأحضرتُ، فلما رآنى استشرف إلى^(٢)، وقال:
 «تعرف أبا الفياض؟»، فقلت: «ذكركَ الله وإياه بكلِّ
 صالحة! نعم أعرفه»، وكان خلاً لى!»، فقال: «هل أنشدك
 من شعره؟»:

ظَلَّلْنَا بِهَا نَسْتَنْزِلُ الدَّنَّ صَفْوَه
 فَيَنْزِلُ أَقْبَاسًا بِغَيْرِ لَهِيْبِ،

قلت: «لا ياسيدى! ولكنى أنشدته إياه من شعري!»،
 فضحك وقال: «والله لقد اشتقت إلى الدخولِ إلى مصر من
 أجلك!». وكان والله أفضلَ عونٍ لى على أمورى

٢٥ - وحدثنى أحمد بن سقلاب، قال:

«كان بمصر رجلٌ من الفقهاء مشهورُ الإِسْمِ، وله حَلَقَةٌ

علائق بن
 المغيرة وفقهه

(١) الاحرار: الاشراف والافاضل، جمع حر

(٢) استشرف إليه: تطاول وتطلع إليه، ثم خرج إلى لقائه

عظيمة بالجامع . فبينما هو في صدرها إذ وَاَقَى عَلَّانُ بْنُ الْمَغِيرَةِ ^(١) ،
فلما رآه مقبلاً نحوه قام إليه على رجليه ، ثم خطا إليه حتى لَقِيَهِ .
فأكثرت الجماعةُ قيامَ شيخٍ مشبهٍ إلى حَدَثٍ ^(٢) مثلِ عَلَّانِ ،
وتحفّيه به ، وعَرَضَ نفسه عليه ، وأنه لم يدع شيئاً يفعلُه تابع
بمتبوع إلا بَذَلَهُ ، وأَسْرَرْنَا الموجدَةَ عليه ^(٣) . فلما قام عَلَّانُ
قال لجماعتنا : « ما أعلني بما أضمرتم ! ولكني أريكم عُذْرِي فيما
خرجتُ إليه :

« كانت عندي ألف دينار وديعةٌ لرجلٍ بالمغرب قد طال مُقامها ،
وطالب زوج ابنتي بإدخال امرأته عليه ، فجلستُ أمُّها بحضرتي
فقلت لي : « ما الذي تراه فيما قد ألح فيه هذا الرجل ؟ » ، فقلت
لها : « نستعمل فيه التجوُّز » ^(٤) ، فقلت لي : « لنا حُساد نخاف
شمااتهم ، ولا بُدَّ من أن تُعِينَنِي على التَّجَمُّل » ، فقلت : « إن كان
ما تريدن في قدرتي لم أبخلُ به عليكم » . قالت : « هو في قُدْرَتِكَ ! »
قلت : « ما هو ؟ » ، قالت : « تمكّني من هذه الوديعة ، ونحتاط
فيما نبتاعه من الجهاز حتى يصل إلينا ثَمَنُهُ في أيِّ وقتٍ أردناه ،
ونُدْخِلَ هذه الصبيّة على زوجها . فإن جاء صاحبُ الوديعة بِعُنا

(١) في الأصل : « ابن علان بن المغيرة » ، ثم ذكره فقال . « علان »

(٢) الحدث : الحديث السن الصغير

(٣) الموجدة : الغضب المكتوم

(٤) التجوُّز : التساهل

ما أشتريناه ولم نُوضَعْ فيه ^(١) إلا ما يسهل علينا عُرمه ، قلت :
« هذا قبيح عند الله وعند خلقه ! » . فلم تزل تُتلِّح بي وتحتالُ
عليّ ، حتى أجبتها . فجّهزت أبنيتها بجميع المال ، وأدخلتها
على زوجها

فلم يمض بنا بعد ذلك إلا شهران حتى وافى صاحبُ الوديعة
يطلبها ، فقلت لها « ما تفعلين ؟ » ، فقالت : « أمضي فأحمل المتاع
وأبيعه » . فمضت إلى ابنتها ورجعت إليّ ، فقالت : « لا تشغل نفسك
بهذا المتاع ، فقد حلف زوجها بطلاقها أنه لا يخرج منه شيء
عن منزله » ، فسقط في يدي ^(٢) ، ورأيتُ الفضيحة في الدارين
متصديةً لي : فوضع إبطاري بين يديّ فلم أطعم ، وأعتراني
ماخفتُ منه على عقلي ، وبثتُ بليلة ما بثتُ بمثلها ، وأنا أتبين سهولة
ذلك على زوجتي في جنب ما أحرزته لبنتها . ثم آتيتها قبل
الفجر بمنازل ، فصحتُ بالغلام « أسرج لي ! » ، فقام ^(٣)
وأسرج ، وقال : « ياسيدي ! أين تمضي ؟ » ، فقلت : « ليس
لك الاعتراض عليّ »

وركبتُ وسرتُ بطوّعٍ عَناني ، فلم يزل بغلي يسير حتى دخلتُ

(١) أوضع في المال (بالبناء للجهول) : وكس وغبن وخسر

(٢) سقط في يده : (بالبناء للجهول) : إذا زل الرجل وأخطأ فندم

على ما فرط منه

(٣) أسرج له : أي وضع على الدابة سرجها

زُفَّاقُ عَلَّانِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ، فَوَقَفْتُ عَلَى بَابِ دَارِهِ ، وَصَاحَ الْغُلَامُ
بِالْبُوابِ وَعَرَّفَهُ بِمَوْضِعِي . فَسَمِعْتُ حَرَكَةً فِي دَارِهِ ، ثُمَّ فُتِحَ الْبَابُ
وَأُذِنَ لِي بِالْدُخُولِ . فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ ، فَوَجَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ شَمْعَةً وَهُوَ
يَكْتُبُ جَوَابَاتِ كُتُبٍ وَكَلَامِهِ . فَلَمَّا رَأَى أَنِّي قَامَ إِلَيَّ ، وَقَالَ لِمَنْ
حَضَرَهُ مِنَ الْغُلَامَانِ ، « تَنَحَّوْا ! » ، وَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ : « وَاللَّهِ لَوْ
بَعَثْتُ إِلَى لَسَرْتُ إِلَيْكَ وَلَمْ أُجِشِّمْكَ السَّعَى إِلَيَّ ، فَأُشْرِحَ لِي أَمْرُكَ » ،
فَغَلَبَتْنِي الْعَبْرَةُ وَحَالَاتُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْكَلَامِ ، فَمَا زَالَ يُسَكِّنُنِي حَتَّى
انْصَصْتُ لَهُ [نِفَاقَ الْوَدِيعَةِ ^(١)] ، وَهُوَ مَغْمُومٌ بِأَمْرِي . ثُمَّ قَالَ :
« فِكَمْ هَذِهِ الْوَدِيعَةُ ؟ » ، فَقُلْتُ « أَلْفُ دِينَارٍ ! » ، فَضَحِكَ ، وَقَالَ :
« فَرَجَّتْ وَاللَّهِ عَنِّي ! مَا تَوَسَّيْتُ أَنِّي أَمْلِكُهَا ^(٢) » ، فَكَانَ الْغَمُّ يَقَعُ
بِهَا ، فَأَمَّا وَهِيَ فِي الْقُدْرَةِ فَمَا أَسْهَلَهَا عَلَيَّ ، وَأَخَفَّهَا لَدِي ! » ، ثُمَّ قَالَ
لِغُلَامِهِ : « جِئْنِي بِتِلْكَ الصَّرَارِ ^(٣) » الَّتِي وَرَدَتْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَغْرِبِ فِي
هَذَا الشَّهْرِ » ، فَجَاءَ بِأَرْبَعِ صِرَارٍ فَنَظَرَ فِيهَا عَلَيْهَا وَجَمَعَهُ وَقَالَ :
« هَذِهِ أَلْفُ دِينَارٍ وَخَمْسُ مِائَةِ دِينَارٍ ، أَلْفٌ لِلْوَدِيعَةِ ، وَخَمْسُ مِائَةِ
تَصْلُحُ بِهَا مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَنْ عِنْدَكَ » ، ثُمَّ قَالَ لِي : « مَتَى أَشْكُرُ
إِفْرَادَكَ إِيَّايَ - بَعْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ذِكْرَهُ - بِتَأْمِيلِي فِي حَادِثَةٍ
حَدَّثْتَ عَلَيْكَ ، فَأَعَانَنِي اللَّهُ عَلَى مَكَافَأَتِكَ ؟ » . وَأَضَافَ إِلَيَّ مِنْ
خَفَرَنِي إِلَى مَنْزِلِي ،

(١) نص الحديث إلى فلان : رفعه إليه وأظهره

(٢) توسم الشيء : توهمه وتخيله

(٣) الصرار : جمع صرة ، وهي التي تصر فيها الدراهم

فَقَالَتِ الْجَمَاعَةُ : « قَدْ سَمِعْنَا عُذْرَكَ ، وَعَلَيْنَا عَهْدُ اللَّهِ إِنْ لَقِينَاهُ .
أَبْدَأْ إِلَّا قِيَامًا »

الطالبى ووالده
المؤلف

٢٦ - وَبَعَثَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ - فِي السَّاعَةِ الَّتِي تُؤَقَّفُ فِيهَا
يُوسُفُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَالِدِي - بِخَدَمٍ فَهَجَمُوا الدَّارَ ^(١) ، وَطَالَبُوا
بِكُتُبِهِ : مُقَدِّرِينَ أَنْ يَجِدُوا فِيهَا كِتَابًا مِمَّنْ يَبْغِ دَاذًا . فَحَمَلُوا صَنْدُوقَيْنِ
وَقَبَضُوا عَلَى وَعَلَى أَخِي ، وَصَارُوا بَنَّا إِلَى دَارِهِ . وَأَدْخَلْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ
فِيهَا جَالِسٌ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ الطَّالِبِيِّينَ . فَأَمَرَ بِفَتْحِ
أَحَدِ الصَّنَدُوقَيْنِ ، وَأَدْخَلَ خَادِمٌ ^(٢) [يَدَهُ] ، فَوَقَعَ دَفْتَرُ جَرَايَاهُ
عَلَى الْأَشْرَافِ وَغَيْرِهِمْ . فَأَخَذَ الدَّفْتَرَ بِيَدِهِ وَتَصَفَّحَهُ - وَكَانَ جَيِّدَ
الِاسْتِخْرَاجِ - فَوَجَدَ اسْمَ الطَّالِبِيِّ فِي الْجَرَايَةِ ، فَقَالَ لَهُ وَأَنَا أَسْمَعُ :
« كَانَتْ عَلَيْكَ جَرَايَةُ يُوسُفُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ؟ » ، فَقَالَ [لَهُ] : « نَعَمْ !
أَيُّهَا الْأَمِيرُ ! » ، دَخَلْتُ هَذَا الْبَلَدَ وَأَنَا مُمْلِقٌ ^(٣) ، فَأَجْرَى عَلَىَّ فِي
كُلِّ سَنَةٍ مَائَتِي دِينَارٍ وَمَائَتِي إِرْدَبَ قَمْحٍ ، أَسْوَدَ بَابِنِي الْأَرْقَطِ
وَالْعَقِيقِي وَغَيْرَهُمَا . ثُمَّ أَمْتَنْتُ يَدَايَ بِطُولِ الْأَمِيرِ ^(٤) فَاسْتَعْفَيْتُهُ
مِنْهَا ، فَقَالَ لِي : « نَشَدْتُكَ اللَّهَ إِنْ قَطَعْتَ سَبِيحًا لِي بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ! » ، وَتَدَمَّعَ الطَّالِبِيُّ ^(٥) ، فَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ

(١) هجم الدار : دخلها بغتة بغير إذن

(٢) أملتق الرجل فهو مملق : نفذ ماله فهو فقير

(٣) امتنت يده بكذا : اتصلت . والطول : الفضل والإحسان

(٤) تدمع : أى سالت دمعته وبكى ، ولم يوجد في اللغة ، ولكنه

كثير في كتب عصر ابن طولون

طولون : « يرحمُ الله يوسف بن إبراهيم ! » . ثم قال لنا : « انصرفوا إلى منازلكم ، لا بأس عليكم »

فانصرفنا فلحقنا جنازة والدنا ، وحضرنا العلويُّ وقد أحسن مكافأة والدنا في مُخالفته

٢٧ - وحدثني موسى بن مُصلح ، قال :
 أنفذ إلى حسن بن مهاجر - كاتب أحمد بن طولون - عشرة رجال من التجار

من التجار ، وقال : « أعتقلهم بمَعزِلٍ عن المسجونين ، حتى أعرَضهم في غَدٍ على الأمير » . فتسلمت منه قوماً تشهد لهم القلوب بالفضل ، فأنستُ وَحَشَتهم ، وَفَسَحْتُ رجاءهم . فقالوا لي : « قد شكرنا جميلَ صَليِّعك ، ولنا إليك حاجة » ، قلت : « ماهي ؟ » ، قالوا : « فينا قَتِي يضعفُ قلبه عن لقاء الأمير ، فتقبل مِنَّا بدلاً به ، ولك علينا مائة دينار » ، قلت : « أنا أفعل ، إن وجدتم من يُجيب إلى هذا ! » . - وكان عندي أنه كالممتنع - ؛ فأخذ شيخُهم رُقعةً وكتب فيها إلى رجلٍ كان قد أوْلَاه عارقةً ، فسأله ذلك ، فأجابه الرجل : « إني بِإِثْرِ رُقعتي »

قال موسى : « فتَوَهَّمتُ أن هذا قولُ لائِمةٍ له ، فلم أشعر به حتى وَافَى فقال : « ما أخرنِي عنكَ إِلَّا أَنِّي جَدَدْتُ وصيةً ، وأَحَكَمْتُ ما خِفْتُ أن يقطعني عنه مادَعَوْتَنِي إليه » ، وقال : « لستُ أُجيبك إلى ما التَمَسْتَ ، حتى تكون المِائَةُ الدِّينار من عندي دون جماعتكم » ،

وأخرجها من كُتْمِه ودفعها إلى ، وصرفتُ الرجل . وأفامَ هذا مكانه ، فلم أتبين منه غمًّا بهذا ولا قلقاً له . وظلُّوا ليلتهم يتحدثون ويتناشدون ، والسلامةُ غالبَةٌ على خواطرهم ، حتى أصبحوا . وأخرجهم حسن بن مُهاجر فعرضهم على أحمد بن طولون ، فتبين تحامُّله عليهم ، فأمره بترك التعرُّض لهم . فأنصرفوا . وكانت أُلطافهم تَرِدُ عَلَيَّ حتى فقدتهم ،^(١)

٢٨ — وحدثني أحمد بن أيمن كاتب أحمد بن طولون ، قال : « دخلتُ بالبصرة إلى تاجر ذهب عني اسمه ، فرأيتُ بين يديه ابنين له في نهاية من النظافة ، فلما رآني أقبل بنظري إليهما ، قال لي : « أَحَبُّ أَنْ تُعَوِّذَهُمَا^(٢) » ، ففعلتُ ، وقلتُ له : « استجذت الأمَّ فَحَسَنَ تَسْلُوكُكِ » ، فقال : « ما بالبصرة أقبحُ من أمَّهما ، ولا أحبُّ إليَّ منها . ولها معي خبر عجيب » ، فسألته أن يُحدِّثَني ، فقال :

تاجر
وزوجته

« كنت أنزل الأُبُلَّةَ وأنا مُتَعَشِّشٌ^(٣) ، فحملتُ منها تجارةً إلى البصرة فربحتُ ، وحملتُ من البصرة إلى الأُبُلَّةِ فربحتُ ولم أزل أحمل من هذه إلى هذه فأربح ولا أخسر ، حتى كثرَ مالي ، وتعالَمَ الناس إقبالي ، وآثرتُ السُّكْنَى بالبصرة ، وعلمتُ أنه لا يحسن بي

(١) الأُلطاف : جمع لطف ، وهي الهدية والتحفة

(٢) عَوَّذَهُ من العين والحسد ، قال : « أعيدك بالله وأسمائه من كل ذي شر وكل داء وحاسد وعين »

(٣) المتعشيش : الذي يتكلف أسباب المعيشة بالقليل من العمل والتجارة

المقام بها بغير زوجة ، ولم يكن بها أجلٌ قدراً من جدِّ هذين الغلامين .
 وكانت له بنت قد عَضَّأَهَا ، ^(١) وتعرَّض لعداوة خُطَّابِهَا . فحدَّثَتْنِي
 نفسى بِلِقَائِهِ فِيهَا ، فحُتَّتْهُ عَلَى خَلْوَةٍ ، وقلت له : « يَا عَمُّ ! أَنَا فَلَانُ بْنُ
 فَلَانِ التَّاجِرِ » ، فقال : « مَا خَفَى عَنِّي مَحَلُّكَ وَمَحَلُّ أَيْكَ ! » ، فقلت :
 « قَدْ جِئْتُكَ خَاطِباً لَا بَيْتِكَ » ، فقال : « وَاللَّهِ مَا بَى عَنْكَ رَغْبَةٌ ، وَلَقَدْ
 خُطِّبْتُهَا إِلَى جَمَاعَةٍ مِنْ وَجُوهِ الْبَصْرَةِ وَمَا أَجَبْتُهُمْ ، وَإِنِّي لَكَارَةٌ مِنْ
 إِخْرَاجِهَا عَنْ حِضْنِي إِلَى مَنْ يُقَوِّمُهَا تَقْوِيمَ الْعَبِيدِ » ^(٢) ، فقلت : « قَدْ
 رَفَعَهَا اللَّهُ عَنْ هَذَا الْمَوْضِعِ ، وَأَنَا أَسْأَلُكَ أَنْ تُدْخِلَنِي فِي عَدَدِكَ ،
 وَتَخْلِطَنِي بِشَمْلِكَ » ، فقال : « وَلَا بُدَّ مِنْ هَذَا ! » ، قلت : « لَا بُدَّ ،
 وَهُوَ زَائِدٌ فِي فَضْلِكَ عَلَيَّ ، وَاصْطِنَاعُكَ إِيَّايَ » ، فقال : « اغْدُ عَلَيَّ
 بِرِجَالِكَ »

فَانصَرَفْتُ عَنْهُ إِلَى مَلَأٍ مِنَ التَّجَارِ ذَوِي أَخْطَارٍ ، ^(٣) فَسَأَلْتُهُمْ
 الْحُضُورَ مَعِيَ فِي غَدٍ ، فَقَالُوا : « إِنَّكَ لَتُحَرِّكُنَا إِلَى سَعْيٍ ضَائِعٍ » ،
 قلت : « لَا بُدَّ مِنْ رُكُوبِكُمْ مَعِيَ » . فَرَكَبُوا عَلَى رِقَّةٍ مِنْ أَنَّهُ يَرُدُّهُمْ ،
 وَغَدَوْنَا عَلَيْهِ فَأَحْسَنَ الْإِجَابَةَ وَزَوَّجَنِي ، وَأَطْعَمَ الْقَوْمَ وَتَحَرَّاهُمْ ،
 وَانصَرَفُوا

ثُمَّ قَالَ لِي : « إِنْ شِئْتَ أَنْ تَبَيِّتَ بِأَهْلِكَ فَأَفْعَلْ ، فَلَيْسَ لَهَا

(١) عضل المرأة : حبسها ومنعها الزوج

(٢) قوم السلعة والعبد : قدر قيمتها في الشراء والبيع

(٣) المَلَأُ : الرؤساء وأشرف القوم ووجوههم . والَاخْطَارُ : جمع

خطر ، وهو القدر والمنزلة الرفيعة

ما يحتاج إلى التلؤم عليه ^(١) ، فقلت : « هذا يا سيدي ما أحبه » .
 فلم يزل يحدثني بكل حسن حتى كانت المغرب ، فصلاها بي ، ثم سبّح
 وسبّحت ، ودعا ودعوت ، إلى أن كانت العتمة فصلاها ^(٢) بي .
 وأخذ بيدي . فأدخلني إلى دار قد فرشت بأحسن فرشاة ، بها خدم
 وجوار في نهاية من النظافة ، فما استقرت بي الجلوس حتى نهض ،
 وقال : « أستودعك الله ، وقدم الله لكما الحيرة ، وأحرز التوفيق » .
 واكتنفتني عجائز من شمله ، فجّلون ابنته على ^(٣) . فما تأملت طائلا
 وأرخت الستور علينا ، فقالت : « يا سيدي ! إني سر من
 أسرار والدي ، كتمه عن سائر الناس وأفضى به إليك ، وراك أملا
 لستره عليه ، فلا تخفّر ظنه فيه . ولو كان الذي يطلب من الزوجة
 حسن صورتها دون حسن تدبيرها وعفافها ، لعظمت محنتي .
 وأرجو أن يكون معي منهما أكثر مما قصر بي في حسن الصورة ،
 ثم وثبت فجاءت بمال في كيس ، فقالت : « يا سيدي ! قد أحل
 الله لك معي ثلاث حرائر وما أثرته من الإماء ^(٤) ، وقد سوّغتك
 تزوج الثلاث وابتاع الجوارى من مال هذا الكيس ، فقد أوقفته

(١) تلؤم على الشيء : انتظر وتلبث

(٢) العتمة : ثلث الليل الأول بعد غيبوبة الشفق ، وهو وقت صلاة
 العشاء . وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن تسمية صلاة العشاء « العتمة » .
 (٣) جلا العروس على بعلها يجلوها : زينها وصقلها وأدخلها عليه ،
 وذلك « جلوة العروس » .

(٤) الحرائر : جمع حرة ، وهي المرأة التي لم يجر عليها الرق ، فتكون
 أمة ، وهي المملوكة ، وجمعها إماء

حلى شَهَوَاتِكَ ، وَلَسْتُ أَطْلُبُ مِنْكَ إِلَّا سَتْرِي فَقَطْ ،
فَقَالَ لِي أَحْمَدُ : خُفَّافَ لِي التَّاجِرُ : « إِنَّهَا مَلَكَتْ قَلْبِي مِلْكَامٌ
تَصِلُ إِلَيْهِ حَسَنَةٌ بِحُسْنِهَا ، فَقُلْتُ لَهَا : جَزَاءُ مَا قَدَّمْتِيهِ مَا تَسْمَعِيهِ ^(١)
مَنْ : « وَاللَّهِ لَا أَصْبَتُ مِنْ غَيْرِكَ أَبَدًا ، وَلَا جَعَلَنَّاكَ حَظِّي مِنْ دُنْيَايَ
فِيمَا يُؤْثِرُهُ الرَّجُلُ مِنَ الْمَرْأَةِ ، وَكَانَتْ أَشْفَقَ النِّسَاءِ ، وَأَضْبَطَهُمْ ،
وَأَحْسَنَهُمْ تَدْبِيرًا فِيمَا تَتَوَلَّاهُ بِمَنْزِلِي ، فَتَبَيَّنَتْ وَقُوعَ الْخَيْرَةِ فِي ذَلِكَ
وَلِحَقَّتِي السُّنُّ ، ^(٢) فَصَارَتْ حَاجَتِي إِلَى الصَّوَابِ أَكْثَرُ مِنْهَا إِلَى
الْجَمَاعِ . وَشَكَرَ اللَّهُ لِي مَا تَلَقَّيْتُ بِهِ جَمِيلَ قَوْلِهَا ، وَحُسْنَ فَعْلِهَا ، فَرَزَقَنِي
مِنْهَا هَذَيْنِ الْبَنَيْنِ الرَّائِعَيْنِ لَكَ ، وَنَحْنُ مَنْقُطِعُونَ إِلَى جُودِهِ فِينَا ،
وَأَحْسَانِهِ إِلَيْنَا »

هرثمة بن أعين
والرشيد

٢٩ — حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي يَعْقُوبَ قَالَ :

« أَنْكَرَ الْمُهْدِي عَلَى هَرْثِمَةَ بْنِ أَعِينٍ تَحَكُّمَهُ بِمَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ ، وَأَمَرَ
بِنَفْسِهِ إِلَى الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى ، فَكَلَّمَهُ الرَّشِيدُ فِيهِ ، وَأَسْتَلَّ سَخِيمَتَهُ
عَلَيْهِ ^(٣) . وَمَاتَ مَعْنٌ ، وَزَادَتْ حَالُ هَرْثِمَةَ ، وَشَكَرَ لِلرَّشِيدِ مَا كَانَ
مِنْهُ ، وَأَفْضَتْ الْخِلَافَةَ إِلَى مُوسَى الْهَادِي ، فَتَمَكَّنَ مِنْهُ هَرْثِمَةُ .

(١) هَذَا حِكَايَةُ قَوْلِ التَّاجِرِ وَلِذَلِكَ لَمْ يَبْدُلْ مَا فِيهِ مِنَ اللَّحْنِ وَالْخَطَأِ ،
وَسَيَمُرُ كَثِيرٌ مِنْ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ

(٢) لِحَقَّتْهُ السُّنُّ : أَدْرَكَهُ الْكِبَرُ فِي السِّنِّ الْعَالِيَةِ

(٣) السَّخِيمَةُ : الْغَضَبُ وَالْمَوْجِدَةُ فِي النَّفْسِ . وَاسْتَلَّهَا وَسَلَّهَا :

أَخْرَجَهَا بِتَأَنٍّ وَرَفَقٍ

وحدثت الهادي نفسه بخلع الرشيد ، وجمع الناس على تقليد آبنه
العهد بعهدده ، وعلم بهذا هرثمة ، وتذكر عارفة الرشيد ، قمارض
وجمع الهادي الناس ودعاهم إلى خلع الرشيد ونصب آبنه مكانه ،
فأجابوه وحافوا له . وأحصر هرثمة ، فقال له : « تباع يا هرثمة ؟ »
فقال : « يا أمير المؤمنين ! يميني مشغولة ببيعتك ، ويساري مشغولة ببيعة
أخيك ! فباي بد أباع ؟ والله يا أمير المؤمنين لا أكذت في الرقاب
منبيعة آبنك ، أكثر مما أكده أبوك لأخيك في بيعته ، ومن
حنث في الأولى حنث في الأخرى ^(١) . ولولا تأول هذه الجماعة
بأنها مكرهة ، وإسرارها فيك خلاف ما أظهرت ، لأمسكت
عن هذا » . فقال لجماعة من حضر : « شأنت وجوهكم ! والله لقد
صدقني مولاي وكذبتموني ، وأنصحتني وغششتموني »
وسلم إلى الرشيد ما قدره الهادي فيه ،

٣٠ - وسمعت يوسف بن إبراهيم والدي يقول :
« لم يتمكن أحد من أحد تمكن أبي يوسف القاضي من
الرشيد . ولقد سألت إبراهيم بن المهدي عن السبب في ذلك ، فقال :
« كان يستحق هذا منه لما حدثني به مسرور الكبير ، قال :
« كنت في خدمة المهدي ، وكان الرشيد حفيبا بي ^(٢) ، محسنا
إلي ، فلما انتقل أمر الخلافة إلى الهادي ، قال لي الرشيد : « إن

أبو يوسف
والرشيد

(١) حنث في اليمين : نقضها بعد توكيدها

(٢) يقال : هو حفي به ، أي : مبالغ في الكرامة والبر

أخى قوى الشراسة ، وأنا أخاف إيقاعه بى وجمع الناس على بيعه
آبته بعده . وأنا على غاية من الثقة بك ، فأعدل إليه وكن لى عينا
عليه ^(١) . فتقدمت عند الهادى حتى توليت ستر بيت خلوته .
وكان المهدي قد قرن أبى يوسف بالهادى فتمكن منه ، وقيل
فى مهماته مشورته ، فلما خلا بقلبه شاوره فى ذلك ، فقال :
« يا أمير المؤمنين ! لا تحمل نفسك على قطيعة رحمك ، وأولياءك
على الخنث بأيمانهم ، وآستدع من الله زيادته بما يرضيه عنك » ،
فتوقف بعض التوقف . وسعى إليه بالرشيد ، وقيل له : « إنه [عامل] »
على أن يغتالك . فدعا أبى يوسف وأخبره بما تأدى إليه ؛ فقال :
« يا أمير المؤمنين ! لا تسمع هذا ، وأنا الضامن لك حسن طاعته
ووكيد موالاته » . فكنت أنهى جميع ذلك إلى الرشيد فيشتد
سروره به ، ويرغب إلى الله فى معاونته على مكافأته

فلما أفضت الخلافة إليه ، دعا به وقال له : « يا يعقوب ! لو جاز
لى إدخالك فى نسبي ، ومشاركتك فى الخلافة المفضية إلى ،
لكنت حقيقاً به ! ألسن القائل لأخى وقت كذا : كذا ؟ وفى وقت
كذا : كذا ؟ » فقال : « يا أمير المؤمنين ! من أنباك بهذا ؟ فوالله
ما كان معنا ثالث ! » . فضحك الرشيد وقال : « مسرور كان يتولى
ستر بيت خلوته ، وكان ينهى إلى جميع ما صدر عنه ،

قال مسرور : « فوالله ما برحت بى عناية أبى يوسف حتى

بَلَغْتُ مَعَ الرَّشِيدِ هَذَا الْمَبْلَغَ ! »

٣١ — وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي عِمْرَانَ الْفَقِيهَ ، أَنَّ ابْنَ الثَّلَجِيِّ حَدَّثَهُ ، أَنَّ بَشْرًا الْمُرَيْسِيَّ - وَكَانَ مَتَزَهِّدًا - قَالَ :

أبو يوسف
وبذل

« مَا أَشْتَهَيْتُ مِنْ مَرَاتِبِ السُّلْطَانِ إِلَّا مَرْتَبَةً رَأَيْتُ أَبَا يَوْسُفَ بَلَغَهَا فِي عَشِيَةِ مِنَ الْعَشَايَا . كُنْتُ آجِزْتُ بِهِ مُسَلِّمًا عَلَيْهِ ، فَقَالَ لِي : « تُقِيمُ عِنْدِي الْعَشِيَةَ لِنَتَاظَرِ فِي طَائِفَةٍ مِنَ الْعِلْمِ ؟ » . فَأَيُّ لَجَالِسٍ عِنْدَهُ - وَقَدْ آبَتَدَأُ فِيهَا أَثَرُنَاهُ - حَتَّى وَافَى إِلَيْهِ رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدِ ، فَقَالَ لِي : « انتظرني » ، وَمَضَى . فَغَابَ عَنِّي مَقْدَارَ سَاعَتَيْنِ ، وَرَجَعَ ، وَخَلْفَهُ غُلَامَانِ يَحْمِلُونَ مَالًا ، فَوَضَعُوهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْصَرَفُوا فَقَالَ : « دُفِعَتْ اللَّيْلَةُ إِلَى عَجَائِبِ ! » ، قُلْتُ : « مَا هِيَ ؟ » ، قَالَ : « دَخَلْتُ إِلَى دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَتَيْتُهُ بِرَسُولِهِ إِلَى سِتْرِ مُسَبِّلٍ عَلَى بَابٍ ^(١) ، مَسْرُورٌ الْكَبِيرُ يُمَسِّكُهُ ، فَقَالَ لِي : « سَلِّمْ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ! » ، فَسَلِّمْتُ ، فَقَالَ : « وَعَلَيْكَ [السَّلَامُ] يَا يَعْقُوبُ ! آدْخُلْ وَحَدِّثْ » ، فَرَفَعَ السِّتْرَ حَتَّى دَخَلْتُ ، فَأَلْفَيْتُ عِنْدَهُ مُحَمَّدَ ابْنَ جَعْفَرِ بْنِ الْمَنْصُورِ - مَوْلَى الْجَارِيَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِبَذَلٍ - وَوَجْهُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَحْوُولٌ عَنْ صَاحِبِهِ ، وَبَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ سَيْفٌ مشهور

فَقَالَ لِي : « يَا يَعْقُوبُ ! هَذَا الرَّجُلُ يُدِيرُنِي مِنْ الظَّهْرِ عَلَى قَتْلِهِ ! » ،

فقال له : « ترضى به حكماً بيننا ؟ » ، قال : « نعم ! » ، قال : « ألقى هذا السيف من يدك ، وأرض بالحق لك وعليك » . وأستدارا جميعاً حتى جلسا مجلس الخصوم بين يدي

ثم قال الرجل : « سألتني أمير المؤمنين أن أبيعته جاريةً على فيها أيمان مُحَرَّجة لا كفارة لها ، ألا أبيعها ولا أهبتها » ، قال فقلت له : « فتسمح بها لأمر المؤمنين إن أخرجتك من يمينك ؟ » ، قال : « إني والله ! وإن ذلك لسهلٌ عليَّ » ، فقلت : « هب لي نصفها ، وبعه نصفها » . فقال : « قد أجبتُ ، وجعلتُ ثمن النصف هديةً لك » . وتعانقا جميعاً ، وأنصرفتُ إليك ، ولحقني هذا المال » . فوجدنا المال المحمول خمسة وعشرين ألفاً ، فقلت في نفسي : « أحي نفسي ، وأصلح بين خليفة وآبن عمه في مقدار ساعتين من النهار ! »

قال بشر : « فوالله ما فرغنا من صلاة المغرب حتى آتدنا الغلمان يحملون مالا وبزاً وطيباً ^(١) ، ومعهم جارية حصيفة ^(٢) » ، فقالت : « تقرأ عليك السلام سيدي وتقول لك : « أجازني سيدي أمير المؤمنين بما حملته إليك ، فجعلته ثواب الفتيا التي كانت سبب وصولي إليه »

فكان المال منه خمسة وعشرين ألفاً

(١) البن : الثياب

(٢) حصيفة : جيدة الرأي محكمة العقل

بَلَغْتُ مَعَ الرَّشِيدِ هَذَا الْمَبْلَغَ ! »

٣١ - وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي عِمْرَانَ الْفَقِيهَ ، أَنَّ ابْنَ الثَّلَاجِي حَدَّثَهُ ، أَنَّ بَشْرًا الْمُرَيْسِيَّ - وَكَانَ مَتَزَهِّدًا - قَالَ :

أَبُو يَوْسُفَ
وَبَذَلَ

« مَا أَشْتَهَيْتُ مِنْ مَرَاتِبِ السُّلْطَانِ إِلَّا مَرْتَبَةً رَأَيْتُ أَبَا يَوْسُفَ بَلَغَهَا فِي عَشِيَةِ مِنَ الْعَشَايَا . كُنْتُ أَجْتَرِئُ بِهِ مُسَلِّمًا عَلَيْهِ ، فَقَالَ لِي : « تُقِيمُ عِنْدِي الْعَشِيَةَ لِنَتَازِرَ فِي طَائِفَةِ مِنَ الْعِلْمِ ؟ » . فَأِنِّي لَجَالِسٌ عِنْدَهُ - وَقَدْ أَبْتَدَأَ فِيهَا أَثَرُنَاهُ - حَتَّى وَافَى إِلَيْهِ رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الرَّشِيدِ ، فَقَالَ لِي : « أَنْتَظِرْنِي » ، وَمَضَى . فَغَابَ عَنِّي مَقْدَارَ سَاعَتَيْنِ ، وَرَجَعُ ، وَخَلَفَهُ غُلَامَانِ يَحْمِلُونَ مَالًا ، فَوَضَعُوهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْصَرَفُوا فَقَالَ : « دُفِعْتُ اللَّيْلَةَ إِلَى عَجَائِبِ ! » ، قُلْتُ : « مَا هِيَ ؟ » ، قَالَ : « دَخَلْتُ إِلَى دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَنْتَهَى بِي رَسُولُهُ إِلَى سِتْرِ مُسَبِّلٍ عَلَى بَابٍ ^(١) ، مَسْرُورٍ الْكَبِيرُ يُمَسِّكُهُ ، فَقَالَ لِي : « سَلِّمْ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ! » ، فَسَلَّمْتُ ، فَقَالَ : « وَعَلَيْكَ [السَّلَامُ] يَا يَعْقُوبُ ! أَدْخُلْ وَحَدِّثْ » ، فَرَفَعَ السِّتْرَ حَتَّى دَخَلْتُ ، فَأَلْفَيْتُ عِنْدَهُ مُحَمَّدَ ابْنَ جَعْفَرِ بْنِ الْمَنْصُورِ - مَوْلَى الْجَارِيَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِبَذَلٍ - وَوَجْهُهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَحْوُولٌ عَنْ صَاحِبِهِ ، وَبَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ سَيْفٌ مشهور

فَقَالَ لِي : « يَا يَعْقُوبُ ! هَذَا الرَّجُلُ يُدِيرُنِي مِنْ الظَّهْرِ عَلَى قَتْلِهِ ! » ،

فقال له : « ترضى به حكماً بيننا ؟ » ، قال : « نعم ! » ، قال : « ألقِ هذا السيف من يديك ، وأرض بالحق لك وعليك » . وأستدارا جميعاً حتى جلسا مجلساً الخُصوم بين يدي

ثم قال الرجل : « سألتني أمير المؤمنين أن أبيعَه جاريةً على فيها أيمان مُحرَّجة لا كفَّارة لها ، ألا أبيعها ولا أهَبها » ، قال فقلت له : « فتَسْمَح بها لأَمير المؤمنين إن أخرجتُك من يمينك ؟ » ، قال : « إني والله ! وإنَّ ذلك لسهلٌ عليَّ » ، فقلت : « هَب لي نصفها ، وبعه نصفها » . فقال : « قد أَجَبْتُ ، وجعلتُ ثَمَن النصف هديةً لك » . وتعانقا جميعاً ، وأنصرفتُ إليك ، ولحقني هذا المال » . فوجدنا المال المحمولَ خمسة وعشرين ألفاً ، فقلت في نفسي : « أحيي نفساً ، وأصلح بين خليفةٍ وأبن عمِّه في مقدارِ ساعتين من النهار ! »

قال بشر : « فوالله ما فرَغنا من صلاةِ المغرب حتى آتَدَرنا الغلمان يحملون مالا وبزاً وطيباً ^(١) ، ومعهم جارية حَصيفةٌ ^(٢) ، فقالت : « تقرأ عليك السلام سيدي وتقول لك : « أجازني سيدي أمير المؤمنين بما حملته إليك ، فجعلته ثواب الفتيا التي كانت سببَ وصولي إليه »

فكان المال منه خمسة وعشرين ألفاً

(١) البز : الثياب

(٢) حَصيفة : جيدة الرأي محكمة العقل

رجل من
صنائع
الأمويين
والمنصور

٣٢ - حدثني أحمد بن أبي يعقوب قال : حدثني أبي أبو يعقوب ،
عن جدي واضح مولى المنصور ، قال :

« كنتُ بين يدي المنصور ، وقد أحضر رجلا كان من رجال
هشام بن عبد الملك ، وهو يُسألُه عن سيرة هشام لأنها كانت تُعجب
المنصور . فكان الرجل يترحم عند كل جارٍ من ذكره ، فأحفظ ذلك
جماعتنا ^(١) ، فقال له الربيع : « كم تترحم على عدو أمير المؤمنين ؟ » ،
فقال الرجل للربيع : « مجلس أمير المؤمنين - أيده الله - أحقُّ
المجالس بشكر المحسن ، ومجازاة المَجْمِل ، وهشام في عُنُقِ قِلَادَةٍ
لا يَنْزِعُهَا إِلَّا غاسِلِي » ، فقال له المنصور : « وما هذه القِلادة ؟ » .
قال : « قلّدتني في حياتي ^(٢) ، وأغناني عن غيره بعد وفاته ! » ، فقال له
المنصور : « أحسنت بارك الله عليك ! وبجسّن المكافأة تستحقُّ
الصنائع ، وتزكو العوارف ^(٣) » ، ثم أدخله في خاصته ،

بعض أقوال
الفلاسفة
في حسن
المكافأة

وقد مثل بعضُ الفلاسفة لِجُسْنِ المكافأة ، بالحُسام الصَّقِيلِ
الذي يُحْدِثُ له وقوعُ الشمس عليه : أنبعاثُ شعاع منه يجلو غيابه

(١) أحفظه : أغضبه

(٢) قلّدتني : يريد قلده عملا من أعمال السلطان

(٣) استمحت الصنائع : جعلها سريعة متتابعة متصلة ، والصنيعة :

الجميل والإحسان ، والعوارف : جمع ، عارفة ، وهي المعروف . زكا
المعروف يزكو : نما وازداد

الأمِكنة المظلمة ، ويكون وُفورُ شعاعه على حسبِ صِقَالِه
وقال أفلاطون : « من حَسُنَتْ مكافأته ، لم تُغْضِبْهُ خَيْبَتُهُ فِيمَا
الْتَمَسَهُ ؛ لِأَنَّهُ يُقِيمُ الْعَوَارِفَ مَقَامَ دُيُونٍ يَتَحَمَّلُهَا لَا يَسْعُهُ إِغْفَالُ
قَضَائِهَا . وَإِنَّمَا يَغْضَبُ مِنَ الْمَنْعِ : مَنْ آثَرَ تَحْصِيلَ الْعَارِقةِ وَإِغْفَالِ
المكافأةِ عَلَيْهَا »

خاتمة المؤلف
لهذا الباب

وَلِأَنَّ الْمَرْغُوبَ إِلَيْهِ إِذَا كَانَ يَحْتَاجُ إِلَى مُطَالَعَةِ حُسْنِ الْمَكَافَأَةِ
لِلْإِحْسَانِ فَيُثَابِرُ عَلَيْهِ ، وَسُوءِ الْمَكَافَأَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ فَيَتَأَخَّرُ عَنْهُ ، كَانَ
الرَّائِبُ مُحْتَاجًا إِلَى أَنْ يَكُونَ فِي خَلَدِهِ مِنْ أَنْخَبَارِ مِنْ أَسَاءَةِ الصَّنِيعِ
فَسَاءَتِ مَكَافَأَتُهُ ، مَا يَوَازِي مَا أَثْبَتَاهُ مِنْ حُسْنِ الْمَكَافَأَةِ لِلْإِحْسَانِ



٢ - المكافأة على القبيح

ملك الهياطلة
وفيروز

٣٣ - حدثني أحمد بن يوسف بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس ، عن أبيه ، عن جده مولى عبد الله بن المقفع - أن عبد الله حدثه ، قال

« كان فيما ترجمته من سِيرِ الفرس : أن فيروزاً لما تقلد ملكه فارس حدثته نفسه باجتياز بلد الهياطلة . وكان به للهياطلة ملك صحيح الرأي حسن الجوار ، فجمع ذوى الرأي في بلده وسألهم عما يرون ، فعرضوا عليه أموالهم والخروج معه ، فجزأهم خيراً وأنصرفوا . وخلا به وزيره - وكان عالي السن ^(١) - فقال له : « أيها الملك إن يسير الحيلة ربما بلغ أوتى منازل المكافأة والذي عندي من الرأي أن تظهر السُّخْطَ على فتقطع يدي ورجلي ، وتنفيني إلى أقاصي عمالك ، وتكتب إلى عاملك هناك في حبسي ، وتظهر أنك تبيّنت مني ميلاً إلى فيروز » ، فقال له : « إن حسن الحيلة إنما يقع بغير إضرار يلحق صاحبها ، وإذا بلغنا بك هذا ، فقد جاوزنا بك ماتخافه من فيروز لو حصلت في يده »

فقال : « أنا منذ تكامل تمييزي أحسب ما لي وعلي ، فإذا وهبت لي نعمة علمت أن علي فيها محنة ، وأن الرغائب بالنوائب ^(٢) . وقد

(١) عالي السن : كبيراً مسناً

(٢) الرغبة : الشيء العظيم المرغوب فيه

عشتُ في سلطانك - أيها الملك - في هذه السن العالية ، عزيزَ الجانب ، خَصِيبَ الأَفْنِيَةِ ، وَشَمْلِي في نهاية من رَفَاغَةِ العِيش .^(١)
وليس من الجميل أن أُمْسِكَ عن قضاء حقِّ النعمة على لسلطاني وشَمْلِي وأهلي وولدي ، وصِيَانَتِهِمْ ، بما عَرَّاهُمْ بِنَفْسِي^(٢) . وأعلم أنني لو خدِمتُ السَّلامَةَ لِنَفْسِي ، لِمَاتِ ذِكْرِي بِمَوْتِي ، ولم أبقَ شَرَفًا لأهلي ! ولعلَّ أَجَلِي قَرِيبٌ ، فأفوز بِحُسْنِ الذِّكْرِ فيما أَتَيْتُهُ وَقَضَيْتُ بِهِ حَقَّ سَوَالِفِ الإِنْعَامِ عَلَيَّ ، والإِحْسَانِ إِلَيَّ . وإِنَّمَا أَعْتَمَدْتُ هَذَا الأَمْرَ الْفَظِيعَ لِأَعْدَلِ بَفِكْرٍ فَيُوزَعُ عَنِ الْحِيلَةِ ، وَأُضْطَرُّهُ إِلَى السَّكُونِ إِلَى «

« فليأْ رَأَى أَنَّهُ لَا يَرْجِعُ عَمَّا أَشَارَ بِهِ عَلَيْهِ ، دَعَا بِهِ وَقَطَعَ يَدَيْهِ وَرَجَلَيْهِ ، وَنَفَاهُ إِلَى آخِرِ مَسَاحِلِهِ^(٣) ، فَكَانَ مَحْبُوسًا هُنَاكَ

« وَجَدَ فَيُوزَعُ فِي سَفَرِهِ ، فَوَافِيَ الْمَوْضِعَ الَّذِي فِيهِ الْوَزِيرُ ، فَوَجَدَهُ خَالِيًا مِنْ كَانَ فِيهِ ، وَلَمْ يَرَهُ بِهِ غَيْرَ رَجُلٍ مَقْطُوعِ الْيَدَيْنِ وَالرَّجْلَيْنِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ فَقَالَ : « كُنْتُ وَزِيرًا لِهَذَا الْخَائِنِ فَاسْتَشَارَنِي ، فَأَشْرَفْتُ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَنَاهِضَكَ ، وَأَنْ يَسْأَلَكَ إِقْرَارَهُ فِي الْبَلَدِ ، وَحَمَلَ خَرَّاجَهُ

(١) رَفَاغَةُ العِيش : سَعَتُهُ وَخَصْبُهُ

(٢) عَرَّاهُ الأَمْرَ الشَّدِيدَ : أَصَابَهُ وَغَشِيَهُ

(٣) الْمَسَاحِلُ : جَمْعُ مَسْلُحَةٍ ، وَهُوَ الْمَوْضِعُ الْخَوْفُ يَكُونُ فِيهِ جَمَاعَةٌ بِسِلَاحِهِمْ يَرْقُبُونَ الْعَدُوَّ لَثَلَا يَطْرُقُهُمْ عَلَى غَفْلَةٍ ، فَإِذَا رَأَوْهُ أَعْلَبُوا أَصْحَابَهُمْ لِيَتَأَمَّبُوا لَهُ

إليك . فاستشاط ، وسوّلت له نفسه مُناوأتك ، وقد جمع جيشاً له كثير
العَدَد قوى النّكاية ، وقدّر أن يلقاك في هذه الطريق . وعندى حيلة
أجازيه بها على سوءِ صنيعه »

« واستجلى فيروزُ الوزير^(١) فقال له : « إن عدّلتَ عن هذه
الطريق وتجنّشت قطعَ بريةٍ يُقيم السائرُ فيها يومين ، تحتاج إلى حمل
الماء إلى مسيرة يوم منها ، ثم تُفَضِّى إلى مياهٍ متدفّقة . فإذا قطعتها
وصلت إلى بلد الهياطلة ، وهو وجمعه في الطريق الذى آثرت سلوكها ،
فتدخل البلدَ بغير حربٍ »

« فحملته الاستنامةُ إليه - لما رآه به - على تصديقه^(٢) ، ولحج
في البرية بجميع جيشه^(٣) ، - وقد كان واطاً [الوزير] الملك على
تكمين جمعٍ له آخر في البرية^(٤) - ، فسار يومه وبعض غده في قفرٍ
لا يوجد به ماء ولا نبتٌ ، فتساقطت الدوابُّ من العطش ، وأفترق
الجيش لطلب الخلاص ، وخرج عليه منسراً من جيش الهياطلة
فأمروا عليهم^(٥) ، وأخذوا فيروزاً أسيراً . فمنَّ عليه ملكُ الهياطلة

(١) فى الاصل : « واستخلى فيروز الملك ، . واستجلى صاحبه
الامر : طلب أن يحلوه له ويكشفه

(٢) استنام إليه : اطمأن وسكن ، حتى كأنه فى نوم وغفلة

(٣) لحج فى البرية : مال إليها ، ودخل فيها

(٤) واطأه على الامر : وافقه عليه اتفاقاً . كمن الجمع تكميناً : جعله

كميناً مختفياً فى مكمن لا يفتن له العدو

(٥) المنسر : جماعة الخيل ما بين المائة إلى المائتين تنقض على العدو .

أمروا عليهم : كثروا عليهم فغلبوهم

بِالإِمْسَاكِ عَنْ قَتْلِهِ ^(١) ، وَجَمَعَ وَجُوهَ بَلَدِهِ وَأَضَافَ إِلَيْهِمْ وَجُوهَهَا
مِنْ عَسْكَرِ فَيْرُوزَ ، وَأَسْتَحْلَفَ فَيْرُوزًا بِحَضْرَتِهِمْ أَنَّهُ لَا يَجَارِزُ حَجَرًا
جَعَلَهُ فُضْلًا مَشْتَرَكًا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ . وَأَثْبَتَ الْمُقَارَقَةَ فِي صَحِيفَةٍ بِخَطِّ
فَيْرُوزَ ^(٢) ، وَأَشْهَدَ عَلَيْهِ الْجَمَاعَةَ ، وَأَطْلَقَهُ عَلَى غَايَةِ مِنَ التَّبَجُّيلِ
وَالْإِكْرَامِ

« فَدَخَلَ فَيْرُوزًا خَجَلَةً مِنْ رَجُوعِهِ إِلَى مَمْلَكَتِهِ بَعْدَ أُسْرِ مَلِكِ الْهِيَاطَلَةِ
لَهُ وَتَعْفِيرِهِ بِهِ ^(٣) ، وَحَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ بِمَعَاوِدَةِ قِتَالِهِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ . وَسَوَّلَتْ لَهُ
نَفْسُهُ أَنَّهُ إِنْ حَمَلَ الْحَجَرَ حَتَّى يَدْخُلَ بِهِ بَلَدَ الْهِيَاطَلَةِ لَمْ يَحْتَنُ فِي يَمِينِهِ ،
فَحَمَلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَسَارَ بِجَمْعٍ كَثِيرٍ . وَخَرَجَ إِلَيْهِ مَلِكُ الْهِيَاطَلَةِ ، فَالْتَقِيَا
فِي مُنْتَصَفِ طَرِيقَيْهِمَا

« فَلَمَّا تَرَاى الْجَمْعَانِ ، آتَفَرَدَ مَلِكُ الْهِيَاطَلَةِ عَنْ جَمْعِهِ ، وَسَأَلَ
فَيْرُوزًا مُوَازَاتَهُ لِيَسْمَعَ مِنْهُ شَيْئًا . فَبَرَزَ فَيْرُوزٌ . فَقَالَ لَهُ : « أَنَا وَإِيَّاكَ
فِي قَبْضَةٍ مِنْ حَنْثَتِ فِي الْيَمِينِ بِهِ ، وَهُوَ عَزَّ وَجَلَّ يَشْكُرُ لِلْحَسَنِ
إِحْسَانِهِ ، وَيُعَاقِبُ الْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ . وَقَدْ أَنْعَمْتُ عَلَيْكَ ، وَأَحْسَنْتُ إِلَيْكَ ،
وَأَنَا أَخَوَفُكَ اللَّهُ وَأَحْذَرُكَ سَطَوَاتِهِ ، فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ حَيَاءَكَ بِمَا جَرَى عَلَيْكَ
هُوَ الَّذِي رَدَّكَ ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ اسْتِحْيَاؤُكَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَشَدَّ مِنْ

(١) مَنْ عَلَى الْإِسِيرِ : أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِإِطْلَاقِهِ بَعْدَ الظَّفَرِ بِهِ

(٢) الْمُقَارَقَةُ : الْعَهْدُ الَّذِي يَقَعُ عَلَيْهِ الْإِتْفَاقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ ثُمَّ يَفْتَرِقَانِ

عَلَى الْوَفَاءِ بِهِ

(٣) فِي الْأَصْلِ : « وَتَعْمِيرُهُ بِهِ » ، وَهِيَ مُحَرَّفَةٌ . عَفَرَهُ وَعَفَّرَهُ بِهِ :

أَلْصَقَهُ بِالْعَفْرِ وَهُوَ التَّرَابُ ، يُرِيدُ : أَذَلَّهُ وَحَقَّرَهُ

استحيائك من خلقه . وليس يُخْرِجَكَ من يمينك حَمْلُ هذا الحجر بين يديك ، لأنَّ اليمين إنما تكون على نية المستحلف لا على نية المستحلف . فندبرُ قولِي ، واعلم أن من سمعك من أصحابي على غاية من الثقة بالله في نصره ، ومن سمعك من أصحابك على دُعر من أن تهلك بحؤيك^(١) . فقال له : « لست أرجع عن قتالك »

« فأمر أن تُركب الصحيفة على أطول رمح في العسكر وتحمل عليه ، فهزم جيشُ فيروز ، وقُتل فيروز في المعركة »

٣٤ - وسمعتُ أبا جعفر محمد بن هرثمة يقول :

ابن الزيات
والمتوكل

« كان محمد بن عبد الملك الزيات يسعى على المتوكل - في أيام الوراق - ويحرّضه عليه ، فتغيّرت عليه نيّته ، حتى أداه ذلك إلى حبسه عند محمد بن عبد الملك »

« فسمعت المتوكل يقول - في اليوم الذي تقدّم في إدخاله إلى الثُّور الحديد^(٢) - : لم يُمنَّ أحدٌ بمثل ما مُنيتُ به من ابن الزيات ! ضيق على محبسي ، ومنعني مما اقتضته عاداتي . وكنتُ قد ربيت

(١) الحوب : الإثم العظيم

(٢) كان محمد بن عبد الملك الزيات الوزير قد اتخذ تنوراً (موقداً) يعذب فيه من يتعمد عقوبتهم . فاذا بلغ بأحد العذاب وقال له : « ارحمني . أيها الوزير ، يقول له : « الرحمة خور في الطبيعة » ، فلما أدخله المتوكل في تنوره ، استعاذ به وقال ما كان يقال له : « ارحمني يا أمير المؤمنين » ، فقال له : « الرحمة خور في الطبيعة »

وَفَرَّةٌ فَلَمْ يُطْلَقَ [لى] تَنْظِيفُهَا ^(١) ، فَكَثُرَتِ الدَّوَابُّ فِيهَا . وَتَأْدَى
ذَلِكَ إِلَى الدَّقِ ، فَكَتَبَتْ إِلَى الْوَائِقِ رُقْعَةً ، فَقَالَ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ :
« أَطَانِي لَجَعْفَرٍ طَمَّ شَعْرِهِ ^(٢) ، وَتَنْظِيفَ ثَوْبِهِ وَتَطْيِيبَهُ ! » . فَانْصَرَفَ
كَالْمَغِيطِ وَضَرَبَ الْمَوَكَّلَ بِنِ ، وَقَالَ : « تَرَكْتَ مُحْبِسَ جَعْفَرٍ شَارِعًا
مِنَ الشَّرَارِ حَتَّى سَهَّلَ شَكْوَى أُمِّهِ ! » . ثُمَّ أَمَرَ بِإِخْرَاجِي ، فَخَرَجْتُ ،
فَوَجَدْتُ أَمَارَاتِ الْغَضَبِ فِي وَجْهِهِ ، فَوَقَفْتُ سَاعَةً لَا يَرْفَعُ فِيهَا
وَجْهَهُ إِلَيَّ ، ثُمَّ قَالَ : « نَطْعُ ^(٣) » ، - فَأَوْهَمَنِي أَنَّ الْوَائِقَ أَمَرَ بِضَرْبِ
عُنُقِي - فَبَسِطَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ أَوْحَى إِلَى الْغُلَامِ بِإِدْخَالِي فِيهِ ، وَلَمْ أَشْكُ
فِي الْقَتْلِ ، ثُمَّ قَالَ : « الْحَجَّامُ ^(٤) » ، فَقُلْتُ : « أَظَنَّهُ يَخَافُ أَنْ يَضْرِبَنِي قَبْلَ
قَتْلِي » ، وَأَنَا فِي سَائِرِ هَذَا قَائِمٌ . فَلَمَّا وَافَى الْحَجَّامُ قَالَ : « أَحْلِقُ
شَعْرَهُ » ، فَأَجْلَسَنِي يَحَاقُ شَعْرِي . فَأَلَيْتُ عَلَى نَفْسِي أَنِّي لَا أَسْتَبْقِيهِ
لِحُظَّةٍ إِنْ ظَفِرْتُ بِالْخُلَاقَةِ . فَمَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بِالتَّنُورِ فِي
الْيَوْمِ الثَّالِثِ ،

-
- (١) الْوَفَرَةُ : شَعْرُ الرَّأْسِ إِذَا بَلَغَ إِلَى شَحْمَةِ الْأُذُنِ . أَطْلَقَ لَهُ أَنْ
يَفْعَلَ كَذَا : أَذِنَ لَهُ
- (٢) طَمَّ شَعْرَهُ : جَزَّاهُ ، أَوْ عَضَّ مِنْهُ وَلَمْ يَأْخُذْهُ كُلَّهُ
- (٣) النَطْعُ : فَرَّاشٌ مِنْ جِلْدٍ ، وَأَكْثَرُ مَا يَوْضَعُ عِنْدَ الْقَتْلِ لِيَكُونَ فِيهِ
الدَّمُ لئَلَّا يَفْسُدَ الْبَسَاطُ
- (٤) الْحَجَّامُ : هُوَ الَّذِي يَخْرِجُ الدَّمَ الْفَاسِدَ بِالْمَحَاجِمِ الَّتِي تَمْنَعُهُ ، وَكَانَ
الْحَجَّامُ فِي زَمَانِهِمْ يَتَوَلَّى بَعْضُ الطَّبِّ نَكْلَ الْإِضْرَاسِ وَعِلَاجُهَا وَمَا إِلَى
ذَلِكَ

٣٥ — وحدّثني نسيمٌ خادِمُ أحمد بن طولون، قال :

« صار إلى ابن سليمان بن ثابت - وكان ابنُ سليمان هذا يكتبُ
لخادِمٍ يعرفُ بشُقَيْرٍ، يتقلّدُ الطّراز من خِدمِ السلطان ^(١)، ثم عمل
سليمانُ بعد ذلك لأحمد بن طولون على أملاكه - ومعه رُقعةٌ، فقال :
« توصّلها لي إلى الأمير؟ ». فقرأتُها، فكان يذكر فيها أن شُقَيْراً أودع
أباه أربع مائة ألف دينار . فلما قرأها الأمير قال : « انظر ما تقول
وأصدّقني عنه! »، فقال : « الأمرُ والله على ما وصفته للأمير »، فقال :
أمسكُ عن هذا ، وأطوِّح بِحَيِّكَ إلى عن أبيك وعن سائر الناس ،
وأنصرف مَكْلوّاً ^(٢)،

فقال : « فكأنّ تعجّبي من إمساكه عن ذكر هذا لا يبيّه . فلم يمض
حولٌ حتى مات سليمان بن ثابت ، فأظهر غمّاً به وتفجّعاً عليه . ثم
دعا بابنه الرافع الرقعة ، فردّها إليه ما كان بيد أبيه من أملاكه ، وضمَّ
إليه من الرجال مَنْ تَقَوَّى به يدهُ . وأقام به شهوراً ثم دعاه وأنا قائم
بين يديه ، فقال له : « كيف حالك مع مُحَلِّفِي أبيك؟ وهل أنكرت
شيئاً منهم؟ »، فقال : « قد أعزّ الله جانبي بالأمير ومنع مني »، فقال
له : « أحمل إلى الأربع مائة ألف التي عندك لشُقَيْرِ الخادم »، فلَجَلَجَجَ ،
فردَّ أمره إلى أحمد بن إسماعيل بن عمار ، وأمره بمطالبة ابنته بالسَّوط .

(١) الطراز : هو الموضع الذي تنسج فيه الثياب - معامل الثياب

(٢) كَلَّاه : حفظه وحرسه ، ومكَلَّاه محفوظاً محروساً ، وتركته

الهمزة فصارت (مكَلَّوا)

فَضْرِبَهُ خَمْسِينَ سَوْطًا ، وَأَصْطَفَى مَا كَانَ لَهُ ^(١) ، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ بَعْضَ مَا تَقَوَّلَهُ عَلَى أَبِيهِ . وَعَاوَدَ مَطَالِبَتَهُ ، فَضْرِبَهُ مَرَّةً أُخْرَى فَمَاتَ . فَقَالَ لِي : « فَعَجِبْتُ مِنْ هَلَاكِهِ بِهَذَا الْمَقْدَارِ مِنَ الضَّرْبِ . فَأُخْبِرْتُ أَنَّ هَذَا الْمَضْرُوبَ كَانَ يَسْتَزِيرُ الْفَوَاسِدَ مِنَ النِّسَاءِ فِي وَفُورِ حَالِهِ ^(٢) ، فَمَزَارَتْهُ امْرَأَةٌ كَانَتْ رَبيطَةً لِلْجَلَادِ بِالسَّوْطِ ^(٣) ، وَعَلِمَ الْجَلَادُ بِذَلِكَ فَبَكَرَ إِلَيْهِ وَوَقَفَ لَهُ ، حَتَّى إِذَا خَرَجَ ، أَنْسَكَبَ عَلَى نَحْيِهِ وَقَبَّلَهُ ، ثُمَّ قَالَ : « يَا سَيِّدِي ! قَدْ أَغْنَاكَ اللَّهُ عَنْ مَسَاءَتِي بِمَا بَسَطَهُ مِنَ الرِّزْقِ عَلَيْكَ وَظَاهَرَهُ مِنَ الْإِحْسَانِ لَدَيْكَ ^(٤) ، وَكَانَتْ مُهْجَتِي عِنْدَكَ الْبَارِحَةِ . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّ تَهَبَّيْهَا لِي أَفَلَكَ مِنْهَا عَوَظٌ ، وَلَيْسَ لِي عَنْهَا مَعْدِلٌ ، فَصَاحَ فِي وَجْهِهِ وَأَمَرَ بِإِبْعَادِهِ . فَلَمَّا شُدَّ بِالْعُقَابَيْنِ ^(٥) ، تَقَدَّمَ الْجَلَادُ فَضْرِبَهُ ضَرْبَ الْقَتْلِ فَأَتَى عَلَى نَفْسِهِ »

العمري
وغلبانه

٣٦ — وَحَدَّثَنِي نَسِيمُ الْخَادِمِ أَيْضًا :

« أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ طُولُونَ كَانَ مَذْعُورًا مِنْ خُرُوجِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ

(١) اصْطَفَى وَاسْتَصَفَى : اسْتَخْرَجَ أَكْثَرَ مَا لَهُ وَخِيَارَهُ

(٢) اسْتَزَارَهُ : طَلَبَ زِيَارَتَهُ . وَفُورُ الْحَالِ : سَعَتُهُ وَوَفَرَتُهُ

(٣) الرِّبِيطَةُ : هِيَ فِي اللُّغَةِ الدَّابَّةِ تُرْبِطُ لِلْخِدْمَةِ ، وَأَرَادَ بِهَا هُنَا الْمَرْأَةَ تُرْبِطُ فِي الْمَنْزِلِ وَتَبْقَى لِحَاجَةِ سَيِّدِهَا وَخِدْمَتِهِ وَمَتَاعِهِ وَتَكُونُ مِنْ سَوَاقِطِ النِّسَاءِ

(٤) ظَاهَرُ الْإِحْسَانِ : ضَاعَفَهُ وَأَكْثَرَهُ

(٥) الْعُقَابَانِ : خَشَبَتَانِ يَشْبَحُ الرَّجُلُ بَيْنَهُمَا مَشْدُودًا فَيَجْلَدُ ، وَهِيَ

مِنْ آلَاتِ التَّعْذِيبِ

العُمَرَى^(١) ، فوافاه الخبرُ بقتلِ غلبان أبي عبد الرحمن إياه وانتشارِ أمره . ثم صار إليه جماعةٌ تقارب العشرة ومعهم رأس فقَالوا : « نحن غلبان العُمَرَى ، وهذا رأسه ! » . فجمع الخَاصَّ والعَامَّ وأدخلهم إليه ، وأستحضر قوماً أَسْتَأْمَنُوا إليه ، فسأَلهم عن الرأس ، فأجمعوا على أنه رأس أبي عبد الرحمن ، وأن الغلبان من خاصَّته

« فقال أحمد بن طولون لهم : « هل كان مسيئاً إليكم ؟ » . قالوا : « لا والله ، ولقد كان مُحْسِناً إلينا ، ومُفَضِّلاً علينا » . قال : « فما حَمَلَكُم على قَتْلِهِ ؟ » ، قالوا : « طلبنا الحُظُوةَ عندك ، والمكانةَ منك ! » ، فقال : « قتلتم مَوْلاكم المُحْسِنَ إليكم بالتَطْرُبِ^(٢) إلى المزيد ؟ »

« ثم أمر بهم فَشَقَّ عَن جَمَاعَتِهِمْ^(٣) ، وأخذتهم السَّيَاطُ حَتَّى سَقَطُوا وَضَرَبُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ بِالشَّدُوخِ حَتَّى مَاتُوا جَمِيعاً^(٤) . وأمر بدفن رأس أبي عبد الرحمن ،

متسلط عامل ٣٧ — وسمعت أبا عبيد علي بن الحسين القاضي يحدث قال :

(١) انظر ص (٧)

(٢) تطرب : أخذه الطرب والفرح ، وتطرب إليه : اهتز له وطمع فيه

(٣) شق عنهم : أى شقوا عنهم ثيابهم يهيمونهم للجلد بالسياط

(٤) الشدوخ : جمع شدخ ، وهو الرخص الطرى من الشجر ، يضرب به حتى يشدخ رأس المضروب

« كانت لي بواسطِ حصّة أُودّي عنها إلى السلطان خُرْجا ^(١) فقَدِم علينا عامِلٌ قد جُمِعَ من الظلم ، وسوءِ التسلُّط ، وفَظَاظَةِ الطَّبْع . جُمِعَ المعامِلين بأسرهم على التَّحْيِيلِ له بما لا يُوصَلُ إليه من أملاكهم ، ولا يستحقُّه عليهم ، فضرب قوما ، وآستخفَّ بآخرين ، فقال له رجل مَن حضر : « إن رأيتَ أن تؤخِّرني إلى نصف النهار ! » ، فقال له : « لعلك مَن يقول : إن من عمودٍ إلى عمود فرجاً ! » فقال له الرجلُ : « أنا والله أعتقد من لحظةٍ إلى لحظةٍ فرجاً يُرجى من الله » ، فتضاحك من كلامه . فوالله ما مضت ساعة حتّى دخلت إلينا - في الموضع الذي كان فيه - رَعْلَةٌ من الخوارج وهي تقول : « السُّلَيْطِين السُّلَيْطِين !! » ^(٢) ، فَقَطَّعَتْهُ بِأَسْيَافِهَا وخرجت ، ولم تقتل غيره ، ولا طلبت شيئاً لأحدٍ . فعلتُ أنهم عقوبة آعتمدته ،

عامل الصدقة
ومتظلم

٣٨ - وحدّثني عمر بن يزيد البرقي - وكان جميل المذهب -

قال :

« حضرت مُصَدِّقاً شديداً الاستحلال ^(٣) ، بعيداً من الرأفة ، وهو جالس على رابيةٍ ، وبين يديه حِوَاءٌ يحتازُ به ما يُحصل له من

(١) الحصّة : النصيب الموروث من الأرض ، والخرج : المال الذي

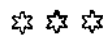
يؤدّى على الأرض

(٢) تصغير سلطان

(٣) المصدق : هو الذي يأخذ حقوق الصدقة من الإبل والغنم

الإبل^(١). قال : « فَعَرَضْتُ نَعْمَ رَجُلٍ حَسَنِ الطَّرِيقَةِ ، مُتَعَالِمٌ
بِعَفَافِ الطُّعْمَةِ^(٢) . فَتَخَيَّرْتُ عَلَيْهِ الْمَصَدَّقَ مَا احْتَازَهُ مِنْ إِبِلِهِ ،
وَأَسْتَعْمَلَ مِنْ سُوءِ التَّحَكُّمِ عَلَيْهِ مَا لَا يَصْبِرُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ . فَأَمْسَكَ ،
ثُمَّ نَظَرَ بَعْدَ انْفِصَالِ مَا بَيْنَهُمَا إِلَى فَصِيلٍ سَمِينٍ كَانَ فِي إِبِلِهِ ؛ فَقَالَ
لِغُلَامَانِهِ : « خُذُوا هَذَا الْفَصِيلَ حَتَّى يُصْلَحَ لَنَا غَدَاءً » ، فَقَالَ صَاحِبُ
الإِبِلِ لَهُ : « قَدْ أَخَذْتُ زِيَادَةً عَلَى حَقِّكَ ، فَمَا هَذَا ؟ » ، قَالَ :
« لَا بَدَّ لِي مِنْ أَخْذِهِ » ، قَالَ : « فَإِنِّي لَا أَسْأَلُهُ »

فَأَمْرَ بَوَّجِي عُنُقِهِ^(٣) ، وَأَخَذَتْ مَقَادَتَهُ مِنْ يَدِهِ ، فَصَاحَ بِأَعْلَى
صَوْتِهِ : « كُلُّ هَذَا بِحَيْنِكَ يَا جَبَّارُ^(٤) ! » . فَخَلَفَ لِي عُمرُ أَنَّهُ جَاءَ
مِنَ الْحَوَاءِ فُخْلٌ - وَخَرَجَ مِنْهُ وَهُوَ يَرْغُو - ، فَأَخَذَ بَعْضُهُ ، وَلَمْ
يَزَلْ يَضْرِبُ بِهِ الْأَرْضَ حَتَّى قَتَلَهُ . وَانْصَرَفَ الرَّجُلُ بِفَصِيلِهِ «



٣٩ - وفيما أخبر به الهيثم بن عدي قال :

عدي بن زيد
والنعمان

« كَانَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ قَدْ تَقَدَّمَ عِنْدَ كَسْرَى أَبْرَوَيْنَ فِي تَرْجُمَةٍ

(١) الحواء : المكان الذي يحوى الإبل وغيرها من الأشياء ، أى :
يضمها ويجمعها

(٢) الطعنة : وجه الارتفاق والاكتساب

(٣) الوجع : اللكز ، أو ضرب العنق بالأيدي أو بالحديد

(٤) فى الأصل : « بعينك ، وقوله « كله بحينك » ، أى : كله ومعه حينك .
والحين : الموت

العربيّ إلى الفارسيّ ، وكان رجلاً جاراً للنعمان بن المنذر ، فرام منه النعمان أن يكون عيناً له على كسرى ، فامتنع من ذلك ، ولم يرُضْ بهذه السَّجِيَّة ^(١) . فتركه النعمان حتى آطع أن إليه ، ثم سأله أن يزوره . فكلَّم كسرى ، وسأله أن يأذن له في زيارته شهراً واحداً ، ونصّب عديّ ابنه مكانه - وكان حُلُو الشاهد ^(٢) مضطرباً بما يُسند إليه - ، فأذن له . فلما حصل في يد النعمان قتله ، وكتب إلى ابنه يُخبره بأنه مات حتف أنفه ^(٣) ، وأنه على غاية من الآسى عليه ^(٤) . وتأدّى خبر عديّ إلى ابنه على الصّحة ، فلم يخرق فيه ^(٥) . وأقام يتتبع غوائله ، ويعمل الحيلة في آفتراص وثره ^(٦)

فجرى في يوم من الأيام ذكرُ الجوارى بين كسرى وبين ابن عديّ - وكان أبرويز مُستَهْتَرًا بهنّ - ، فقال ابن عديّ : « أحسنُ

(١) السجّية : الطبيعة والخلق والخصلة

(٢) حلو الشاهد : حلو العبارة واللفظ جُمليهما . يقال : ماله رواء .

ولا شاهد ، أى : ماله منظر ولا لسان يشهد له

(٣) الحتف : الموت نفسه ، وحتف أنفه : أى أن موته كان بخروج

روحه مع تنفّسه من أنفه وهو على فراشه ، لم يقتل في حرب

(٤) الآسى : الحزن

(٥) خرق في الشئ : دهش ثم تعجل فلم يحكم عمله . يقول : لم

يتعجل

(٦) الوتر : النار . اقترص الشئ : اغتتمه وانتزعه عند سnoch

الفرصة

النساء حُرقة بنت النعمان . فكتب أبرويز إلى النعمان كتاباً يأمره فيه بحمل حُرقة ابنته إليه . فعظم هذا على النعمان ، وكتب إليه كتاباً يذكر فيه قَشَفَ^(١) تربية العرب لأولادها ، وتقصيرهم ببِذَاذة الهيئة ووسخ المهنة^(٢) ، وأن في عين العراق للملك عَوْضاً منهن^(٣) ؛ وأنفذ الكتاب إلى كسرى . فأمر كسرى ابن عدي أن يقرأه عليه ، فأمره على طَرَفِهِ ثم ألقاه ،^(٤) وضرب يده على جبينه ، وقال : « لا يستطيع لسانى مواجهة الملك بما فيه ! » ، فعزم عليه الملك ليُخْبِرَنَّهُ . فقال : « ابنتى لا تصلح لك ، فإذا قرمت إلى الجماع فعليك بالبقرة^(٥) . فغضب كسرى ، وأنفذ رُسلًا إليه فأُشْخِصَ . فلما قرب من مقر كسرى ، أخرج أربعة آلاف جارية بالحُلَى وفاخر الكُسوة ، وأذن له ، ثم قال له بالفارسية : « يا كلب ! مَنْ كان له هؤلاء يصلح له مجامعة البقرة ! ؟ » ، وأمر بشد يديه ورجليه ، وألقاه فى الأرض ، وأطلق الفَيْسَلَةَ عليه فوطئته ، حتى مات تحت قوائمها »

-
- (١) القشف : رثاءة الهيئة وسوء الحال وضيق العيش . ومنه المتقشف : الذى يتبلغ بالقوت وبالمرقع
- (٢) البذاذة : رثاءة الحياة وترك الزينة . والمهنة : الخدمة والعمل والامتهان
- (٣) العين : جمع عيناء ، وهى المرأة الواسعة العينين الجميلتهما والعيناء أيضاً : البقرة لاتساع عينيها
- (٤) أمره على طرفه : أى جعله أمام عينيه وأسرع القراءة
- (٥) قرم إلى الشيء : اشتهاه وهم به

شريف
ومريض

٤٠- وفيما جاء به الزبير بن بكار ، قال :

« اجتاز رجل من أشراف المدينة بمريض مُلقًى على كناسةٍ قريبة من منزل رجل من الأولياء اختلَّت حاله ^(١) ، ومَرَض ولا قِيَمَ عليه ^(٢) وتبرَّم به رُفقاؤه فأخرجوه من منزلهم ، وهو مُلقًى في الطريق . فأمر الشريف بحمله إلى منزله ، وتقدَّم إلى ابنة عمه في حُسن القيام عليه بحشَمِها ، وأن تُرفَّه عيشه إلى أن تقضى عِلَّته . فابتدره كُلٌّ من في منزل الشريف بالخدمة حتى تكاملت صحته ، وصار في منزلهم كأحدهم ، وقفل إلى دِمَشق ^(٣) »

فلما كان في الوقت الذي توجه جيشُ يزيد للحرَّة ^(٤) ، وآقَى فرَقَف على باب دارهم ، فظنُّوا به أنه وآقَى لحمايتهم ، وحُسن المدافعة عنهم ، لِيَقْضِيَهُمْ سَوَافَهُمْ لديه ^(٥) . فدخلَ الدار ومعه ثلاثة غلمان ، فلما تمكَّن منها أخذوا في جَمْعِ الأثاث ، فقال لهم الشريف : « ما هذا؟ » ، فقال : « إني استوهبتُ دارك بما فيها من الأمير ووهبها لي ،

(١) الأولياء : جمع ولي ، يريد عمال الدولة . واختلَّت حاله : افتقر

(٢) القيم : المدبر الذي يقوم على أمره

(٣) قفل : رجع

(٤) وقعة الحرَّة : هي الوقعة التي انتهكت فيها حرمة مدينة رسول الله غُايِبت ثلاثاً لجند يزيد بن معاوية ، يقتلون الناس ويأخذون المتاع والأموال

(٥) السوائف : جمع سائلة ، وهي الإحسان السابق ، أو الإساءة

السابقة

وَكُنْتُ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَا ، إِذْ كَانَتْ الْأَحْوَالُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَكِيدَةً ،
فَقَالَ لَهُ الشَّرِيفُ : « رَجَعْتَ يَا ابْنَ الْإِخْنَاءِ إِلَى لُؤْمِ أَصْلَاكَ ، وَفَسَادِ
مُرَكَّبِكَ ، ثُمَّ تَلَاهَ بِسَيْفِهِ . وَفَرَّ الْغُلَامَانِ ، وَهَدَّأَتْ وَقْدَةُ الْفِتْنَةِ ،
وُطِّلَ دَمُهُ ^(١) ،

٤١ - وَحَدَّثَنِي نَافِعُ بْنُ مَصْقَلَةَ الْحِمَصِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي ،
يَقُولُ :

مولى للعباسيين
وأموى

« رَأَيْتُ مَشَايِخَنَا مُجْتَمِعِينَ عَلَى أَمْرِ لِحَقِّهِ أَسْلَافُهُمْ : أَنَّهُ كَانَ يَسْكُنُ
بِحِمَصٍ شَابٌّ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، حَسَنِ الصُّورَةِ ، لَبِنِ الْعَرِيكَةِ ،
فَأَقَامَ مَعَهُمْ مَدَّةً . ثُمَّ صَارَ الْأَمْرُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ ، فَتَقَلَّدَ ذَلِكَ
الْفَتَى حِمَصَ ، وَكَانَ مَوْلًى مِنْ مَوَالِي أَبِي الْعَبَّاسِ . فَلَمَّا دَخَلَهَا قَصْدًا إِلَى
دَارِ رَئِيسٍ كَانَ بِهَا - مِنْ أَصْحَابِ بَنِي أُمَيَّةَ - فَذَبَحَ فِيهَا وَجَاعَةً مِنْ
غُلَامَانِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ

فَأَحْسَنَ السَّيْرَةَ ، وَأَلَانَ الْجَانِبَ ، فَقِيلَ لَهُ : « لَيْسَ يُشَبِّهُ مَا أَنْتَ
عَلَيْهِ ، مَا فَرَطَ مِنْكَ إِلَى الرَّجُلِ الَّذِي ذَبَحْتَهُ وَشَمَّلَهُ ! » ، فَقَالَ :
« اسْمَعُوا مِنِّي مَا جَرَى عَلَى عَائَتِهِ

« اجْتَزَتْ بِهِ - وَقَدْ نَظَّفَتْ أَثْوَابًا لِي لَا أَمْلِكُ غَيْرَهَا ، وَقَدْ دُعِيتُ
إِلَى أَمْرِ لَا يَسْعُنِي التَّأَخُّرُ عَنْهُ ، أَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْهَيْئَةِ وَإِظْهَارِ
التَّجَمُّلِ ، وَمَعِيَ رَسُولٌ مِّنْ اسْتَحْضَرَنِي - وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَى الْبَابِ »

(١) طلّ دمه : أهدر وأضع ، فلم تكن له دية ولا ثأر

فرائت دأبتي^(١) بحيث تقع عليه من رَحْبَةٍ مَبْلَطة لداره . فأمصني^(٢) ،
وأمر الغلمان بترجيلي وضربي ، فركبني أيديهم . ثم حلف ألا أبرح
حتى أكلس روث دَوَابِّ يدي في كُمِّي ، وأحمله في ثوبي وحجري ،
وأخذتُ فُجِرْتُ إلى ذلك ، ولم تزل حاشيته تضحك مما نزل بي ،
فحدثت مولاي ، فاستحلفني بحقه على غليظ ما أتيتُهُ إليه ،

أحد الأكَسرة
ورلده

٤٢ - وما قرأته من سِير العجم :

أن جماعة المنجمين حكموا لبعض الأكَسرة أن ابنه يقتله ويتولى
ملكه ، فعَمَد كسرى إلى سُموِمٍ وَحِيَّةٍ فجعلها في قوارير^(٣) ، وختمها
وكتب عليها : « دواءٌ للجماع ، الشَّرْبَةُ مثقال » ، وكانت وَزْنُهُ
قيراط تقتل من تلك السموم . وقال : « إن كان الأمر كما حكاه
المنجمون فساأخذ بطائلي منه »^(٤) . فعدا عليه ولده وقتله ،
وكان شديد المحبة للجماع ، ورأى تلك القوارير ، فشرب
مُثْقَلًا فمات

مروان
الجعدي وخالده

٤٣ - وحدثني أحمد بن أبي يعقوب ، قال حدثني أبي ، عن جدِّي

بن سهم

- (١) راث الفرس وغيره من الحيوان : أرسل روثة ورجيعه
(٢) أمص الرجل : إذا شتمه فقال « يامصان » وهو اللثم الراضع ،
يريد سبه سباً قبيحاً
(٣) سم وحى ، وموت وحى : سريع
(٤) الطائلة : النار

واضح ، قال :

« سمعت خالد بن سهم ، يحدث المنصور - وكان هذا الرجل خاساً بمروان بن محمد الجعدي ^(١) - فطلب منه مروان جارية له كان يحبها ، وتجرّم عليه ^(٢) ، فأطال حبسه ، وأخذ الجارية منه . وكان ذا رأي ونجدة ^(٣) . فلما استفحل أمر أبي مسلم وكسر عساكر مروان ، أخرجه من الحبس ووّعه جليلاً - ، قال خالد :

« كان مروان يضحك من زلي المسودة ^(٤) ويقول : « لو أسرناهم ما بلغنا بهم ما بلغوا بأفئدتهم من التشويه والشهرة ^(٥) » . فلما اضطّر إلى مكافحتهم وواقعهم ، رأيت قد تهيبّ معاركتهم ، فقال لي : « يا أبا يزيد ! - وما كنتاني قبل ذلك اليوم - ، إني قد ارتعت ، فهل ذلك بيني وبينك ؟ » ، قلت : « بلى يا أمير المؤمنين ! » - وكنت أداجنه ^(٦) ، ويسرني حؤول أمره ^(٧) ، فقال : « ما أجد قلبي يطيق موافقتهم ! » ، فقلت : « إن كان هذا ، فتحصّن منهم بالانزاع ، فإن خيلك أنجى من خيلهم ^(٨) » .

-
- (١) هو آخر خلفاء بني أمية المسمى « مروان الحمار » ،
 - (٢) تجرّم عليه : تجنى عليه ما لم يجنه من الذنوب والجرائم
 - (٣) النجدة : الشجاعة والمضاء والبأس الشديد
 - (٤) المسودة : هم العباسيون ، فقد جعلوا شعارهم السواد
 - (٥) الشهرة : الفضيحة والشنعة الظاهرة
 - (٦) داجنه : لازمه وأحسن مخابراته بالرياء والمداهنة
 - (٧) حال الأمر يحول حؤولا : تغير وتبدل وتحول فزال
 - (٨) أنجى من خيلهم : أسرع نجا ، والنجاء : العدو السريع

فانهزم ، وتوقف أصحابُ أبي مسلم عن طلبه ، فلما بانغ إلى سواده^(١) قال لي : « قد عزمْتُ على الدخول إلى بلد الروم » . - وكان من أصوب تدبير له - ، فنَفِضْتُ عليه بالرأى^(٢) ، واستعملتُ ، غالطته فقلت : « تدخلُ بأحداثٍ من وَلَدِكَ وَشَمْلِكَ^(٣) مستجيرين بكافرٍ قد أَمِنَ سِرُّهُ^(٤) » ، واستقام أمره ؛ ولعلَّ وَلَدَكَ يروقههم ما يروونه في مملكته ، فيحملهم ذلك على التنصر ! ولأنَّ تَمَادَى في مسيرِكَ حتى تدخل مصر فتجد فيها الرجال والكُرَاعَ والمسال^(٥) ، تملك بها اختيارَكَ . - فركنَ إلى قولي ، فسَرْنَا . فلما دَخَلْنَا مصرَ خَرَجَ إلى صعيدها ، واستأمنتُ إلى عامرٍ - لحالٍ كانت بيني وبينه - ، وقُتِلَ بِبُوصِيرِ الْأَشْمُونِينَ .

أحمد بن طولون
وابن المدبر

٤٤ - ولما قَدِمَ أحمد بن طولون إلى مصر متقلداً بها عمل المعونة ، أهدى إليه أحمد بن مدبر من دِقِّ مصر^(٦) ، ودوابها ، والرقيقِ المجلوب إليها ، ما مقداره عشرة آلاف دينار . فردَّ ذلك

(١) سواد العسكر من الجيش : ما يشتمل عليه من الآلات والدواب ، ويكون مجتمع سواد الجيش (المعسكر)

(٢) نفس عليه الشئ : حسده عليه وحنَّ عليه به

(٣) الأحداث : الصغار ، جمع حدث

(٤) أَمِنَ سِرُّهُ : أى اطمأنت نفسه ، والسرب : النفس

(٥) الكُرَاع : اسم لجماعة الخيل والسلاح

(٦) دق مصر : هى الثياب الرقيقة الدقيقة الصنع التى كانت تصنع

بها ، وتعرف بالقباطى جمع قبطية

عليه ، وذكر أنه لا حاجة له بشيء منه ، فثقل ذلك على ابن المدبر ،
وقال : « ما ينبغي أن يشق السلطان - بمن لم يكن لعشرة ألف دينار
في عينه قدرٌ - على طرف من أطراف مملكته ! »

فلما مضت أيامٌ بعث إليه : « قد كنت أنفذت إلى طائفة من برّك
فرددتها عند وقوع الاستغناء عنها ، وقد بلغني أن عندك مائة رجل
من مولدى الغور ^(١) ، وبني إليهم أمس حاجة . » قال ابن المدبر :
« قد ظهرت في هذا الرجل علامة أخرى ، يرُدُّ الأعراض والأموال ،
ويستهدي الرجال ! »

وكان حسين بن شعرة - مضحك المتوكل على الله - قد انضوى ^(٢)
إليه ، فحتمى به ضياعه وأملأه . ووقف على استئصال ابن مدبر
لأحمد بن طولون ، وأخرج حكايته في تزمّته ^(٣) وكلامه ،
فيضحك ابن مدبر ومن حضره . فأتصل ذلك بابن طولون ،
فأحضره ثم قال له : « بلغني أنك تنادى بي ^(٤) ، ولك في الناس
مندوحةٌ فأحذرنى ، فإنك إن وقعت لم ينفعك ابن المدبر ولا
غيره » ، فجد هذا واعتذر إليه منه . ثم انصرف إلى ابن المدبر وقال :

(١) الغور : بلاد موحشة بين هراة وغزنة ، كان يؤتى منها بسبي

يولد ويربى

(٢) انضوى إليه : مال إليه ، واحتتمى به

(٣) التزمت : الوقار والسكون وقلة الكلام والضحك ، وكان

ابن طولون من أشد الناس وقاراً

(٤) تنادى به : تهزأ وسخر وجعله من نوادره

« ياسيدي ! لو شاهدت أحمد بن طولون يُؤنّبني ! » ، فقال « ما قال لك ؟ » ، قال : « أصبح حتى أريك حكاية صورته ومُعَاتبته » ، ثم تلبّس وجلس يحكيه ويقتصّ ما لقيه به ^(١) . ثم اتصل ذلك بأحمد ابن طولون فأمسك عنه ، وتبع غوائله

« وأضطربت الرعية لنزاع السّعر ^(٢) » ، وقد باع ثلاثة أراذب حنطة بدينار . فركب وتقدّم بعقوبة القماحين ، وأزدحت النظارة من السطوح عليه . فوقع مرّكن فيه ريحان إلى الأرض ^(٣) ، بمزاحة من تشوّف إليه من النساء ^(٤) ، فمسح كفّل دابة أحمد بن طولون ، ^(٥) فنسأل عن الدار : « لمن هي ؟ » ، فقالوا « لحسين بن شعرة ! » ، فأحضره وضربه ثلاثمائة سوط ، وطاف به . وكان ما أوقعه به من أجل متقدّم سوائفه إليه ، ولم يفاح الحسين بن شعرة بعدها

« وزاد أمر أحمد بن طولون في القوّة وزيادة المال ووفور الكفاية » ، حتى تهيبه ابن مدبر ، فحدثني أبو العباس الطّرسوسيّ ، أنه سمع أحمد بن طولون يقول له : « يا أبا الحسن ! أنشدك الله إن تعرّضت لي ولا ترسمت بعد أوتي ^(٦) » ، فقد آجتهدت في استصلاحك

(١) اقتص الشيء : تبعه واحدة واحدة

(٢) نزاع السّعر : ارتفاعه وغلاؤه

(٣) المرّكن : إجانة يستنبت فيها الرياحين (قصرية)

(٤) تشوّف إليه : تطلع إليه وتطاول لينظر

(٥) مسح كفّلها : مس عجزها ومؤخرها

(٦) ترسم بالشئ : جعله رسماً له يعرف به

فلم أصِلْ إلى ذلك » ، فقال له آبن مدبر : « والله ما أُرِدُّ أُمرك فيما أتقلده ، وإنى فيه كالمقيم من قبلك ، فأى شئ أنكرت علىّ حتى أنجنّبه ؟ » ، فقال : « أنكر عليك المكاتبه إلى الحضرة ^(١) ، وقد قلّدتك البغى » ، خلف له آبن المدبر أنه لا يكتب إلا بشكره

« وصرف آبن المدبر عن مصر بأبى أيوب - ابن أخت أبى الوزير - فلما أجمع الشيوخ عنها قال له أحمد بن طولون : « يا أبا الحسن ، لو أردت بك سوءاً لقد رت عليه ، وأحتاج إلى أن تجدّ تلك اليمين » ، خلف له بالمحرجات أنه لا يألو حرصاً فى تزيين آثاره ^(٢) وتطبيب أخباره ، وأشهد عليه الله بذلك . وخرج عن مصر متقلداً للشام فأقام مع ماجور

« فحدثتني نعت مولاة أحمد بن طولون : وأم ثلاث بنات كنّ له - فقالت : « كنت عند مولاي بائنه فسمعتة يحكم فى نومه ، خفت أن أنبّهه فينكر علىّ هذا ، فأنتبه وجلس ومسح عينيه وقال : « خير إن شاء الله » . فسألته عما رأى فقال : « رأيت آبن مدبر قائماً فى وسط برية ، ومعه قوس مؤترّة وسهام ، وأنا تجاهه قائم ، ومعى جميع السلاح إلا القوس ، وبيننا نهر ، فكأنه يسدّ السهم نحوى ويرمى ، فأخطأنى . وكان قائلاً يقول : « لو رماك يومه كلّ لما أصابك به » ، لأنه عاهدك ، وما يضرّ هذا الفعل غير نفسه » فكأنه اشتدّ

(١) الحضرة : يريد حضرة الخلفاء من بنى العباس ببغداد

(٢) لا يألو : لا يقصر

على انهماكه في الرمي لي ، وليس في يدي غير سيفٍ وشرخ
وما أشبههما ، ^(١) لا تعملُ في البُعْدِ ، وقد حال النهر بيني وبين
العبور إليه . فإننا على هذا ، حتى أنصب النهر فلم يبق فيه
قطرة ^(٢) ، فعبرت إليه ، فكأنني كنتُ كلما قُربتُ منه يصغرُ ، حتى
صار بمنزلة من يواريه الكفُّ ، فأخذته بيدي أستطْرِفه ^(٣) ، ثم
ألقيته من قامتي على رأسه فمات . فتأولتُ سهامه : المكاتبَةُ فيَّ
والتحريضُ عليَّ ، والنهرُ الذي منَعني منه : مَقَامُ ماجور بدمشق ،
وَنُضُوبُهُ : موتَ ماجور ، وصغرُهُ : قدرتي عليه ، واحتيازه في
كفِّي : قبضي عليه ، وقولَ القائل لي في السهام إنها تُخطئك : أن
الله لا يُعينه عليَّ .

« فحدثت هذا الحديث سعدًا الفرغاني - غلام ابن طولون - فقال
لي ما سمعت بهذا إلا منك ، والذي عندي من خبره مطابق لهذه الرويا .
وذلك أن الحسن بن مخلد برم بكيد الكتاب وانتقاض الأولياء . ^(٤)
فكتب إلى أحمد بن طولون يذكر له رغبته في المَقَامُ بمصر . فكتب
إليه أحمد بن طولون : « إنما أنا وليك ^(٥) ، ومَقَامُ صنيعَةٍ من صنائعك ! » .

-
- (١) الشرخ : النصل الذي لم يشق بعد ولم يركب عليه قائمه
(٢) نضب النهر نضوباً : ذهب في باطن الأرض وغار وبعد وقل
(٢) استطرف الشيء : وجده طرفه ، أي طريفاً غريباً
(٤) برم : ضاق وضجر ، وانتقاض الأولياء : نقضهم العهود
وخروجهم عليه
(٥) الولي : التابع من عمال الدولة

وصوب رأيه فيما آثره . فخرج من بغداد ، وتفتى عنانه إلى مصر ، فمنعه صاحب البذرة ^(١) . فأنفذ كتباً إلى أحمد بن طولون ، فكان أول ما صدر منها أربعين كتاباً جميعاً بخط ابن المدبر ، يُعظم فيها أمر أحمد ابن طولون ويقول : « إنه قد عزم على أن يجلس خليفة » ، ويصفه بكل غدر ، فعجب منها ابن طولون . ثم مات ماجور ، واحتاز دمشق والشام ، وأنفذني إلى الرملة فقبضت عليه وأشخصته إليه . فأقام مدة في حبس ضيق ، وجفوا بما جرت به عادته ^(٢) ، حتى ذهب بصره ومات »

٤٥ — وحدثني سهل بن شَيْف ، قال :

ابن المدبر
ومتقبل

« رجعت [مرة] مع أحمد بن محمد بن مدبر إلى داره ، فاستقبلته امرأة فقالت : « أيها السيد ! نحن مائة عيال على فلان المتقبل ، ^(٣) وقد ضاع شمله لحبسه ، فاتق دعوة تعرج إلى الله منا فيك ! » ، فقال وهو متهمز : « إذا عزمتم على هذا ، فليكن الدعاء في السحر فإنه أنجع له » . قال لي سهل : « فارتعت من الكلمة ، فما مضى له شهر حتى تقلد محمد بن هلال الخراج وصرفه عنه ، واجتمعوا عند

(١) البذرة : هي خفارة الطريق وحراسته ، والمبذرق الخفير

(٢) جفا الشيء جفاء وجفوا : بعد عنه ، يريد ، وابتعاد عن عادته

(٣) المتقبل : هو الذي يتقبل الخراج أى يتكفل بجمعه وإيراده

ليت المال ، والعيل : هو الذي يحتاج ، إلى من يعوله ويمونه ويتكفله ، والجمع عيال

أحمد بن طولون ، فاهتدى محمد بن هلال إلى ما لم يظن أنه يقف عليه ،
لأنه أول ما ناظره قال : « رزق الخراج : كذا وكذا ، وأرزاق
الدواوين المضافة إليه : كذا وكذا ، فهل قبضت جملة هذه الأرزاق ؟ » ،
قال ابن المدبر : « نعم ! ما حضرني كتاب أمير المؤمنين بإطلاق جميع
الرزق لك ؛ لأنه يجوز أن يكون استعملك على جميع الأعمال برزق
الخراج وحده » . فانقطع [إلى] ابن المدبر ، وطالبه بالمال ،
فقال : « ما يلزمني ؟ » . ورد إلى يد محمد بن هلال ، فألبس جبّة
كانت على بعض الساسة ، ^(١) وأقيم في الطريق على كناسة ،
وختمت الجبة في عنقه

« فكان أول من وافاه المرأة التي قال لها : « يكون دعاؤك في
السحر هو أنجمع له » ، فقالت : « جزاك الله يا أبا الحسن خيراً ،
فقد نفعتنا بأكثر مما ضررنا ؛ لأننا جرّبنا ما أشرت به فوجدناه أنجمع
شيء يلتمس [به] » . فبكى ومن حوله من الموكلين به ، وانصرفت
المرأة داعية له »

٤٦ - وكان محمد بن أبي الساج قد هادن خمارويه بن أحمد
أبي الساج خمارويه وابن
ابن طولون ، وحلف بالمرجات أنه لا يشاؤه ولا يُجهز إليه

(١) الساسة جمع سائس : وهو الذي يقوم على خدمة الدواب

جيشاً أبداً^(١) ، وخلف عنده ابنه - المعروف بدادود - رهينة ، فسكن خمارويه إلى هذا . ثم تواترت الأخبار بتجيشه عليه^(٢) ، وما أثره من المسير إليه ، فدعا بابنه وقال : « قد نقض أبوك ما بيني وبينه ! » ، فقال : « ياسيدي ! ما أعرف لى أباً غيرك » . فرق له وأجازه ، وأقر أثرته^(٣) ، ثم توجه إلى ابن أبي الساج فالتقى بالثنية ، فحدثني أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن القاسم بن إبراهيم بن طباطبا - وكان معه - قال :

« لما تراى الجمعان أمر بإلقاء حصير الصلاة فألقيت ، ونزلت معه فصلى ركعتين ، فلما استتمهما ، أدخل يده في خفه ، فأخرج منه خط ابن أبي الساج الذي خلف فيه بوكيد الإيمان أنه لا يحاربه ، فقال : « اللهم إني رضيت بما أعطانيه من الإيمان بك ، ووثقت بكفايتك إياي غدره [بى] وبحلفه واجترأه على الحنث بما أكده لى اغتراراً بحملك عنه ، فأدلى عليه ! »^(٤) . ثم ركب ، فرأيت ميمنة خمارويه قد انهزمت ، وتبعها ميسرته ، فحمل في شريدة يسيرة على جيش ابن أبي الساج - وهو فى غاية من الوفور - فانهزموا بأسرهم

(١) شاقه يشاقه مشاقة : خالفه وعاداه ، من الشقاق وهو غلبة العداوة والخلاف

(٢) جيش عليه : جمع الجيوش لقتاله

(٣) أقر أثرته : أى رضى إثارة إياه بالابوة وأثره عليها ، وفى الأصل المطبوع « وأقر أثرابه » وهو خطأ بين

(٤) أداله عليه : جعل له الدولة عليه ونصره عليه

فوقف على نَشَر^(١) ، وأطفتُ ومن حضره به ، فاستأمنت
إلينا عِدَّةٌ كثيرة . فقلت له : « إن مُقَاتِنَا أَيُّهَا الْأَمِيرُ مع هذه
الجماعة خطرٌ ، فأمرني بالمسير بهم إلى مَسْتَقَرِّ سَوَادِهِ^(٢) . فسرْتُ
مَعَهُمْ - وَأَنَا عَلَى رِقْبَةٍ مِنْ طَمَعٍ فِيهِ أَوْ كَيْدٍ لَهُ - فَبَلَغُوا نَهْرًا
أَحْتَاجُوا إِلَى عُبُورِهِ ، فَأَرَاتِهِمْ قَدْ خَلَعُوا الْخِزْيَافَ وَحَطُّوا الرِّحَالَ ،
وَسَلَّكُوا سُلُوكَ الْمُطْمَئِنِّينَ ، فَأَنْسَيْتُ إِلَيْهِمْ »



٤٧ - وَكَانَ فِي حَارَتِنَا شَابٌّ قَدْ قَدِمَ مِنَ الْعِرَاقِ ، ذَكَرُهُ قَرِيبُ لَا بِنَ
يَعْفَرُ وَعَجُوزُ يَمَانِيَةِ
الْروح هَادِي السَّيِّئِ ، يَذْكُرُ أَنَّهُ قَرَابَةُ لَا بِنَ يَعْفَرُ الْقَائِمِ كَانَ
بِالْيَمَنِ . وَكَانَ بِمِصْرَ فِي دُونَ قَرْمِهِ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ مِنْ شَاهِدِ ابْنِ
يَعْفَرٍ وَسَعَةِ أَمْرِهِ ، بِالْخُرُوجِ إِلَيْهِ ، فَأَخَذْتُ لَهُ حَاجَةً مِنْ بَعْضِ
أَهْلِنَا^(٣) ، وَأَضَفْتُ إِلَيْهَا بَرًّا بِفِي تَحْمَلِهِ^(٤) ، وَخَرَجَ . فَلَقِيَ بِمَكَّةَ عَجُوزًا
يَمَانِيَةً جَلِيلَةَ الْقَدْرِ فِيهِمْ ، فَعَرَّفَهَا مَوْضِعَهُ ، فَقَالَتْ : « أَنَا أَتَكْفُلُ
بِمُؤَوَّنَتِكَ وَتَحْمَلِكَ ، وَأَغْنِي عَنْكَ هَذِهِ الْيَدَ عِنْدَ الْأَمِيرِ ، وَحَمَلَتُهُ حَتَّى
صَارَتْ بِهِ إِلَى عَشِيرَتِهَا ، فَقَالَتْ لَهُمْ : « إِنَّ ابْنَ يَعْفَرٍ قَتَلَ مِنَّا
فِي الْعَامِ الْمَاضِي رَجُلًا ، وَمَعِيَ قَرَابَةُ لَهُ فَأَقْتُلُوهُ بِهِ » ، وَأَجْتَمَعَ

(١) النشر : الماتن المرتفع من الأرض

(٢) السواد : الماسكر ، انظر ص (٨٥)

(٣) حجة : يريد نفقة حجة عمن مات قبل أن يحج وقد وجب عليه الحج

(٤) يريد ، ما يقوم بنفقة حمولته في السفر

جيشاً أبداً^(١) ، وخلف عنده ابنه - المعروف بداود - رهينة ، فسكن خمارويه إلى هذا . ثم تواترت الأخبار بتجيشه عليه^(٢) ، وما أثره من المسير إليه ، فدعا بابنه وقال : « قد نقض أبوك ما بيني وبينه ! » ، فقال : « ياسيدي ! ما أعرف لى أباً غيرك » . فرّق له وأجازه ، وأقرّ أثرته^(٣) ، ثم توجه إلى ابن أبي الساج فالتقى بالثنية ، فحدثني أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن القاسم بن إبراهيم بن طباطبا - وكان معه - قال :

« لما تراى الجمعان أمر بالقاء حصير الصلاة فألقيت ، ونزلت معه فصلّي ركعتين ، فلما استتمهما ، أدخل يده في حُفّه ، فأخرج منه خط ابن أبي الساج الذي خلف فيه بوكيد الإيمان أنه لا يحاربه ، فقال : « اللهم إني رضيت بما أعطانيه من الإيمان بك ، ووثقت بكفايتك إياي غدره [بى] وبخلفه واجترأه على الحنث بما أكّده لى اغتراراً بحملك عنه ، فأداني عليه ! »^(٤) . ثم ركب ، فرأيت ميمنة خمارويه قد انهزمت ، وتبعها ميسرته ، فحمل في شُرذمة يسيرة على جيش ابن أبي الساج - وهو في غاية من الوفور - فانهزموا بأسرهم

(١) شاقه يشاقه مشاقة : خالفه وعاداه ، من الشقاق وهو غلبة العداوة والخلاف

(٢) جيش عليه : جمع الجيوش لقتاله

(٣) أقرّ أثرته : أى رضى إيثاره إياه بالابوة وأثره عليها ، وفي الاصل المطبوع « وأقرّ أثرابه » وهو خطأ بين

(٤) أداله عليه : جعل له الدولة عليه ونصره عليه

فوقف على نَشْر^(١) ، وأطفتُ ومن حضره به ، فاستأمنت
إلينا عِدَّةٌ كثيرة . فقلت له : « إن مُقَامَنَا أيها الأمير مع هذه
الجماعة خطرٌ ، فأمرني بالمسير بهم إلى مستَقَرٍّ سواده^(٢) . فسرتُ
معهم - وأنا على رِقْبَةٍ من طمع فيه أو كَيْدٍ له - فبلغوا نهراً
احتاجوا إلى عُبُورِهِ ، فرأيتهم قد خلَعُوا الخِفافَ وحَطُّوا الرِّحالَ ،
وسَلَكُوا سلوكَ المَطْمِئِنِّ ، فَأَنِسْتُ إِلَيْهِمْ »

٤٧ - وكان في حارِثِنا شابٌّ قد قدم من العِراقِ ، ذَكَرُهُ
الروح هادِي السَّعْيِ ، يذكر أنه قَرَابَةُ لابنِ يَعْفُرِ الْقَائِمِ كان
باليمن . وكان بمصر في دون قومه ، فأشار عليه من شاهدَ ابنَ
يعْفُرٍ وَسَعَةَ أمره ، بالخروج إليه ، فأخذتُ له حَجَّةً من بعض
أهلنا^(٣) ، وأضفت إليها براً بنى بِتَحْمَلِهِ^(٤) ، وخرج . فأتى بمكة عَجُوزاً
يَمَانِيَةً جَلِيلَةَ القدر فيهم ، فعرفها موضَعَهُ ، فقالت : « أنا أنكفل
بمُؤَوَّتِكَ وتحْمَلِكَ ، وأغتنم هذه اليد عند الأمير ، وحملة حتى
صارت به إلى عَشِيرَتِهَا ، فقالت لهم : « إن ابنَ يَعْفُرٍ قتل مِنَّا
في العام الماضي رجلاً ، ومعى قرَابَةُ له فاقتُلوه به » ، واجتمع

(١) النَشْر : المتن المرتفع من الأرض

(٢) السواد : الماسكر ، انظر ص (٨٥)

(٣) حجة : يريد نفقة حجة عن مات قبل أن يحج وقد وجب

عليه الحج

(٤) يريد ، ما يقوم بنفقة حمولته في السفر

الحى ، وتسلمه أولياء القتيل ، فلما جرد السيف اضطرب وبكى ، فقال أولياء القتيل : « ما رضى أن نقتل هذا بصاحبنا ، صاحبنا شجاع وهذا جبان ! »

فبعثوا به إلى ابن يعفر ، وقالوا لرسولهم إليه : « إنا لا نرضى أن نفتاد من هذا ^(١) » ، فلما وافى ابن يعفر ، دعا له بالسيف والنَّطع ليقتله ، وقال « هَتَكُنْتَنِي فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْعَرَبِ ! » ، فقال له وزيره : « إِنَّ هَذَا الْفَقِي خَرَجَ مِنْ فَاقَةٍ وَأَمَّنَّ إِلَى مَوْقِفٍ تُضْرَبُ فِيهِ عُنُقُهُ فَأَاضْطَرَبَ ، وَإِنَّمَا يَقْتُلُ الْأَمِيرُ مِنَ قَادِ الْجِيُوشِ ، وَتَطْعَمُ بِحَلَاوَةِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ فِيهِ ^(٢) » ، وتمكَّن من الرئاسة ثم عدل به طبعه إلى الخور ، والذي أراه الأمير : أن يعقد له الرئاسة على جماعته ، ويُنفذه إلى مهماته ، فإنَّ أكثر الفضائل إنما تظهرُ بحُسن الارتياض ^(٣) »

ففعل الملك ما أشار به عليه وزيره . فحدثني أبو عبد الله محمد بن عامر اليماني : أنه درج بهذا التدبير ^(٤) فظهر من شجاعته ما لم يُرَ في آل يعفر مثله ، ثم غزا الحى الذى كانت تلك العجوز منهم ، فقتل أولاداً كانوا لها ، وأقفر به ذلك الحى «

(١) افتاد منه : جعله قوداً أو قصاصاً يقتل بالمقتول من قومه

(٢) تطعم الشيء وتطعم به : ذاقه ليتبين طعمه حلو هو أو مر ؟

(٣) الارتياض : الرياضة والتدليل والتعليم ، يقال ، راضه وروضه

وارتاضه

(٤) درج به : درب به وترقى درجة بعد درجة

٤٨ - وحدثني يوسف بن إبراهيم [والدي] . قال حدثني

الخيزران أم
الرشيد وامرأة

هشام

إبراهيم بن المهدي:

« أنه دخل على الخيزران أم الرشيد ، فوجدها جالسة في الدار
المعروفة بها - وصارت إلى أم محمد بنت الرشيد بعدها - على نَمَطٍ
أَرْمِينِيٍّ ^(١) والنَّمَطُ على بساط أَرْمِينِيٍّ ، وعن يمين النَّمَطِ وَيَسَارِهِ
فَمَارِقُ أَرْمِينِيَّةٍ ^(٢) ، وعلى أعلى نَمْرُقَةٍ منها زينب بنت سليمان بن
علي ، وعلى يسار الفمَارِقِ أمّهات أولاد المنصور ونسوة من نساء
بنى هاشم ، إذ وقفت امرأة على طَرَفِ البساط فسَلَّمَتْ ثم قالت :
« يا زوج أمير المؤمنين ! أنا مُرِيَّةُ زوج هشام بن عبد الملك ، ثم
مروان بن محمد من بعده ، نكبتها الزمن ، وزَلَّتْ بها النعل ^(٣) ،
حتى أصارها إلى عارية ما تستتر به مما عليها ، فتبيّنت الدموع
تدور في عين الخيزران . وخافت زينب أن تدخلها رقة ، فقطعت
على مُرِيَّةِ الكلام بأن قالت : « يا أم أمير المؤمنين ! اتقي الله
أن تدخلك رقة بهذه الملعونة ، فتقبوئي مَقْعَدَكَ من النار ،

ثم التفتت إلى مُرِيَّةِ فقالت لها : « بِكَ قَدَامَ مَا أَنْتِ فِيهِ يَا مُرِيَّةُ !
كَأَنَّكَ نَسِيتِ دخولي عليك بحِزَانٍ ، وَأَنْتِ جالسة بصحن دار مروان ،

(١) النَمَطُ : ضرب من البسط (جمع بساط) له خمل رقيق وطئ

(٢) الفمَارِقُ : جمع نمركة ، وسادة وثيرة موشاة

(٣) زلت به النعل : زلق ووقع وافترق بعد استواء الحال والنعمة

على هذا النمط ، وتحت هذا البساط ، وعن يمين نمطك ويساره هذه
النمارق ، وعليها أمهات أولاد جبابرتكم ، وقد مثلت في مثل هذا
المكان الذى أنت فيه مائلة ^(١) ، وأنا أسألك وأتضرع إليك فى
استيهاب جثة إبراهيم الإمام من مروان لئلا يمثل به ، وقولك
وأنت كالحقة فى وجهى : « ما للنساء والدخول فى أمور الرجال ؟ » ،
ثم أمرت بإخراجى من دارك بغلظة ، فلجأت إلى مروان فوجدته
على حالٍ أشدَّ تعظفاً على رحمه منك ، وقال لى : « لقد ساءتني
وفاة ابن عمى وما دبرتُ المثلثة [به] ^(٢) » . وقد خيّرني بين إطلاقى
تجهيزه له ، وبين تسليمه إلى ، فاخترت تسليمه ، وأمر له بجهازٍ
فقبلته منه ،

« قال إبراهيم : « فالتفتت مُرَبَّةً إلى زينب فقالت لها : « كأنك
يابنت سليمان تحدث لى عاقبة أمرى فى قطيعتى رحمى ، فأردت أن
تزبني قطيعة الرحم لأم أمير المؤمنين ! » ، ثم التفتت إلى الخيزران
فقالت : « صدقت زينب فيما ذكرت عني ، وذلك الفعل منى
أحائى هذا المحل . والسعيد من اتعظ بغيره » ، وانصرفت . فبعثتُ
إليها الخيزران ما أعاد إليها [حالها] ، وكف اختلاها

٤٩ - وحدثني يوسف بن إبراهيم والدى ، أنه سمع بطرس - ^(٣)

اليون ملك
الروم
ومينخائيل
البطريق

(١) مثل بين يديه مثولاً : انتصب قائماً

(٢) المثلثة : التزكيل بالميت أو الحى والتشويه . مثل به تمثيلاً

(٣) فى الاصل : « بطوس » ، وسيأتى اسمه فى ص (٩٨)

- رَجُلًا - يَحْدُثُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهْدِي :

أَن « نَقْفُورَ الْمَلِكِ » - لَمَّا تَأَدَّى إِلَيْهِ الْخَبْرُ بِوَفَاةِ الرَّشِيدِ -
جَعَلَ ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا لِلرُّومِ ، ثُمَّ جَعَلَ عِيدًا أَكْبَرَ مِنْهُ فِي الْيَوْمِ
الَّذِي تَأَدَّى إِلَيْهِ وَقُوعُ الشَّرِّ بَيْنَ مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ ، ثُمَّ عَيَّدَ عِيدًا
ثَالِثًا فِي الْوَقْتِ الَّذِي بَلَغَهُ خُرُوجُ أَبِي السَّرَايَا ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْبُرْجَانِ
لِيُحَارِبَهُمْ فَقُتِلَ

فَسَأَلَ بِطَارِقَةَ الرُّومِ بِطَرِيقَتِهِمْ اخْتِيَارَ رَجُلٍ لِيُقَلَّدَ مَمْلَكَتَهُمْ ،
فَاتَّفَقَ مَعَهُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَبْنَاءِ الْعَرَبِ يُقَالُ لَهُ « الْيُون » فَلَمَّكَوهُ
- وَكَانَ ذَا نِكَايَةٍ - فَدَفَعَ عَنْهُمْ وَقَدَّةَ الْبُرْجَانِ ^(١) . وَقَوَّى الْيُونُ
عَلَى ضَبْطِ الْمَمْلَكَةِ ، وَكَانَتْ الرُّومُ فِي أَيَّامِهِ أَعَزَّ مِنْهَا فِي أَيَّامِ نَقْفُورٍ ،
إِلَّا أَنَّهُمْ أَنْكَرُوا عَلَيْهِ بَسْطَ الْيَدِ بِالْهَبَاتِ ، وَالْعَفْوَ عَنْ أُسْرَى
الْمُسْلِمِينَ . ثُمَّ اجْتَمَعَتِ الْبَطَارِقَةُ الْاثْنَا عَشَرَ فِي مَجْلِسٍ عَلَى نَبِيذٍ لَهُمْ ،
فَتَذَاكَرُوا أَمْرَهُ ، وَاسْتَشْنَعُوا فِعْلَهُ . وَكَانَ أَغْلَظَهُمْ كَذْحًا عَلَيْهِ ^(٢)
مِيخَائِيلُ الْبَطْرِيقُ الَّذِي مَلَكَهُمْ ، وَمَلَكَتْهُمْ امْرَأَةٌ بَعْدَهُ ، فَبَلَغَ اجْتِمَاعُهُمْ
وَمَا قَالُوا الْيُونُ ، فَوَجَّهَ فِي يَوْمٍ سَبْتٍ إِلَى مِيخَائِيلٍ فَأَحْضَرَهُ ، ثُمَّ
دَعَا بَتْلَيْسَ مِنْ شَعْرِ بَطُولِ مِيخَائِيلِ ^(٣) ، فَأَدْخَلَ رَجُلَاهُ فِي قَرَارَةٍ
« التَّلَيْسِ » ، ثُمَّ أَمَرَ بِالتَّلَيْسِ فُرْفُوعٍ وَأَقِيمَ مِيخَائِيلَ ، فَبَلَغَ رَأْسَ التَّلَيْسِ

(١) الْوَقْدَةُ : الشَّدَّةُ وَالْبَاسُ وَالْإِلْتِهَابُ فِي الْحَرْبِ وَمَا شَاكَلَهَا

(٢) الْكَدْحُ : السَّعْيُ الْحَدِيدُ ، وَيُرِيدُ السَّعْيَ فِي إِيْذَانِهِ وَالْإِيْقَاعَ بِهِ

(٣) التَّلَيْسُ : وَعَاءٌ كَالْعَبِيَّةِ يَسْقَى مِنَ الْخُوصِ

إلى رأسه . ثم أمر أن يُحشَى رءُلاً فُحشَى ، فبلغ الرمل فَمَ التليس .
ثم أمر نَحِيطَ بِشَعَرِ جُمَّة ميخائيل ^(١) ، ودعا الطَّابَاخِينَ فَأَمَرَهُمْ
أَنْ يُعِدُّوا لَهُ طَعَاماً كَثِيراً مِثْلَ مَا يُعَدُّ فِي الْأَعْيَادِ ، ثُمَّ قَالَ
لِلْبَطَارِقَةِ - وَمِيخَائِيلَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ - : « إِذَا نَحْنُ تَقَرَّبْنَا
فِي غَدٍ ، أَلْقَيْتُ مِيخَائِيلَ فِي الْبَحْرِ ، ثُمَّ تَغَدَّيْنَا وَجَعَلْنَاهُ يَوْمَ
مَرُوراً » .

قال بطرس : « فَأَجْتَمَعَ الْبَطَارِقَةُ بَعْدَ أَنْصَرَفَهُمْ مِنْ عِنْدِهِ
وَقَالُوا : « هَذَا الْعَرَبِيُّ قَدْ امْتَدَّتْ يَدُهُ إِلَى مِيخَائِيلَ ، وَنَخَافُ أَنْ
يَجْتَرِئَ عَلَى كَاثِنِنَا » ، فَأَجْمَعُوا عَلَى الْاِشْتِمَالِ عَلَى سَيُوفِهِمْ ، وَالْدُخُولِ
إِلَيْهِ وَقَتْلِهِ ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ . ثُمَّ جَلَسُوا لِلشَّاورَةِ فِيمَنْ يُنْصَبُ
بِمَكَانِهِ ^(٢) ؛ وَاسْتَشْرَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى أَنْ يَكُونَ مَلِكاً ،
فَقَالَ أَحَدُهُمْ لِسَائِرِ الْجَمَاعَةِ : « الصَّوَابُ أَنْ تُمَلِّكُوا مِيخَائِيلَ ؛ فَإِنَّهُ
يَرَى أَنَّكُمْ أَنْعَمْتُمْ عَلَيْهِ بِالْحَيَاةِ » . فَاسْتَشْرَفُوا إِلَى ذَلِكَ ؛ وَرَأَوْا
مَوْضِعَ السَّدَادِ مِنْهُ ، فَأَخْرَجُوهُ مِنَ التَّلِيسِ وَغَسَلُوهُ ، وَأَحْضَرُوا
الْبَطَرِيقَ وَثِيَابَ الْمَلِكِ فَأَلْبَسُوهُ إِيَّاهَا ، وَأَعْلَبُوهُ أَنَّ الْيُونِ قَدْ قُتِلَ ،
وَمَلَّكُوهُ عَلَيْهِمْ

« ثُمَّ صَارُوا إِلَى مَجْلِسِ الْمَمْلَكَةِ وَالْمَوَائِدُ مَنْصُوبَةٌ ، فَقَالُوا لَهُ :
« تَغَدَّ أَيُّهَا الْمَلِكُ بِالطَّعَامِ الَّذِي دَبَّرَ الْيُونُ أَنْ يَأْكُلَهُ بَعْدَ قَتْلِكَ ! » ،

(١) الجملة : مجتمع شعر الرأس إذا طال

(٢) نصب مكانه : أقيم مكانه خليفة له

فقال ميخائيل « عارٌ بالملك أن يَطْعَمَ طعاماً وفي عُقْقه يدٌ
لإنسان من أوليائه ورعيته ، قبل أن يكافئَه عنها ، وقد أحيتُموني
بعد موتى ، ولست أَطْعَمَ طعاماً حتى يخبِّرني كل إنسان منكم بجميع
حوادثه في مُدَّة عمره » . فقال كل واحد منهم ما تناهى إليه أمله ، بما يصل
ميخائيل الملك إليه . فقضى جميع حوائجهم ، وسأله الأكل فقال :
« قد فرغنا مما يجب لكم ، وأبقى [ما] لله والملك اليون ، ولا يُحْسِنُ بي
أن آكل حتى أَفعل ما يجب لهما » ، ثم قال للبَطريق : « ما جزاء من منع
مَلِكاً عليه من شَمِّ النسيمِ وروحِ الحياة ^(١) ؟ » ، قال البَطريق :
« يُمنَعُ النسيمَ وروحَ الحياة » ، فقال لهم : « قد حكمَ عليكم البَطريقُ
بما لا يَجُوزُ خلافُه ! . . وأمر بضرب أعناقهم وأبتدأ بطعامه

سيف بن ذى
يزن وملك
الحبشة

٥٠ — وما نقله ابنُ المقفع عن الفُرسِ وتعالَمُه العرب :
أن ملك الحبشة لما غلبَ على مملكة سيف بن ذى يزن ، خرج
إلى كسرى مستصريحاً إليه ، ومستجيراً به عليه . وكان ملك الحبشة
يُجرى على ترُجْمان كسرى رزقاً مُثيباً على تحريف دَعْوَى
المتظلمين منه ^(٢) . وكان لسكسرى يومٌ في كل شهر يركب فيه ،
ويقرب من عامته ، ومن لا يصل إليه ممن أُنْتَجَعَه ^(٣) ، فتَوَخَّى سيف
ابن ذى يزن ركوبه في ذلك اليوم ، فلما رآه قال : « أسعد الله

(١) روح الحياة : برد نسيمها وطيبه وخفته

(٢) الرزق المنيب : المصلح للحال بعظيم غناؤه

(٣) انتجعه : أتاه يطلب معروفه وخيره

الملك ! أنا سيف بن ذى يزن ، أغار على مملكة الحبشة بفرط تعديهِ وسوء جواره ، فأخرجني من مملكة عمريتها أنا وآبائي مُذاكراً من مائتي سنة . وأنا أسأل الملك أن يُنجِدني عليه ^(١) ، ويردني بطوله إلى مملكتي ومملكة آبائي . فسأل الترجمان عن قوله فقال : « يقول : » أنا رجل من جيلة العرب ^(٢) ، وقد اختللت حالي ، واضطرب شملي لشدة الفاقة ، وقد قصدتُ الملك مُستترأ به ، ومستميراً منه ^(٣) ، فأمر له بجائزة . فرأى سيف بن ذى يزن ما لا يشبه ما ابتدأه به

وصبر إلى اليوم الذى يسهل فيه كلامه وانتظره فيه ، فلما رآه قال : « أنا أيد الله الملك ذو نعمة وكفاية ، وإنما رفدت على الملك لأقتبس من عزه ، وأنتصر بقوته » ، فسأل الترجمان عما قال ، فقال : « يقول أمرت بما يقصر عن حاجتي » ، فأمر له بجائزة أخرى . فوقف على تحريف الترجمان لكلامه

فانتظره فى اليوم الثالث ، فلما رآه قال : أيد الله الملك ، إنَّ الغادر ... فأدى إليه هذا الحرف ، فقال : « الخائن » ... فرأى فى وجه الملك الاستفهام ، فقال : « الكذاب » ... فأشار إليه الملك

(١) أنجده على فلان : أغاثه وأعانه عليه

(٢) العيلة : جمع جليل ، وهو السكبير العظيم

(٣) استمار فهو مستمير : طلب الميرة ، وهى الطعام والرزق

وما إليهما

بيده من هو؟ فأومى إلى الترجمان ، فأحضر الملك ترجمانا آخر ،
فقص عليه قصته ، فضرب عنق الترجمان ، وأحسن تلقى سيف بن
ذى يزن لما تبين منه فى التأتى لإفهامه (١)

ثم أحضره مجلسه فسأله عن مقدار حاجته ، وما الذى يؤثره
من أصناف الناس ؟ فقال له : « أسأل الملك أن يُطلق لى من محابسه
السكحول ، فإنهم أصبرُ فى المعارك ، وأسمعُ بالنفوس » ، فأطلق له جملة
من [فى] الحبس كهولاً بأسرهم ، فحملهم فى مراكب ، وركب
معهم حتى وافتى مملكته

فلما نزل جميعهم ، أحرق المراكب ، واعتمد ذلك سرا منهم .
فلما نظروا إلى المراكب قد أحرقت ، قال للرجال : « إنه لا يحسن بكم
التعذير فى القتال فتهلكوا » (٢) ، ولكن جدوا جد من لا نجاة له
فى البحر . فجرد الجيش العناية ، وصدقوا حتى برزوا على من
أقام بمملكته (٣) ، واحتازوا له طائفة كبيرة من أرض الحبشة ،
وقهر مملكتها وآتت جانبته

أبو الوزير
وجماعة من
العمال

٥١ - وحدثني هارون بن ملول ، قال :

« تقلد أبو الوزير - خال أبي أيوب - الخراج على حال

(١) تأنى للشيء : ترفق فى إتيانه وإدراكه

(٢) عذر فى الأمر تعذيرا : قصر بعد جهد يبلغه العذر فى الإخفاق

(٣) برز عليه : فاق عليه وغلبه

أضطراب من الأولياء . واستعمل - من فرط الاستقصاء على
أرباب الخراجات ، وإخراج البقوط ^(١) عليهم - ما ثقلت به وطأته
على الناس . وكان له كاتب ذهب عنى اسمه ، فى النهاية من الجزالة
والضبط ^(٢) ، وكان يعزى إليه أكثر صنيع أبى الوزير ، فقال لى
هارون : « فقصدته جماعة من الأولياء ، فأحس بالشر فيهم ، فأغلق
الباب عنهم ، ثم تأملهم حتى عرفهم ، فكتب بفحمة : « يا سيدى
قتلنى فلان وفلان » ، وسمى جماعة رؤسائهم ، وكسروا الباب
ودخلوا إليه فقتلوه . وركب أبو الوزير حتى شاهده ، ثم تأمل
حائط مجلسه ، فوجد الكتاب بالفحمة ، فقبض عليهم فصدقوا عنه
وقتلوا به »

٥٢ - وكان لرجل من جلة كتاب الجيش بمصر - يعرف
بابن الأبرد - رغبة فى وصفه بالثصح فى أعمال السلطان ، ولا يسه
محمد بن أبى [القائد] ، فقدم العناية به والتعصب له ، ومكن له عند
نخارويه محلا رد إليه بعض أعماله من الخراج . وأحتاج فيه إلى
كاتب يحمل عنه ، فارتاد رجلا يعرف بنصر بن القاسم ^(٣) - يخلف
[ابن] الأبرد فيما أسند إليه - ، فكان يسعى به إلى كاتب نخارويه .

ابن الأبرد
وكاتبه

(١) البقوط : جمع بقط ، وهو ثلث خراج الأرض والبساتين أو ربعة
يلتزمه المعامل

(٢) الجزالة : جودة الرأى وأصالته

(٣) ارتاد الشيء : طلبه متخيلاً

فكتب يوماً رقعة تشتمل على ما كرهه ابن الأبرد من التغميز به
والانتقاص له ^(١)، ويشير فيها بأشياء تُفسد محله، وبعث بها إلى
كاتب خمارويه. فغلط الغلام وجاء به إلى ابن الأبرد، فاستعرض
فيها أشياء قبيحة، وفارق الكاتب. ورأى الكاتب أنه قد أحرز - بما
أتاه من السعاية - مكانةً عند كاتب خمارويه. وقُتل خمارويه،
ووثبتت يد كاتبه على الأمر، فرام نصر بن القاسم أن يدخل في
جملته، فامتنع من ذلك وقال: «من سعى إلينا سعى بنا»، فمات نصر
ابن القاسم كدأ



عمرو بن
العاص
وتكره

٥٣ - وسمعت سعيد بن عبد الله بن الحكم يقول:

«وُجد في أخبار مصر المسندة أن عمرو بن العاص عند تغلبه
على مصر كان يتنكر ويخرج وحده، متشبهاً بالرجل من عامته،
يليرى ما عليه القبط من النية للمسلمين. فتمادى به السير راجلاً حتى
لحق بطريف من الفسطاط، فرأى جماعة قد التأمّت على سوء
خيه ^(٢)، فقال لها: «اعملوا بي كل ما تؤثرون من السوء ولا تردوني
إلى يد الأمير، فإنى هربت منه»، فقال بعضهم: «ردوه إلى يد الأمير
فإنه يقتله»، ويكون لكم بذلك عارفة عند الأمير. فساقوه إلى دار
[الإمارة]، فأخذ يتضور ويتأبى في سياقته حتى قرب من الدار ^(٣)،

(١) التغميز: الطعن على الرجل وإظهار غيبته، أي عيبه

(٢) التأم القوم على الشيء: اجتمعوا عليه

(٣) تضور: تلوّى واضطرب وصاح من خوف أو وجع أو جوع

فقام إليه الشرط . فقال : « لا يفوتكم منهم أحد ! » ، فجمعوا له ،
فأتى على آخرهم ، ولم يعاود التنكر ،

الدفاني
والحنان

٥٤ - وكنت أعرف شيخاً في أيام خماروبه ، حُلُو النادرة ،
مليح الألفاظ ، يُعرف بالدفاني ، وكان معاشه من التوصل بكتب
الولاية إلى معلمهم . فحدثني أنه خرج بكتب إلى الشرقية ، فالتقى
مع رجل في زى بعض المانية من الأطباء ^(١) : « وهو على حمار
بُحرجين ، وكنتُ على حمار . فاستخبرني عن صناعتى ، فتحدثت عنده
بأن قلت : « أنا تاجر في الغلات » ، فطمع في ، وكان مُبَنَّجاً ، ^(٢)
فقال لى : « هذا موضع طيب ، فلو أكلنا فيه ! » ، فقلت : « ذاك
إليك ! » ، فأخرج من أحد خُرجه رغيفين مشطورين ، ^(٣) فوضع
أحدهما بين يدي والآخر بين يديه . ثم أخذ كوزاً معه ومضى
يسعى به ، فشرفتُ نفسى إلى الرغيف الذى كان بين يديه ،
فأبدلته حتى صار بين يدي وصار رغيفي بين يديه . وجاء بالماء ،
وابتدأنا بالأكل ، فما ابتلع لقمة حتى شَخَص بصره وتمدد ^(٤) ،

(١) المانية . هم المناوية الزنادقة أصحاب ماني

(٢) البنج . نبات ينتبذ ، إذا استعمل خذرو فتر وأرقد . وبنجه : سقاه منه .

(٣) المشطور : المقطوع شطرين ، والشطير : نصف الرغيف والجمع

شطائر ، وستأتى

(٤) شَخَص بصر الميت : إذا ارتفعت أجفانه إلى فوق وجعل لا يطرف .

واجتاز بنا جماعة فقالوا: «ما صاحبك؟»، قلت: «لا أدري والله!»، فقالوا لي: «أنت مبنيج بنجث هذا المسكين!»، وساقوني فكان من لطف الله أن خليفة لموسى بن طونيق كان يبلدهم ويحاورني يتقلد المعونة، فساقني القوم إليه، والرجل محمول معنا، وهم يقودون الحمارين، وقالوا له: «هذا مبنيج وجدناه!». فلما رأني ضحك إلي وقال: «متى تعلمت التبنيج؟»، قلت: «اليوم»، وقصصت عليه خبري، وأخرجت كتاب موسى بن طونيق في برّي. ففتش خرجه، فوجد فيه شطائر تبنيج وشطائر خالية، ووجد معها أوتاراً للخنق، وأحجاراً للشدخ. فشدخ رأسه بها، وخنقه بتلك الأوتار حتى فاض» (١)

وإذ وفينا ما وعدناك به - من أخبار المكافأة على الحسن والقبيح - خاتمة المؤلف
لللباب الثاني
مارجوناً أن يكون ذلك عوناً للاستكثار من مواصلة الخير، وتطلب العارفة في الحسن، وزجر النفس عن متابعة الشر، وإبعادها عن سورة الانتقام في القبيح (٢)، وقد قالوا: الخير بالخير والبادي أخير، والشر بالشر والبادي أظلم... رأيت أن أصل ذلك - حفظك الله - بطرف من أخبار من ابتلى فصبر، فكان ثمرة صبره حسن العقبي؛ لأن النفس إذا لم تكن عند الشدائد بما يجدد قواها، تولي عليها اليأس فأهلكها

(١) شدخ رأسه: كسرها، وفاظ الرجل: خرجت روحه فمات

(٢) سورة الخبر وغيرها: حدتها وشدتها ووثوبها في الرأس

وقد علم الإنسان أن سفورَ الحالة عن ضدِّها حَسْمٌ لا بدَّ منه ،
كما علم أن انجلاء الليل يُسْفِر عن النهار . ولكنَّ خورَ الطبيعة أشدُّ
ما يلازم النفس عند نزول الكوارث ، فإذا لم تعالج بالدواء ،
اشتدَّت العلة وازدادت المِحْنة . والتفكُّر في أخبار هذا الباب ،
كما يشجِّع النفس ، ويبعثُها على ملازمة الصبرِ وحسن الأدب مع
الرَّبِّ عز وجل ، بحسن الظنِّ في مَوَاتَاة الإحسانِ عند نهاية
الامتحان . والله وليُّ التوفيق



إلى بالشيء بعد الشيء مما تخلف عن تلك الوديعة ، وعجوزٌ تختلف
بذلك ، لها ولدٌ يتشطر ويلعب بالحمام^(١) ، فوردت عليهما بذرّة
دراهم^(٢) ، وقد انتهى بهما السهمى فى الإيداع . فقالا للعجوز :
« صيرى بها إلى ابنك مع هذا الغلام حتى تُودعها لنا عنده » ، ففضت
بها والغلام معها ، فحدثنا الغلام قال :

« صرنا إليه وقد فتح باب البرج وأخرج فراخاً زُغياً^(٣) ،
وهو ينظر إليها ، فأدّينا الرسالة إليه ، فقال : « ليس لى خزانة ولا
صندوق ، ولكن اجعلها فى هذه المحضنة الخالية من البرج^(٤) » ،
قال : « ففعلت »

« وانصرفنا جميعاً على أنه يُعزّقها مع الغلمان وسباق الحمام^(٥) »

(١) شطر شطارة وتشطر : خرج عن أهله وتركهم وأعيام خبثاً ،
وهو الشاطر وهو صاحب الفتوة والمروءة والقوة
(٢) البدرّة : كيس يكون فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة
آلاف دينار والجمع : بدور وبدرات
(٣) زغب : جمع أزغب ، وهو فرخ الطائر يكون عليه الزغب ، وهو
أول ما يبدو من دقاق ريشه

(٤) المحضنة : الموضع الذى يحضن فيه الحمام على بيضته

(٥) السباق : هم الذين يتراهنون على سباق الحمام

ابنا الاخبارى
وغلام يتشطر

ثم صلح ما كان التآث من أمرنا^(١)، واطمأنت نفوسنا بما كان أخافنا.
فبعثنا فيما كنّا أودعناه الشيخ، فقال للغلام: « غَاطَتَ بِي ، وليست
الرسالةُ إلى » ، فلما رجع بالجواب إلينا ، تحيرنا وركبنا إليه ، فاستمر
في الجحود ، وتضاحك بما لقيناه به ، ورجعنا وقد لحقنا من فقد
الوديعة أكثر مما كنّا نخافه من النكبة . وميّلنا بين مطالبته بما
نُنبّه به على مقدار ما أودعناه^(٢) ، ونُطمع من خفناه ، وبين الإمساك
عنه ، وترُبص الأيام به ، فمالت نفوسنا إلى الإمساك لما اجتمعت
لنا الصغائر المغادرة للعدل^(٣) . واجتازت بنا العجوز فقالت : « قد
رددنا ما أودعناه وبقى ابني » . واقتضت الغلام يحمل البدره
فبعثنا به معها

فخذنا الغلام قال : « وافيناه بين يدي البُرج ، فأدّت العجوز
إليه الرسالة ، فقال للغلام : « ادخل نُفْذها من المَحْضَنَةِ التي خلفتها
فيها » ، فصار بها إلينا الغلام وعليها ذرق الحمام^(٤) ، فوزناها
فوجدناها على ما كانت عليه . فكثرت عجبنا من أمانته ؛ وأخرجنا
من البدره ألف درهم ، وتقدّمنا إلى الغلام بالمصير بها إليه . فرجع
الغلام إلينا فقال : « رمى بها إلى شتَمي » . فأثرنا ارتباطه^(٥) ،

(١) التآث الأمر : اختلط والتف وفسد

(٢) ميل بين الأمرين ، ومايل بينهما : فاضل ووازن

(٣) هكذا في الأصل

(٤) ذرق الطائر : سلحه وخرؤه

(٥) ارتباطه : أوثق صلته به

وقلنا للعجوز: « صيرى به إلينا الساعة ! » ، فوافانا ، فقلنا :
« انبسطنا إليك فانقبضت عنا ! » ، فقال : « الخيانة - أعزكم الله -
أسهل من أخذ أجرٍ على الأمانة » ، فقلنا : « جزاك الله خيرا ، فقد
وجدنا فيك ما لم نجده في غيرك » ، فقال : « وتخلف عنكم شيء مما
أودعتموه » ، فقلنا : « نعم ! » ، فقال : « عرفوني ، فيأني أرجو
أن آخذه لكم بالطرفِ حيلةً » ، فرأيناه - لما فيه من فضل النفس
وكرم السجية - أهلا لأن تبيته وجدنا ^(١) ، فأخبرناه ؛ فقال :
« ينبغي أن تتقدما إلى بعض من تثقان به من غلمانك ، أن يتيقظ ؛
فلعلّي أن أناديه الليلة » ؛ فقلنا : « وما تريد بذلك ؟ » ، فقال : « ما لا
يجوز أن أبديه ، وأرجو عون الله عليه ، والتفريج عنك » ، ففعلنا
ذلك ، وما يتناول سؤلنا إلى ما أتاه ^(٢)

فجمع إخوانا له في عدة كثيرة من الشُّطَّار ^(٣) ، واقنعم على
المستودع وقال له : « ما جئنا لنهبك ، ولا نتعرضُ لشيءٍ من مالك ،
وما جئنا إلا لوديعةِ آبنى عُمر الأخبارى . فإن أدبتهَا خرجنا
وكأنا مادخلنا . وإن جحدت واعتمدت بصياحِ قتلناكَ الساعة ،
وسهل علينا عقوبتنا فيك وقتلنا بك ، لأننا نُرزق الشهادة في القتل
والمشوبة ، إذ كنا نجاهد عما اختزلته ^(٤) » ، وضرب إلى لحيته

(١) بثه وجده : أطلعه على ما يكتُم من الأسف والحزن

(٢) السؤل : البغية

(٣) الشُّطَّار جمع شاطر انظر ص (١٠٧)

(٤) اختزل المال : اقتطعه وانفرد به

وَأَعَجَلَهُ ^(١) ، فقال : « هي في هذه الخزانة » . ودعا بغلام فقال :
 « أَخْرِجْ جَمِيعَ مَا [أَوْدَعْنَاهُ أَبْنَاءُ] عُمَرَ » ، فأخرج سَفَطًا كان فيه
 جواهر ، وسَفَطًا ^(٢) فيه أثوابٌ وثِيٌّ مذهبٌ صَحَاحٌ ، وُبدُورٌ فيها
 مال ^(٣) ، فقال : « وَاللَّهِ إِنَّ خَلْفَتَ شَيْئًا لَنُظَلَّنَّ دُونَكَ ^(٤) » ، ولئن
 كنت أديت الأمانة لنكوننَّ أولياءك والمقيمين بأمرك ،
 فوافوا باب منازلنا ، فصاحوا بالغلام وهم يحملون الوديعة ،
 فوضعوها بين أيدينا وحدثونا بحديثهم ، وقالوا : « استعرضوا
 وديعتكم ، فنحن في الدهليز حتى تفرغوا وتُخبرَانا : هل بقي منها
 شيء أم لا ؟ » ، فلما عرضناها على ثبتيها عندنا ^(٥) ، ماغادرت شيئاً
 منه ، وعادت بما ردَّ إلينا نعمتُنا ، وأنحسمت فاقبتنا ، ولم نجد
 في الجماعة من قبل شيئاً مما بذلناه ، وانصرفوا »

٥٦ - وحدثني أحمد بن أيمن قال :

رجل مختل
 الحال وعباس
 البرمكي

« كنت أكتب في حدائق للعباس بن خالد البرمكي ، وكان
 طويلَ اللسان مخشياً الغضب . فإني لجالس بين يديه في داره
 بمدينة السلام ، حتى دَخَلَ علينا شابٌ حسنُ الصورة رثُ الهيئة ،

(١) ضرب إلى لحيته : أي ضربها بيده فأمسكها

(٢) السفط : الوعاء الذي تعي فيه الثياب

(٣) البدور : جمع بدرة ، انظر ص (١٠٧)

(٤) ظل دمه : أهدر وأبطل ديته

(٥) الثبت : جريدة ثبتت فيها الأشياء - (الكشف)

فأكب عليه فقال : « ألسـت ابن فلان صديقنا ؟ » ، فقال : « نعم » ،
 ياسيدي ! » ، فقال : « قد كان حسن الظاهر جميل الهيئة : فما بلغ بك إلى
 ما أرى ؟ » ، قال : « كان تحمله أوفى من عايدته ! وتوفى ، فكنت
 أتبلغ بها يستعمله الموقى على جأه^(١) ، إلى أن خان طبعى البارحة
 ولم أطق ستر ما بي فقصدتُك » ، فدعا بمائة درهم ، وقال : « تمسك
 بهذه إلى أن أنظر لك فى عائد عليك من الشغل » . فلما قام من عنده
 قال لـغلام يثق به : « نص أثر هذا الفتى : فانظر ما يبتاعه بهذه
 الدراهم وأحصه عليه حتى يدخل منزله ، وأعرف المنزل وصر إلى » .
 فرجع إليه وقال : « ياسيدي ! هذا غلام عيار^(٢) ابتاع بديف
 وثلاثين درهما سميذاً وسكراً وعسلاً ولحماً كثيراً وحوانج
 الأعراس^(٣) ، وأخذ طباًخاً من طبأخى الأعراس ، وأحسب أن
 عنده دعوة وقد عرفت منزله » ، فقال : « دعه »

فلم تمض إلا أيام يسيرة حتى وافى الفتى فأعرض عنه ، وأستثقل
 جلوسه بين يديه ؛ فقال : « ياعمى وسيدى ! ليس يشبه هذا اللقاء
 ما لقيتني به فى الأولى ! » ، قال : « كنت فى الأولى راجياً لصلاحك ،
 وأنا اليوم آيس منه » ، فقال : « وكيف ظننت ذلك ؟ » ، قال :

(١) تبلغ بالشئ : اتخذه بلغة يكتفى بها

(٢) العيار : أصله الكثير المحيى والذهاب الذكى الطواف ، وهو

هنا (البلطجى)

(٣) السميز : دقيق تتخذ منه الحلوى

« أخبرني غلامي أنك أنفقتَ إلى أن بلغتَ منزلَك نيفًا وثلاثين درهما ، وكان حَقُّك أن لاتزيد على ثلاثة دراهم » ، فقال : « لو عرفتَ خَبري لقدمتُ عُذري ! » ، قال : « ماخبرك ؟ »

قال : « كنت مع تضاييقِ حالي ، أُمِسِكَ نفسي عن المسألة ، وأقْتَصِرُ وأهلي على البُلْغَةِ ^(١) . وأنا ساكنٌ وأهلي في ظهر دار فلان - ووصف رجلا ظاهرَ اليَسَار من التجار - وقال : « له طاقاتٌ في مطبخه تُفِضِي إلى منزلي . فأولم وليمةً لأشك في حضورك إياها . فشرِقَ منزلي بروائحِ الأطعمة ، وكانت الصَّبِيَّةُ من صبيانِي تخرجُ فتقول : « رائحة جدي يُشَوِي ! » وأخرى تقول : « رائحة نَقَاتِي تُثْقِلِي ! » وهذه تقول : « يا أَبَتَه ! أشتَهِي من هذا الفالوج الذي قد شاعتُ رائحتهُ لقمةً ! » ، وقولهم يُقَرِّحُ قلبي ^(٢) . وأملتُ أن يدعوني فأتحملَ التزليلَ لهم ^(٣) ، فوالله ما رأيتُ أهلا لذلك ، فقلت : « ولعلَّه إذ نَقَصْتُ عنده من منزلةٍ من يدعوني أن يبعثَ إليَّ ؟ فوالله ما فعل . فَبِتُ بليلةً لا يديتُ بها الملدوغُ ، فأصبحتُ في الغداة فكنتُ أوثقُ في نفسي من سائرِ مَنْ بمدينة السلام . فلما أعطيتني تلك الدراهم اشتريتُ بها حوائجَ أُصْلِحُ منها ما أشتهوه ، فأكلوا أياما منه ، وهم يدعون الله في الإحسان إليك ، والخَلَفَ عليك ،

(١) البُلْغَةُ : كل ما يكتفي به

(٢) يقَرِّحُ قلبه : يجرحه ويملاه قروحا

(٣) التزليل : حمل الطعام من الوليمة عند الانصراف عنها

فقال له العباس : « أحسنت ! بارك الله عليك ! » ، ثم صاح :
 « يا غلمان ! أسيرُ جوا الى » ، وليس ثيابه ، وركب وركبتُ معه ،
 ودخل إلى صاحب الصنيع ^(١) فقال : « دعوتني وجماعة وُجوه
 بغداد إلى طعام مَقَّتنا الله عليه ! وعَرَضت نعمتنا الزوال ، وأنفسنا
 إلى احترام الأعمار ! » ، وقصَّ قصَّة الفتى ، وقال : « عزمتُ على
 أن أصدق عن كلِّ من حَضَرَ وليمتك ^(٢) ، وتكونُ سبباً لتخلف
 الناس عنك ، والإمساك عن إجابتك أخرى الليلي » ، فقال :
 « أنا أفدى إذاعتك بما غفلتُ عنه بخمس مائة دينار » ، قال :
 « أحضرها » . فأحضرها ، فقال : « اقْبِضْها » ، فقبضْتُها
 ثم ركب إلى جماعة فقال : « أعطوني في مَعُونَةِ رجلٍ من أبناء
 النِّعَمِ آخَتَلْتُ حاله » ، فأخذ منهم خمس مائة دينار أخرى ، ورجع
 إلى منزله - وقد كان أمرَ الفتى ألا يبرَحَ منه - ، فأدخله إليه ، وقال :
 « فِيمَ تهش إليه من التجارة ؟ » ، فقال : « في صناعة الأنماط ^(٣) ،
 فإنها صناعةُ أسلافنا ، ومنَ بها يَعْرِفُ حُقُوقُنا » . فدعا برجلٍ منهم
 حَسَنَ اليسار ، فأخرج إليه الألف الدينار التي أخذها ، فقال : « هذا
 المَالُ لهذا الفتى ، فليكن في دُكانك ، واشترِ به ما يُصلحه من
 المتاع وبُصْرَه به » ، ثم قال للفتى : « احذر أن تُنفِقَ إلا من رُبْح » .
 فأنصرف الفتى ، وقد رُدَّ عليه سِتْرُهُ ،

(١) الصنيع : الولية

(٢) صدق عنه : أخرج صدقة

(٣) الأنماط : جمع نمط ، وهي ضرب من البسط له خمل رقيق

خَلَفَ لِي أَحْمَدُ بْنُ أَيْمَنَ : « أَنْ بَضَاعَتُهُ تَشْمَرُ ^(١) » ، وَأَرْبَاحُهُ
اتَّصَلَتْ ، وَعَامَلَ السُّلْطَانُ ، وَدَخَلَ فِي جُمْلَةِ التَّجَّارِ وَجِلَّتْهُمْ «

* * *

٥٧ - وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي عِمْرَانَ ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ أَبِي عُقْبَةَ ،
عَنْ أَبِيهِ عُقْبَةَ ، - وَكَانَ عُقْبَةُ هَذَا مُصَادِقًا لِأَبِي يُوسُفَ الْقَاضِي
وَتَرَبًّا لَهُ ^(٢) - ، قَالَ :

أَبُو يُوسُفَ
الْقَاضِي
وَالْغَنَوِيُّ

« كَانَ أَبُو يُوسُفَ قَدْ انْقَطَعَ إِلَى أَنْحَاءِ الْفِقْهِ ^(٣) ، فَأَحْسَنَ الْقَوْلَ
عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ ؛ وَكَانَتْ زِيَادَتُهُ فِي الْعِلْمِ ، بِمَقْدَارِ نَقْصَانِهِ فِي الرِّزْقِ -
وَكَانَ كُلُّ مَنْ يَسْتَعْرِضُ حَالَهُ بِالسَّكُوفَةِ ، يَشِيرُ عَلَيْهِ [بِالرُّحْلَةِ]
إِلَى بَغْدَادَ . وَيَرَى أَبُو يُوسُفَ صَوَابَ مَا يُشَارُ بِهِ عَلَيْهِ ، فَيَقْعِدُهُ
نَقْصَانُ حَالِهِ عَنِ الْمَرْكَبِ الْفَارِهِ ^(٤) ، وَاللَّبْسَةِ الَّتِي تُشَبِّهُ مِنْ حُلِّ
مَحَلِّهِ مِنَ الْعِلْمِ ، وَتُزْعَ إِلَيْهِ مِنْ أَقْصَى النُّوَاحِي ^(٥) »

« وَكَانَ لَهُ غَلَامٌ كَانَ لِأَبِيهِ ، حَازِقٌ بِعَمَلِ الْجَوَاشِنِ وَالذُّرُوعِ
وَكَثِيرٌ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ آلَةِ الْحَرْبِ ^(٦) ، وَكَانَ يَأْتِيهِ فِي كُلِّ شَهْرٍ

(١) تَشْمَرُ : نَمَتْ وَكَثُرَتْ ثَمَرَتُهَا وَأَرْبَاحُهَا

(٢) تَرَبُّبُ الْمَرْأَةِ : هِيَ صَاحِبَتُهَا الَّتِي وَلَدَتْ مَعَهَا ، وَأَمَّا الرَّجُلُ فَهُوَ
« لَدَنَتُهُ وَسَنَهُ »

(٣) أَنْحَاءُ الْفِقْهِ : وَجُوهُهُ وَأَبْوَابُهُ وَنَوَاحِيهِ

(٤) الْفَارَهُ : النَّشِيطُ الْحَازِقُ الْقَوِيُّ مِنَ الدُّوَابِّ

(٥) نَزَعَ إِلَيْهِ : قَصَدَ مِنْ بَعْدِ

(٦) الْجَوَاشِنُ : جَمْعُ جَوْشَنٍ : دَرَعٌ وَزَرْدٌ يَلْبَسُهُ الصَّدْرُ وَالْحِزْمُ

مِنَ الْعَنْقِ

بما يقوته في حاضرة الكوفة ، ولا يُعينه على حاضرة السلطان .
فرغب في الغلام عامل للمهدي على الكوفة - قد ذهب عني اسمه - ،
فطلبه من أبي يوسف - وهو يومئذ من أصاغر رعاياه - ، فباعه
منه بتسعين ديناراً

« وخرج عند ذلك إلى بغداد ، فارتاد دابةً وثياباً
« وكان لعبد الله بن القاسم الغنوي - أحد أصحاب الأعمش -
محلٌّ من المهدي ، ولم يكن في المجالس التي تتعقد ببغداد في الفقه
أجل من مجلسه . فدخّل أبو يوسف مع كافة من دخل ، من غير
تسليم على عبد الله ، ولا مُقدّمة لحضور مجلسه . وكان أبو يوسف
حسن الصورة ، جميل الإشارة ، لطيف التخلّص والاحتجاج ،
فقبله قلب عبد الله ولم يعرفه

« وجرت مسائل وأجوبة ، كان حظ القياس فيها مقصراً ، وكان
الاحتجاج على ظاهر القول . فتكلم أبو يوسف فيها فأحسن
الاحتجاج وجوّد ، وأعانه على هذا طول لسانه وحسن بيانه ، ثم
سألهم فقصّروا عن الجواب ، فأبان عنه لهم برفق . فلما تقضى
المجلس عاتبه عبد الله على تخلفه عنه وتعريفه مكانه ، وسأله أين
نزل ، فأخبره . فرغب له عن الموضع الذي سكنه ، ودعاه إلى
منزل بالقرب منه ، وقرّر خبره عند أبي عبيد الله كاتب المهدي ،
فوصله بالمهدي وأسنى رزقه ^(١) ، ثم قرّنه بالهادي فأقام معه مدة

(١) أسناه : جعله سنياً أي ربيعاً عظيماً

أيامه ؛ وبلغ مع الرشيد مالم يبلغه عالم بعلمه ، ولا محبوب بمحبته ،

٥٨ - وحدثني علي بن سند - وكان انقطاعه في أيام الموفق والمعتضد إلى أحمد بن محمد بن بسطام ، وكان آل عبيد الله بن وهب يَحْقِدُونَ [عليه] سوائف مُنْكَرَةً ، ولم يكن مع عبيد الله من سوء المباداة مامع القاسم آبنه ^(١) . فلما حُبِسَ أحمد بن محمد ابن بسطام ، قُبِضَ علينا معاشرَ خلفائه في الأعمال ، وأُثْبِتْنَا في جَرِيدَةٍ ^(٢) ، وأُتِقدَّم بإحضارنا إلى داره ، فيُدْثِنَا من الحياة - ، وقال لي علي بن سند :

علي بن سند
وأبي الجيش
ثابت

« فلم يكن في جماعتنا أضعفُ حالاً مني ولا أقلُّ ناصراً ، فرأيت الموت . وُحِلْنَا إليه ، وقد أَحْضَرَ الجَلَّادِينَ وَالسَّيَاطَ وَالْمُوكِّلِينَ بِالْمَعَابِرِ ^(٣) ، قال : فُقِدَّ منَّا رجلٌ من جِلَّةِ أصحاب أحمد بن بسطام فُضِرَبَ ، وأُخِذَ خُطُّهُ بما أعلم أنه لا تَصِلُ إليه يَدُهُ . وبين يديه رجل ظهره إلينا لا نعرفه ، فلما فرغ [من] أمره ، سمعت الذي بين يديه وهو يقول : « هَنَنْتُني عَارِفَتَكَ ا » ، فقال : « ذَرُهُ ا حتى يرى عِظْمَ ماسلم منه بك » ، فقال : « هو يراه غداً » ، فقال القاسم : « سَلِّمُوا عليَّ بن سند - لا رعاه الله ا - إلى صاحبه أبي الجيش ثابت » ،

(١) باداه مباداة : أظهر له مافي نفسه من عداوة أو غيرها

(٢) الجريدة : ورقة تجرد فيها الاسماء وتكتب (كشف بيان)

(٣) المعابر : هكذا بالأصل ، ولا أدري ماهو ، ولعله يريد بعض

فرأيتُه وقد قبل يده ، ورُدَّتْ على الحياة بشفاعته ، وأُطْلِقْتُ من غير مصادرة ولا عقوبة ^(١)

« فلما رجع ثابتٌ إلى مكانه ، وصار بي رسول القاسم إليه ، قال لي : « مرَّ بي اسمك في الجريدة فاستوهبتك ، لأنَّ أباك كان من إخواني » . فجزَّيته الخيرَ على رعايته والدي ، في

محمد الغوري
ولص

٥٩ - وحدثني محمد بن صالح الغوري ، قال :

« كانت لي بضاعة أعود بفضائها على شملِي ، فأفترقتُ في معاملاتٍ في الصَّعيد ، وخرجتُ إلى من عاملته بجمعتها ، وكان مقدارها خمس مائة دينار . وخرجت أريد الفسطاط في رُفَّة كثيرة الجمع ، فلما كان مُنتَصَفُ طريقنا ، وافق جمعٌ من الصَّعاليك فسلب الناس جميعاً . ودَهِشْتُ ^(٢) ، فرأيتُ منهم شاباً حَسَنَ الصورة ، فقلتُ له : « والله ما أملك غير هذا الكيس ، فارفعه لي عندك ا » ، فقال : « وأين بيتك بالفسطاط ؟ » ، فقلت : « في دور عَبَّاس بن وليد » ، فقال : « ما اسمك ؟ » ، قلت : « محمد الغوري » ، قال : « امضِ لشأنك » . وجاءَ منهم من قلَّع ثيابه وسراويله ، وانصرفوا عنا . ولم أزد أن سوَّغتُ واحداً منهم جميع ما كان معي ^(٣) ، ودخلنا إلى

(١) المصادرة : توثيق الاتفاق على مال يدفع يفترق على أدائه أحد الطرفين

(٢) دهش : تحير واضطرب

(٣) سوَّغَه : أعطاه له سائغاً سهلاً

الفسطاط ونحن فقراء . فرجع كل واحد منهم إلى ما تخلف له ،
وبقيت ليس معي درهم أنفقهُ

« وإني لجالس على درجة المسجد بين المغرب وعشاء الآخرة ،
حتى رأيتُ رجلاً قد وقَفَ بي ، فقال لي : « هاهنا منزل محمد
الغوري ؟ » ، قلتُ : « أنا هو ! » ، ولا والله ! ما اهتديتُ إلى الرجل
الذي أعطيته المال ، لأنه كان عندي أولَ مالٍ ذاهِبٍ ، فقال لي :
« عَنَيْتَنِي ! » ^(١) ، وأخرج الكيس فدفعه إليّ ، فَرَدَّتْ عليَّ جِدَّتِي
وتطعمتُ الحياة ^(٢)

وكان بالقرب منّا قائدٌ يُعرَفُ بابن قَرَا ، كنتُ مُعَامِلًا له وكان
له محلٌّ ^(٣) ، فسألت اللصَّ المبيتَ عندي ففَعَلَ . فأصبحت وصرْتُ
إلى ابن قَرَا وقصصت عليه قصّة الرجل ، فقال لي : « الطُفْ لي فيه ،
فوالله لأنوّهنَّ بِاسْمِهِ ، ولأُكَفِّنَهُ عَنْكَ » . فرجعت إليه فأخبرته ،
فوالله ما أرتاع ولا اضطرب ، ومَضَى معي ؛ فأحسن تلقّيه ، وخلع
عليه ، وصيّره سيارَةً لَعَمَلِهِ ، ^(٤) وضمَّ إليه عِدَّةَ وافرة . ولم يزل في
حَبْرِهِ إلى أن تُوفِّيَ »

(١) عتيتني : أتعبتني

(٢) الجدة : الوفرة والغنى ، وتطعم الشيء : ذاقه وتمتع به

(٣) يريد : كان له محل رفيع ومكانة

(٤) وردت هذه الكلمة قبل صفحة ٣٨ ولست أحقق معناها ، وهي

على كل حال : عمل من أعمال الدولة في ذلك العصر

٦٠ - حدثني أحمد بن أبي يعقوب ، عن أبيه ، عن جده مصقلة ومعن ابن زائدة

هو واضح ، قال :

« كانت بين المهدي وأخيه جعفر بن أبي جعفر عداوة في أيام المنصور ، وكان مصقلة بن حبيب ينقل عنه إلى جعفر ما يكره ، ولا يمكن المهدي أن يسطو على مصقلة ولا يمسسه بسوء . فلما تولى الخلافة نذر دمه ، فاخفى . فحدثني مصقلة أنه نبأ به موضعه الذي كان به ، فخرج مستترا يريد غيره ، فلحقه رجل من أعدائه وصاح في أصحاب الأرباع^(١) ، « هذا بُغية أمير المؤمنين ! » ، « فتسرع إلى الشرط ورأيت الموت عياناً . فيينا أنا في أيديهم ، آجتاز بي معن بن زائدة ، فصحت به : « ياسيدي ! يا أبا المنذر ! أجرني أجاارك الله ! » ، فقال للشرط والرجل المتشبه بي : « خلوا عنه » ، فقال الرجل : « ماذا أقول لأمر المؤمنين ؟ » ، قال : « تقول له : إنَّه عندي » ، ثم أمر بحمل على جنيبة من جنائبه^(٢) ، وسار بي إلى منزله ، وقدم طعامه فأكلت معه ومع ولده . فلما فرغنا من الطعام قيل له : « وافي رسول أمير المؤمنين ! » ، فقال لولده : « آقضوا حقَّ عليكم بالآ تسألوا مصقلة ، فقد استجار بي ! » . فلفوا له

(١) أصحاب الأرباع : هم فيما نستظهر من بعض النصوص ، الذين يتولون مراقبة المسافرين ، والنظر في أحوالهم ، ويكون لهم حق حبس الداخلين إلى المدينة عن دخولها ، وقد مضى ذكرهم أيضاً في ص (٥١) هو الأرباع هنا هي النواحي : أي نواحي المدينة ومداخلها

(٢) الجنيبة : هي الناقة التي يحمل عليها الطعام والميرة ، والجمع جنائب

على ذلك ، وركب

« فلما رآه المهدي قال : « تُجِيرُ عَلَيَّ يَا مَعْنُ ؟ » ، قال : « نعم »
يا أمير المؤمنين ! ، قال : « و نعم أيضاً ؟ » ، قال : « يا أمير المؤمنين !
قَتَلْتُ فِي دَوْلَتِكَ زُهَاءَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ عَدُوٍّ ، وَلَا أَسْتَحِقُّ أَنْ أُجِيرَ
فِيهَا عَدُوًّا وَاحِدًا ! » ، قال : « نعم تستحق ذلك ، قد وهبناك دمه » ،
فُقال : « يا أمير المؤمنين ! ليس هكذا يُنْعَمُ مِثْلُكَ بِالْحَيَاةِ ! إِذَا
تَصَدَّقْتَ عَلَى أَحَدٍ بِحَيَاتِهِ فَاجْعَلْهَا فِي خَفِضِ عَيْشٍ مِنْ نِعْمَتِكَ ^(١) » .
قال : « يُعْطَى أَلْفَ دِينَارٍ » ، قال : « يا أمير المؤمنين ! لَا تَسْتَوِي
جَائِزُكَ وَجَائِزَةُ عَبْدِكَ مَعْنُ ! هَذَا مَا سَمَحْتَ لَهُ بِهِ » ، فقال :
« آدِفْعُوا إِلَى جَارٍ مَعْنٍ أَلْفِي دِينَارٍ » . فُخِمِلَتْ مَعِيَ إِلَى مَنْزِلِي ثَلَاثَةَ
آلَافٍ دِينَارٍ ، وَأَمَنْتُ عَلَى نَفْسِي »

٦١ - وَحَدَّثَنِي رَبِيعَةُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ ، قَالَ :
« لَمَّا تَوَفَّى خُمَارُويَه ، قَبِضَ عَلَيَّ - وَعَلَى مُضَرَ وَشَيْبَانَ ابْنَيْ
أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ - جَيْشُ بْنُ خُمَارُويَه ، وَحَبَسْنَا بِدِمَشْقَ . فَلَمَّا قَفَلْنَا
إِلَى مِصْرَ ، حَبَسْنَا فِي حُجْرَةٍ مِنَ الْمِيدَانِ مَعَهُ . وَكَانَتْ لَنَا فِي كُلِّ
يَوْمٍ مَائِدَةٌ نَجْتَمِعُ عَلَيْهَا ، وَكَانَ فِي الْحَجَرَةِ رِوَاقٌ وَبَيْتَانِ ، وَجُلُوسُنَا
فِي الرِّوَاقِ . فَوَافَى خَدَمٌ لَهُ ، فَأَدْخَلُوا أَخَانَا مُضَرَ فِي الْبَيْتِ وَأَغْلَقُوا
عَلَيْهِ الْبَابَ ، فَانْفَصَلَ عَنَّا . وَكَانَتِ الْمَائِدَةُ تُقَدَّمُ إِلَيْنَا ، وَنُتَمَنَعُ أَنْ

أولاد ابن
طولون وابن
أخيه

(١) الخفض : السعة والدعة واللين في العيش

نَلْقَيْهِ إِلَيْهِ مِنْهَا شَيْئاً ، فَأَقَامَ خَمْسَةَ أَيَّامٍ لَا يَطْعَمُ وَلَا يَسْتَغِيثُ . ثُمَّ
وَأَفَانَا ثَلَاثَةٌ مِنْ أَصْحَابِ جَيْشٍ ، فَقَالُوا : « مَا مَاتَ أَخُوكُمْ بَعْدُ ؟ » ،
فَقُلْنَا : « مَا نَسْمَعُ لَهُ حِسَاباً » ، فَفَتَحُوا الْبَابَ فَوَجَدُوهُ حَيّاً ، وَرَامَ
الْقِيَامَ فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ ، وَرَمَاهُ الثَّلَاثَةُ بِثَلَاثَةِ أَسْهَمٍ فِي مَقَاتِلِهِ فَطَفِعَ ^(١) .
وَكَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي دَخَلُوا فِيهَا لَيْلَةُ جُمُعَةٍ ، وَأَخْرَجُوهُ وَأَغْلَقُوا
الْبَابَ عَلَيْنَا

« وَأَقْمَنَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالسَّبْتِ لَمْ يَقْدَمْ إِلَيْنَا طَعَامٌ » ، فَظَنَّنَا أَنَّهُمْ
يَسْلُكُونَ بِنَا طَرِيقَهُ . فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْآحَدِ ، سَمِعْنَا رَجَّةً فِي الدَّارِ
وُفْتُحَ بَابُ الْحَجَرَةِ ، وَأُدْخِلَ إِلَيْنَا جَيْشُ بْنُ خُثَارٍ وَبِهِ ، فَقُلْنَا : « مَا خَبْرُكَ
فَقَالَ : « غَلَبَ أَخِي عَلَى أَمْرِي ، وَتَوَلَّى إِمَارَةَ الْبَلَدِ هَارُونَ بْنُ خُثَارٍ وَبِهِ ،
فَقُلْنَا : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَبَضَ يَدَكَ ، وَأَضْرَعَ خَدَّكَ » ^(٢) ، فَقَالَ :
« مَا كَانَ عَزَمِي إِلَّا أَنْ أُلْحِقَ بِكَ بِأَخِيكَ » . وَأَنْفَذَ إِلَى جَمَاعَتِنَا
مَائِدَةً ، فَلَمَّا طَعِمْنَا بَعَثَ إِلَيْنَا خَادِماً : « إِنَّ جَيْشاً كَانَ قَدْ عَزَمَ
عَلَى قَتْلِكَمَا كَمَا قَتَلَ أَخَاكَمَا ، فَاقْتُلَاهُ وَخُذَا بِأَرْكَامِهِ ، وَأَنْصِرِفَا عَلَى
أَمَانٍ » ، وَبَعَثَ إِلَيْنَا خَدِماً ، فَتَسَرَّعُوا إِلَيْهِ فَقَتِلَ . وَأَنْصَرَفْنَا إِلَى
مَنَازِلِنَا وَقَدْ كُفِينَا عَدُوَّنَا ،

أحد ملوك
الهند وتاجر

٦٢ — وَحَدَّثَنِي مَنْصُورُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْفَقِيهَ ، قَالَ :

(١) طَفِعَ الرَّجُلُ : خَمِدَ وَهَمِدَ وَانْطَفَأَ لَهَبُ حَيَاتِهِ

(٢) أَضْرَعَهُ : أَذَلَهُ وَأَخْضَعَهُ

« خرج رجل نعرفه بتجارة ، قَصْدُهُ إلى الهند ؛ فرجع إلينا بأنواع من الطيب كثيرة لها قيمة خطيرة ، وهو في نهاية الشُّرور ، فقلنا له : « كم ربحتَ في التجارة التي خرجت بها من عندنا ؟ » ، فقال : « غرقتُ وسائرُ من كان معي ، فسلبتُ بِحُشاشَةِ نفسي في جزيرة من جزائر الهند ، فتلقاني قوم فيها وجاءوا بي إلى ملكهم فقال لي : « قد نَفِدَتِ الموهبةُ الخارجةُ عنك ، فما معك من الموهبة الثابتة عليك ؟ » ، قلت : « معي الكتابُ والحسابُ » ، فقال الملك : « ما بقي لك ، أفضل من الذي ذهب منك ، والصوابُ أن تعلم أبني الكتابَ بالعربية والحسابَ ، فأرجو أن نُعوِّضَكَ أكثرَ مما [فقدته] » ، وسَلَّم إلى من آبناه : أذكي صبيٍّ وألطفه ، فتعلَّم في مدة يسيرة ما يتعلَّمه غيره في مدة طويلة

فلما رأى أنه قد تَوَجَّهَ وَاسْتَحَقَّتْ مِنْهُ الإحسان ^(١) ، صار إلى صاحب الملك فقال : « معي هدية من الملك إليك » ، وأدخل إلى بقرة فتبيته ، ثم قال : « أدفعها لك إلى الراعي ؟ » ، فقلت : « افعل » ، وصغرَ في عيني أمرُ الملك على عظم شأنه . فما مضى زمنٌ قصير حتى جاء الراعي فقال : « ماتت البقرة ! » ، واستقبلني كلُّ خاصَّة الملك بالتغنم ^(٢) . ثم ظهر في آبناه تزَيْدٌ ^(٣) ، فبعثَ إلى

(١) توجه : أى قصد الوجه الصحيح

(٢) تغنم : أظهر الغنم والهم

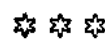
(٣) تزيد : يريد زيادة في العلم

ببقرة فتية أخرى فردّذتها إلى الراعى ، فما مضت مدة يسيرة حتى وافى يبشّرني فقال : « قد حملت البقرة ! » . فلما انتهى حملها وضعت فهنّأتني حاشية الملك بأسرهم . ثم جلس الملك مجلساً عاماً ، وأحضر التجارة التي رأيتموها معي ، ثم قال :

« لم يذهب على ما يحبُّ لك في تعليم ابني ، ولم أبعث بالبقرة الأولى لفضل البقرة عندي ، ولكن نزلت بك محنة في البحر أتت على مالك ، فامتنحت بالبقرة ما أنت عليه منها . وعلمت أني لو أعطيتك جميع ما مملكت يدي - وقد بقي منها شيء - لضاع منك وهلك لديك . فلما أخبرت أنها ماتت علمت أنك فيها ^(١) . ثم آمنتحت أمرك بالبقرة الثانية ، فلما أخبرت أنها قد حملت علمت أنها قد آنحسرت عنك ، فسُررت لك بذلك ، واستظهرت بانتظار الولادة . فلما ولدت شخصاً كاملاً صحيح الأعضاء ، علمت أنك قد فارقت محتك . وهذا ما أعددت لك ! » . ثم وصلني بطيب قومه عشرين ألف دينار ، وحماني في البرّ فسلمت ، وزاد بأرض العرب ثمنه على ما قومه ،

قال منصور : « فرأيت أنه قد أيسر بعد الخلّة والتلفيق في

المعاش ^(٢) ! »



(١) قوله « علمت أنك فيها » : أي أن شوئك ومحتك متلبسة بها

(٢) أيسر : غنى بعد شدة وعسر . والخلّة : الفقر

٦٣ - وحدثني أبو محمد يحيى بن الفضل ، قال :

« اختفى عند والدى كاتب للفضل بن يحيى بن برمك عند إيقاع الرشيد بهم ، وكان يواصل البكاء عليهم ، ولا يسمع الوَعْظَ فيهم ، فقال له أبى : « أنا أرجو أن يُخْلِفَ الله عليك ولا يُضِيعَكَ » ، فقال : « والله ما بُكَّائى لما فاتنى منهم ، وإنما بكَّائى لجلالة أخطارهم ونفاسة أقدارهم ، ولقد كان لصاحي في الجمعة السالفة ما لم أسمع بمثله لقديم ولا حديث ، قال لى : « قد كُثِرَ الزَّوَارُ علينا ^(١) ، فَأَنْظِرْ مَقْدَارَ مَنْ أَنْصَرَفَ ، وَارْفَعْ إِلَى عِدَّةٍ مَنْ بَقِيَ مِنَ الزَّوَارِ لَا تَقْدَمَ فِي بَرِّهِمْ ؛ وَاحْذَرِ أَنْ تَرْفَعَ إِلَى رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ » - ، لَأنَّهُ كَانَ يَتَشَبَّهُ ^(٢)

« فخرجتُ فَأَلْفَيْتُ مِنْ فَضْلِ عَنِ الْمُنْصَرِفِينَ أَرْبَعَةَ وَثَلَاثِينَ رَجُلًا . وجاءني رجلٌ من أهل الشام كاملُ الأدب ظريفُ الشَّاهد ^(٣) ، فأعلمته ما تُقَدِّمُ بِهِ إِلَيَّ ، فقال : « يَا أَخِي أَسْأَلُكَ أَنْ تُغَالِطَ بِي وَتُثَبِّتَنِي فِي وَسْطِ الْجَرِيدَةِ » ، ففعلتُ ذلك . فنظر إلى الأسماء ثم قال : « أَلَمْ أَتَقَدِّمَ إِلَيْكَ أَنْ لَا يَكُونَ فِي الْجَرِيدَةِ شَامِيٌّ ؟ » ، فقلت : « وَأَيْنَ الشَّامِيُّ ؟ » . فوضع - شَهِدَ اللَّهُ - يَدَهُ عَلَى اسْمِهِ وَحَلَّقَ ^(٤) ،

(١) الزَّوَارُ : هم العفاة والمجتدون وطالبو المعروف ، وكانوا يسمون «السؤال» ، فسماهم البرامكة « الزَّوَارِ » ، إكراماً لهم عن شناعة اسم السؤال .

(٢) يتشبه : يتعصب لشيعة على رضى الله عنه وأهل بيته

(٣) ظريف الشاهد : ظريف اللسان

(٤) حلق : أدار حلقة دائرة على الاسم

هو وقع بيده لكل واحد غير الشامي ، فما قصر بأحد عن مائة دينار ، وأمرني بإطلاقها وإنفاقها فيهم . فجلست أفرقها ، ووافيت إلى الشامي ، فأريته آسمه خالياً وحدثته حديثه ، فقال : « لو قضى شيء لكان ، وأحسن الله جزاءك على ما قدمته من العناية بي ، وأنصرف وقد غمى أمره ، ولم يبق في الزوار أحد حتى أخذ » . فأننا في منزلي قريباً من نصف الليل ، حتى وافاني رسوله ، فصرت إليه ، فقال : « أويت الساعة إلى فراشي ، واستعرضت بفكري شغل الزوار وما أمرت به لهم ، فحسن عندي ، ثم قبجه في عيني حرمان الشامي المسكين ، ورأيت نقصاً في مروتي ، فقدم في دفع مقسدار مارصل إلى جماعة الزوار إليه » ، فقلت : « ياسيدي ! وصل إلى جماعة الزوار خمسة عشر ألف دينار ، وهذا يكفيه ألف دينار ! » ، فقال : « والله ما تقي ألف دينار بغمه . وقد رأى غيره يأخذ وقيامه عنك محروماً ، قم فادفع إليه خمسة عشر ألف ولا تعذلي ، فالخطأ في الجليل أحسن من الصواب في القبيح ، وليس يشكر الناس من البر إلا ما أفرط ، فأما ما يبلغ الحاجة فمستى عند أكثرهم ، والواجب على من أثر جميل الذكر أن يتغنم أيامه ^(١) ، ولا يسوف بشيء من فعله » .

قال أبو محمد : « فبكى والله أبي عند هذا الفصل من حديثه حتى خفت عليه ، وقال : « ما أجهل الناس بقدر ما فقدوه من

(١) يتغنم الشيء : يغتم وينتهز

هذا الرجل ا ،

قال الكاتب : « نخرجتُ وَبَشَّتُ الرُّسُلَ فِي طَلَبِ الشَّامِيِّ حَتَّى وَجَدُوهُ ، فَوَافَانِي وَقَدْ انْحَطَّ أَكْثَرُ لَحْمِهِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَشَكَرْنَا جَمِيعاً ، وَقَبِضَ الْمَالَ وَأَنْصَرَفَ عَلَى أَحْسَنِ حَالٍ »

والد المؤلف
وابن المدير

٦٤ - وَسَمِعْتُ يُوسُفَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ وَالِدِي ، وَهُوَ يَقُولُ :
« كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ مَدْبَرٍ سَوَافٍ تُرْعَى وَيُحَافَظُ عَلَيْهَا ، فَلَمَّا تَوَلَّى مَصْرَ رَأَى حُسْنَ ظَاهِرِي ، فَظَنَّ ذَلِكَ عَنْ أَمْوَالِي جَمَّةٍ لَدَيَّ . فَجَدَّ بِي فِي الْمَطَالِبَةِ ، وَأَخْرَجَ عَلَيَّ بَقَايَا الْعُقُودِ انْكَسَرَتْ مِنْ آفَاتٍ عَرَضَتْ لِضِيَاعِهَا ، وَلَمْ يَسْمَعْ الْإِحْتِجَاجَ فِيهَا ، وَاسْتَقْصَرَ مَا أوردته ، و [ظنه] إِنَّمَا كَانَ عَنْ حِيلَةٍ ، فَاحْتَبَسَنِي مَعَ الْمُتَضَمِّنِينَ . فَكَانَ يَغْدُو فِي كُلِّ يَوْمٍ غَلَامٌ لَهُ يَحْجُبُهُ يُعْرِفُ بِقَبْضٍ ، فَيَكْتُبُ عَلَى كُلِّ رَجُلٍ مَا يُؤَدِّيهِ فِي يَوْمِهِ ، فَإِنْ شَكَا أَنَّهُ لَا يَصِلُ إِلَى شَيْءٍ ، أَخْرَجَهُ فُحِّمًا عَلَيْهِ الْحِجَارَةَ ، وَطُولِبَ أَغْنَفَ مُطَالِبَةً

« فَلَمْ يَزَلْ بِي إلْحَاحَهُ حَتَّى بَعْتُ حُصْرَ دَارِي فَضْلاً عَمَّا فِيهَا ، وَعَرَضْتُ دَارِي قَمَنَعِي مِنْ بَيْعِهَا ، وَوَجَّهْتُ إِلَيَّ : « فَأَيْنَ يَكُونُ حُرْمُكَ ؟ » . فَوَافَانِي كَاتِبِي فِي يَوْمٍ مِنَ الْإَيَّامِ فَقَالَ لِي : « يَشْهَدُ اللَّهُ أَنَا مَا نَصِلُ لَكَ الْيَوْمَ إِلَى مَا يُقِيمُكَ ، فَضْلاً عَنْ شَيْءٍ تُؤَدِّيهِ ا . »

وأمسك فضل غلامه عن الدخول في ذلك اليوم علينا ، وتعرف ما يؤدبه كل واحد منا ، فلما صليت الظهر من ذلك اليوم أنفذت إلى توقيعا نسخته :

« يا أبا الحسن أعزك الله ! قد ألويت بما بقي عليك ^(١) ، وهو سبعة عشر ألف دينار ، وآثرنا صيانتك عن خُطّة المطالبة هذه المدة ، فإن أزحت العلة فيها ، وإلا سألناك إلى أبي الفوارس مزاحم بن خاقان أيده الله ، وسببت به عليك لأصحابه ^(٢) ، فمكتبت إليه رقعة أحلف فيها : « إني ما أملك عدد هذا المال حبّ خنطة : ولو كان لي شيء لصدت به نفسي ! فإن رأى السيد رعاية السارق بيني وبينه وسترت مخافتي ، كان أهلا لما يأتيه ، وإن سلّمني إلى هذا الرجل رجوت من الله عز وجل ما لا يخطئ من رجاء »

« فرجع إلى بعض غلمانه ومعه رقعة مختومة ، فاستر كني . وسار بي إلى مزاحم ، فلما قرئت عليه الرقعة أدخلني إليه ، وعنده كاتب له يعرف بالمروزي فعرفني مزاحم ولم أعرفه - : وكان أبوه في الحارة التي فيها دار أبي بسرّ من رأى ، وربّته أم امرأة لي تعرف بميمونة ، مولاة أم محمد بنت الرشيد ؛ ولا علم لي بشيء من

(١) ألوى ولوى الدين : مطله وتأخر بالعلل عن قضائه

(٢) سبب عليه : أي جعله سبياً يأخذ عليه مالا من المرسل إليه كان يستحقه لديه ، ويتولى المرسل إليه استخراج المال من الرجل المسبب عليه

هذا فقال : « أنت كاتب إبراهيم بن المهدي ؟ » ، قلت : « نعم ! أيد الله الأمير » ، قال : « كنت أراك وأنا صبي في حارتنا ، والله ما طلب ابن المدبر أن يروج عليّ مالا^(١) ، وإنما أراد أن أقتلك بالمطالبة . وقد قبلت التسبيب ، ورأيت أن أكتب إلى أمير المؤمنين أعرفه رزوحك وقصور يدك عن هذا المال^(٢) ، فإن سهل ، وإلا نجمه عليّ وعلى رجالى حتى يقاضوا به في كل نجم^(٣) » ، ثم قال للمروزي : « هذا رجل من مشايخي ، وأمّ زوجته ببغداد تولت تربيتي ، وقد استكتبته على أمورى وما أحتاج إلى قبالة من الضياع بمصر^(٤) ، وليس يؤيدك عن رسمك^(٥) » ، وأخذ خاتماً قد كان يُختتم به الكتب بحضرة فأعطانيه . وسألني عن العجوز التي ربّته ، فقلت : « هي بمصر معي ! » ، وانصرفت من عنده إلى منزلى . فكان أول من هنأني بمحلى منه ابن المدبر ، ورجعت إلى نعمتي معه في مدة يسيرة »

٦٥ — وحدثني أبو كامل شجاع بن أسلم الحاسب ، قال :

ابن العجمي
المهندس وابن
موسى

(١) روج عليه المال : عجله له

(٢) الرزوح : العجز والضعف والإعياء من الثقل

(٣) النجم : الوقت المضروب لأداء المال ؛ ونجم المال : أداء نجومه (أقساطا) في أوقات معلومة متتابعة مشاهرة أو مساناة

(٤) قبالة الضياع : كفالة الرجل أموال خراجها ، واحتماله بأدائها

ليت المال

(٥) الرسم : هو عندهم الولاية على بعض أمر الدولة

« كان إبراهيم بن الأعمى المهندس قد تقاصرت يده واختلت حاله ، فتكلم على شكل من أشكال الهندسة ورفعه إلى من أوصله إلى المأمون ، قال أبو كامل : فحدثني سند بن علي فقال :

« سأل المأمون محمد وأحمد آبن موسى بن شاكر المنجم ، عن منزلة إبراهيم بن الأعمى في الهندسة ، فقالا : « منزلة ضعيفة ، وفيه عامية » ، فقال المأمون للسندی بن شاهك : « أحضرني إبراهيم ابن الأعمى » ، فلما أحضره ووقف بين يدي المأمون ، تهيبه ، فلم تبد منه كلمة ، قال : فرأيت انقطاعه قد سر آبن موسى ^(١) ، وقالوا للمأمون : « قد عرفنا أمير المؤمنين أنه ليس بمحل من يدخل إليه ، فقلت : « يا أمير المؤمنين ! لولا أنك تبسطنا بمناجاتك والمواظبة عليها ، لكننا بمنزلة إبراهيم في الانقطاع من كلامك ؛ فأما تقصير هذين به في الهندسة ، فإني أشهد سيدي أمير المؤمنين أني من بعض تلامذته ، وعليه آبتدأت قراءة الهندسة ! » ، فأمر بإيصاله إليه مع خاصته ، وأجرى عليه ماوسعه »

« فقلت للسندی : « متى قرأت الهندسة ؟ » ، فقال : « امتعضت والله بما لحقه من تعسف هذين الرجلين ^(٢) ، فنزلت هذا القول لأرد به الإصغار عنه ^(٣) » ، فصأحت حاله ، ورجع إلى أفضل ما كان عليه ،

(١) انقطع الرجل : صمت أو أعى فلم يستطع أن يتكلم أو يعمل

(٢) امتعض : شق عليه الأمر وعظم فتوجع منه

(٣) نزل القول : وضعه وادعاه وتقوله كذبا ، والإصغار : التحقير

هذا فقال : « أنت كاتب إبراهيم بن المهدي ؟ » ، قلت : « نعم ! أيد الله
الأمير » ، قال : « كنت أراك وأنا صبي في حارتنا ، ووالله ما طلب ابن
المدبر أن يروج علي مالا ^(١) ، وإنما أراد أن أقتلك بالمطالبة . وقد
قبلت التسبيب ، ورأيت أن أكتب إلى أمير المؤمنين أعرفه
رُزوحك وقصور يدك عن هذا المال ^(٢) ، فإن سهّل ، وإلا
نجمه علي وعلى رجالى حتى يُقاصوا به في كل نجم ^(٣) » ، ثم قال
للمروزي : « هذا رجل من مشايخي ، وأُمّ زوجته ببغداد تولت تربيتي ،
وقد آستكتبته على أموري وما أحتاج إلى قبالة من الضياع بمصر ^(٤) ،
وليس يُزيلك عن رسمك ^(٥) » ، وأخذ خاتماً قد كان نُخِتم به الكتبُ
بحضرته فأعطانيه . وسألني عن العجوز التي ربتّه ، فقلت : « هي بمصر
معي ! » ، وانصرفت من عنده إلى منزلي . فكان أول من هنأني بمحلي
منه ابنُ المدبر ، ورجعت إلى نِعمتي معه في مدة يسيرة »

٦٥ - وحدثني أبو كامل شجاع بن أسلم الحاسب ، قال :

ابن العجمي
المهندس وابن
موسى

- (١) روج عليه المال : عجله له
- (٢) الرزوح : العجز والضعف والإعياء من الثقل
- (٣) النجم : الوقت المضروب لأداء المال ؛ ونجم المال : أذاه نجومها
(أقساطا) في أوقات معلومة متتابعة مشاهرة أو مساناة
- (٤) قبالة الضياع : كفاالة الرجل أموال خراجها ، واحتماله بأدائها
ليت المال
- (٥) الرسم : هو عندهم الولاية على بعض أمر الدولة

« كان إبراهيم بن الأعمى المهندس قد تقاصرت يده واختلت حاله ، فتكلم على شكل من أشكال الهندسة ورفعته إلى مَنْ أوصله إلى المأمون ، قال أبو كامل : فحدثني سَنَدُ بن علي فقال :

« سأل المأمونُ محمدَ وأحمدَ آبنِ موسى بن شاكر المنجم ، عن منزلة إبراهيم بن الأعمى في الهندسة ، فقالا : « منزلة ضعيفة ، وفيه عامية » ، فقال المأمون للسندی بن شاهك : « أحضرني إبراهيم ابن الأعمى » ، فلما أحضره ووقف بين يدي المأمون ، تهيبه ، فلم تبدُ منه كلمة ، قال : فرأيتُ انقطاعه قد سرَّ آبنِ موسى ^(١) ، وقال المأمون : « قد عرفنا أمير المؤمنين أنه ليس بمحلٍّ من يدخل إليه ، فقلت : « يا أمير المؤمنين ! لولا أنك تبسُّطنا بمناجاتك والمواظبة عليها ، لكنَّا بمنزلة إبراهيم في الانقطاع من كلامك ؛ فأما تقصير هذين به في الهندسة ، فإنني أشهد سيدي أمير المؤمنين أني من بعض تلامذته ، وعليه آبتدأتُ قراءة الهندسة ا » ، فأمر بإيصاله إليه مع خاصته ، وأجرى عليه ماوسعه »

« فقلت للسندی : « متى قرأت الهندسة ؟ » ، فقال : « امتعضتُ والله بما لحقه من تعسف هذين الرجلين ^(٢) ، فنزلتُ هذا القول لأردَّ به الإصغار عنه ^(٣) » ، فصأحت حاله ، ورجع إلى أفضل ما كان عليه ،

(١) انقطع الرجل : صمت أو أعي فلم يستطع أن يتكلم أو يعمل

(٢) امتعض : شق عليه الأمر وعظم فتوجه منه

(٣) نزل القول : وضعه وادعاه وتقول له كذبا ، والإصغار : التحقير

محمد وأحمد
ابن موسى
وسند بن علي قال : ٦٦ - وحدثني [أبو كامل] شجاع بن أسلم الحاسب أيضا -

« كان محمد وأحمد أبنا شاكر - في أيام المتوكل - يسكيدان كل من ذكر [بالتقدم] في معرفة . فأشخصا سند بن علي إلى مدينة السلام وباعدها عن المتوكل . ودبرا على الكندي حتى ضربه المتوكل ، ورجعا إلى داره فأخذا كتبه بأسرها ، فأفرداها في خزانة سُميت الكندية ، ومكن هذا لهما آستثار المتوكل بالآلات المتحركة ^(١)

وتقدم إليهما في حفر النهر المعروف بالجعفرى ، فأسندا أمره إلى أحمد بن كثير الفرغانى - الذى عمل المقياس الجديد بمصر ، وكانت معرفته أوفى من توفيقه ، لأنه ما تم له عمل قط - فغاط في فوهة النهر وجعلها أخفض من سائرته ، فصار ما يغمر الفوهة لا يغمر سائرته ، فدافع محمد وأحمد أبنا شاكر في أمره . وأقتضاهما المتوكل ، فسعى بهما إليه فيه . فأنفذ مستحثا فى إحصار سند بن علي من مدينة السلام ، فوافى

فلما تحقق محمد وأحمد أبنا شاكر أن سنداً قد شَخَص ، أيقنا بالهلكة ويئسا من رَوْح الحياة ^(٢)

(١) الآلات المتحركة : هى آلات رصد النجوم المعروفة بالاضطرلاب

(٢) رَوْح الحياة : نستمها وطيبها

فدعا المتوكل سَنَدًا وقال [له] : ماترك هذان الرَّدِثَانِ شيئاً من
سوء القول إلا وقد ذَكَرَكَ عِنْدِي بِهِ ، وقد أَتَلَفَا جُمْلَةً من مَالِي فِي
هَذَا النهر ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ حَتَّى تَتَأَمَّلَهُ وَتُخْبِرَنِي بِالْغَلَطِ فِيهِ ، فَإِنِّي قَدْ
آلَيْتُ عَلَى نَفْسِي - إِنْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا وَصَفَ - أَنْ أَصْلُبَهُمَا عَلَى
شَاطِئِهِ « . وَكُلُّ هَذَا بَعِينٌ مُحَمَّدٍ وَأَحْمَدُ وَسَمْعُهُمَا ، فَخَرَجَ وَهُمَا مَعَهُ
» فَقَالَ مُحَمَّدٌ [بْنُ مُوسَى لِسَدٍّ] : يَا أَبَا أَحْمَدَ « إِنْ قُدِّرَ الْخَرْتُ ذَهَبَ
حَفِيفَتَهُ ، ^(١) وَقَدْ فَرَعْنَا إِلَيْكَ فِي أَنْفُسِنَا الَّتِي هِيَ أَنْفُسُ أَغْلَاقِنَا ^(٢) ،
وَمَا تُنْكَرُ أَنَّا قَدْ أَسَانَا ، وَالْإِعْتِرَافُ يَهْدِمُ الْإِقْتِرَافَ ، فَتُخَلِّصْنَا
كَيْفَ شِئْتَ »

« قَالَ لَهَا : « أَنْتُمَا تَعْلِمَانِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْكِندِيِّ مِنَ الْعَدَاوَةِ
وَالْمُبَاعَدَةِ ، وَلَكِنَّ الْحَقَّ أَوْلَى مَا أَتَّبِعُ . أَكُنْ مِنَ الْجَمِيلِ مَا أَتَيْنَا
إِلَيْهِ فِي أَخْذِ كُتُبِهِ ؟ وَاللَّهِ لَا ذِكْرُكَمَا [بِصَالِحَةٍ] حَتَّى تَرُدَّاهَا
عَلَيْهِ « . فَتَقَدَّمَ مُحَمَّدُ بْنُ شَاكِرٍ فِي حَمْلِ الْكُتُبِ إِلَيْهِ ، وَأَخَذَ خَطَّهُ
بِاسْتِيفَاتِهَا . فَوُرِدَتْ رُقْعَةُ الْكِندِيِّ أَنَّهُ تَسَلَّاهَا عَنْ آخِرِهَا ، فَقَالَ
لَهَا : « قَدْ وَجَبَ لَكُمَا عَلَى ذِمَّائِي بَرْدُ كُتُبِ هَذَا الرَّجُلِ ^(٣) ، وَلَكُمَا
عَلَى ذِمَّائِي بِالْمَعْرِفَةِ الَّتِي لَمْ تَرْعِيَاهَا فِي ؛ وَالْخَطَأُ فِي هَذَا النَّهْرِ يَسْتَبِيرُ
مُدَّةَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ بِزِيَادَةِ دِجْلَةٍ ، وَقَدْ أَجْمَعَ الْحِسَابُ عَلَى أَنَّ

(١) الحفيظة : الغضب المكتوم في النفس

(٢) الأغلاق : الذخائر النفائس

(٣) الذمام : الذمة والعهد والحق

أمير المؤمنين لا يبلغ هذا المدى ، وأنا أخبره الساعة أنه لم يقع خطأ في النهر إبقاءً على أرواحكم ، فإن صدق المنجمون أفلتنا الثلاثة ، وإن كذبوا - وجازت مدته حتى تنقُص دجلة وينضب النهر - أوقع بنا ثلاثتنا »

« فشكر محمد وأحمد هذا القول منه ، واستتر الأمر واسترقهما^(١) به ، ودخل إلى المتوكل فقال [له] : « ما غلطا » ، وزادت دجلة ، وأجرى الماء فيه ، واستتر حال النهر ، وقتل المتوكل بعد شهر [ين] من إجرائه . وسلم محمد وأحمد بعد شدة الخوف مما توقعوا ،



حصار اقريطش ٦٧ - وحدثني الحسن بن مسلم الأقریطشى - ورأيت بعد أن عانت سنه وبلغ المائة سنة ، وكان صحيح النميز ، سليم الحواس - قال :

« ألح غزونا على الروم ، ونالهم منا مكروءة عظيم . فوجدتم ملك الروم من هذا^(٢) ، ونذر أن يُخرب أقریطش ولو أنفق ذخائر مملكته . فنظر إلى راهب محبوب تتالم الروم زهادته . فأنزله من مُتعبده ، وضم إليه أكثر جيوشه ، فوافى جمع لم يُحِط بأقريطش مثله قط . ففزعنا إلى غاق الحصن^(٣) ، وتسرع الروم إلى بناء

(١) استرقه : استعبده وجعله رقيقاً أو كالرقيق

(٢) وجد من الشيء : غضب في نفسه

(٣) غلق الحصن : أقفاله

مساكن لهم ، وخرجوا من المراكب ، وغلبونا على ميرة البلد وما يكون في جواره ^(١) . واشتد الحصار ، ونزع السعير ، وتحاق المأكول ^(٢) ، وشاع الجهد ^(٣)

ثم زادت المكاره حتى أكل الناس مامات من البهائم جوعاً ، وأجمعوا على أن يفتحوا الباب له ، فقال لهم شيخ : « إني قد أراكم قد حرمتم التوفيق في قوتكم وضعفكم والصواب أن تقبلوا مني ما أشر به عليكم » ، قالوا : « قل » ، قال : « أتركوا لله قبيح ما يحملكم عليه تظاهر النعمة والسلامة ^(٤) ، وأخلصوا له إخلاص من لا يجد فرجه إلا عنده ، وأفصلوا صبيانكم من رجالكم ، ورجالكم من نسائكم » . فلما ميزهم هذا التمييز صاح بهم : « عجبوا بنا إلى الله ! ^(٥) » ، فعجبوا عجة واحدة ، وبكى الشيخ وبكى أكثر الناس . ثم قال : « عجبوا أخرى ، ولا تشتغلوا بغير الله » ، فعجبوا عجة أعظم من الأولى ، وبكى الناس أيضاً . ثم عجب الثالثة وعجب الناس معه ، وقال : « تشرفوا من الحصن ^(٦) » ، فإني أرجو أن يكون الله قد فرج عنا »

(١) الميرة : الطعام والزاد

(٢) نزع السعير : غلا ، وتحلق المأكول : هلك أو كاد كما يكون في أيام القحط

(٣) الجهد : المشقة والعسر من الجوع

(٤) تظاهرت النعمة : تضاعفت وتكاثرت

(٥) عجب بالبكاء والدعاء : رفع صوته

(٦) تشرف : أطل وتطلع

خلف لى الحسن : « إني تشرفتُ مع جماعةٍ فرأيتُ الروم قد قوّضوا [رحالهم] ، وركبوا مراكبهم . وفتّح بابُ الحصن ، فوجدوا قوماً من بقاياهم فسألوهم عن حالهم : فقالوا : « كان عميدُ الجيش بأفضل سلامةٍ إلى اليوم ، حتّى سمع ضجّتكم في المدينة فوضع يده على قلبه وصاح : « قلبي اقلبي ! » ، ثم طَفِئَ » ^(١) . فانصرف من كان معه إلى بلد الروم . وخرجنا عن الحصن ، فوجدنا في تلك الأبنية من القمح والشعير ما وسع المدينة وأعادَ إليها خصبها ، [وكفينا] جماعتهم من غير قتال »

٦٨ - قال أبو جعفر :

سهل بن شنيف
وابن بسطام

« ولما غلبَ ابنُ الخليلج على مصر ونواحيها ، لم يكن بمصر أسوأ قدرةً على أسباب أبي [عليّ] الحسين بن أحمد الماذرائي من أحمد بن سهل بن شنيف ، فلم يمضِ شهر حتى انهزم ابن الخليلج وظفر به . وحمل إلى العراق . ودخل بعد ذلك بشهور أبو العباس أحمد بن محمد ابن بسطام إلى مصر متولياً بالأمانة على الحسين بن أحمد ، وكاشفاً لما جرى عليه أمر الضياع بعد ابن الخليلج وأصحابه

فقرّر أبو عليّ أمر المتضمنين بالحضرة عند أبي العباس ، فعرض بسهل بن شنيف ولم يدع سوءاً إلا ذكره به . فقال أبو العباس : « سيعلم ما يجزى عليه مني ! » واتصل [الخبر] بسهل بن شنيف

فاستطير قلبه وكسف باله^(١) . وأحضر مع جماعة أجلبوا من
الكتاب مع ابن الخليلج^(٢) ، فلما دخلوا عليه كاد يقوم إلى سهل بن
شنيف ، ثم رفعه حتى كان أقرب إليه من أخص أصحابه . ودعا ابن
حبيش فسارّه ، فنظر إلى سهل ، وقال لأبي العباس : « الأمر على
ما وصفت » ، ثم أطلق سهلاً من ساعته إلى منزله . فسأله أبو علي :
« هل تعرفه قبل هذا ؟ » ، فقال : « لا والله أولئك ورّد عليّ منه
أشبه الناس بأبي » .

وأفرخ روع سهل بتوفيق الله ولطفه^(٣) ، وما زال حفيّا به
حتى مات .

٦٩ - قال :

المؤلف
« وكنت قد عملت في أيام ابن الخليلج لحماية ضياع كانت في يدي . وابن بسطام
فلما تمخضت دولته اختفيت ونهبت^(٤) ، وخفت الإيقاع بي ،
واعتور ضياعي العمال^(٥) ، وأضاعت حالي ، فاجتمع الخوف والفاقة .
فرايت - بعد قدوم أبي العباس بن بسطام - فيما يرى النائم ،
يوسف بن إبراهيم والدي ، وأنا أشكو إليه خلتي وخوفي ، فكانه

(١) استطير قلبه : ارتاع واضطرب ، وكسف باله : تغير وساء حاله

(٢) أجلب عليه : أعان الخارجين عليه

(٣) أفرخ روعه : اطمأن قلبه بعد فزع

(٤) تمخضت : كادت أن تولد ، وقربت ولايته الأمر

(٥) اعتوروا الضياع : تداولوها بالإيذاء والتضييق في جباية الأموال

يقول : « أتأكل في أمرك حتى تعود إلى محبتك » . فلما أصبحت قصصت الرؤيا على من كنت مُختفياً عنده ، وكان حاذقاً بالعبارة ^(١) ، فقال : « يجرى لك فرج بذكر أهلك » ،

وطلب أبو العباس بن بسطام الدُّستورات القديمة ليعتبر منها عبر الضياع ^(٢) . فأخرج إليه ما كان لسنة خمسين ومائتين وما قبلها ، فرأى فيها اسمَ والدي في ضياع كثيرة ، فقال : « من هذا يوسف ابن إبراهيم ؟ » فقال له أبو علي : « هذا صاحب إبراهيم بن المهدي ، ورَضِيعُ المعتصم » ، قال أبو العباس : « وصاحبُ كتاب الطَّبِيعِ ؟ » ، قال أبو علي : « نعم » ، قال : « فله ولد ؟ » ، قال : « نعم في ناحيتي ! » ، قال : « فخذ لي منه كتاب الطَّبِيعِ » ، وكتاب أخبار إبراهيم بن المهدي ، وصر به إلى حتى يقرأهما عليّ ، قال : « أفعل »

وكان إسحاق بن نصير يعرف موضعي ، فقال له : « أحتاج إلى أحمد بن يوسف » ، قال : « تؤمُّنه ، وعلى إحضاره ! » ، فكتب له أماناً بخطه ، وحاف فيه ألاَّ يسوءني ولا يُطالبني . فخرجت إليه وأحضرته الكتابين . وفرَّج الله عني بأضعف سبب »

(١) العبارة : تعبير الرؤيا وتفسيرها

(٢) اعتبر عبر الشيء : استدل على الشيء بالشيء وتدبر حسابه حتى يفهمه .
والدستورات : جمع دستور ، وهي النسخ المحررة المكتوبة ؛ يريد دفاتر الحساب

٧ - وحدتني أم آسية - قابلة أولاد خمارويه بن طولون ، قابلة أولاد خمارويه وأختها
 وكان لها دينٌ ومذهب جميلٌ ، ومحلٌ لطيفٌ من خمارويه . وقد
 نذاكرنا لطفَ الله عز وجلَّ في أرزاق عباده ، وحسن الدِّفاع
 عنهم - : أنه تزوجها وأختها أخوان ، فأقبلتُ حالُ زوج أختها
 وأدبرتُ حالَ زوجها ، قالت : وتوفِّي زوجها بأس - وإحالة ،
 وخلف لها بناتٌ ، وتعذَّر عايتها تجهيزه من اختلاله . وتوفِّي زوج
 أختها ، وقد خلف من العينِ والمساكن والآواني لولد أختها :
 قالت : « فكنْتُ أجاهدُ في مؤنة ولدي ، وإذا وقف أمرى ،
 صرْتُ إلى أختي فقلت : « أقرضيني كذا وكذا » ، استجيباً من
 أن أقول لها : « هبي لي ... » . ودخل شهر رمضان ، فلما مضى
 نصفه ، اشتَهَوْا على صبياني حُلُوا في العيد ، فصرتُ إلى أختي
 فقلت لها : « أقرضيني ديناراً أعمل به للصبيان حُلُوا في العيد » ،
 فقالت : « يا أختي ! تغيظيني بقولك : « أقرضيني » ، وإذا قرضتُك
 من أين تُعطيني ؟ أمِن غلَّة دورِك أو بُستانك ^(١) ؟ لو قلت :
 « هبي لي ، كان أحسن » . فقلت لها : « أقضيك من لطف الله
 تعالى الذي لا يُحتسبُ ، وجُوده الذي يأتي من حيث لا يُرتقبُ » .
 فتضاحكت وقالت : « يا أختي ! هذا والله من المُنى ، والمُنَى
 بضائعُ النُّوكى ! » ^(٢) . فأنصرفتُ عنها أجرٌ رجلى إلى منزلي

(١) الغلَّة : الدخل الذي يغله العقار

(٢) النوكى : جمع أنوك : وهو اللاحق الذي لا عقل له

« وكان في جوارنا خادم أسود لبنت اليتيم امرأة خمارويه ،
فلما بلغت حارتنا قال لي : « في جوارنا امرأة تطلق قد أوجعت
قلبي ^(١) أدخل إليها فليس لها قابلة ^(٢) » . قالت أم آسية :
« والله ما عانيت من خوضة قط ^(٣) ، فدخلت إليها ، فمسحت جوفها ،
وأجلستها كما كان القوابل يجلسني في طلقي ، فولدت من ساعتها .
فلما أمسك صياحها ، جاء الخادم يسأل عنها ، فقلت : « قد ولدت ! » ،
فعجب من سرعة أمرها ، وظن أن هذا شيئاً قد اعتمدته بحذق
صناعة ، ولطف في مهنة . فمضى إلى سته بنت اليتيم - وكانت
مقرباً بأول ولد حمل لأبي الجيش ^(٤) ، وقد عرض عليها قوابل
استثقلتهن - ، فقال : « في جوارنا قابلة أحضرناها المرأة في حارتنا
تطلق ، فوضعت يدها على جوفها فستط ولدها ! » ، ووصفني
بما لا يوجد في قذرة أحد إلا بالله عز وجل ! فقالت للخادم :
« إذا كان غداً فجئني بها » ، فأتى الغلام ودعاني إلى مولاه ،
فأجبت بانشرح صدر وثقة بالله تعالى . فاستخفت رُوحى
وقالت : « إلى التمام تقدير الله تبارك وتعالى » . ثم شكت مغساً

(١) طلق المرأة (بالبناء للجهول) : إذا أدركها المخاض ووجع

الولادة

(٢) القابلة : هي التي تتلقى الولد من بطن أمه ، (المولدة)

(٣) الممخوضة : هي الماخض ، وهي المرأة إذا ضربها الطلق ووجع

الولادة

(٤) أقربب الحامل وهي مقرب : إذا دنا ولادها

تجده المُقَرَّب^(١) ، فأدخلتُ يدي في ثيابها ومسحت جوفها ،
وعججتُ إلى الله تعالى في سري بتوفيقى ، وكنتُ أدعو - ومن
حضر من أهلها يتروهم أنى أرقى - فسكن ما وجدته وتبركتُ بي .
ودخل إليها نهارويه وقال : « ما وجدتي ، فقالت : « مغساً في
جوفى ، فوضعت قابلة أردتها يدها عليه ، فزال ما أجده ! » ،
وأخرجتنى إليه - وكان قريباً من حرمة - ، فقال لى : « أرجو
أن يُخلصها الله عز وجل ببركتك »

قالت أم آسية : « ودخلنا في العشر الاواخر من شهر رمضان ،
وقد تمسكتُ من الإخلاص لله عز وجل بما لا يصل إليه من
ساح في الجبال ، خوفاً من شماتة أختى بى . فلم تمض إلا ثلاثة
أيام حتى مخضت ، فأجلستها على كرسي الولادة - وكان مقدار
طليها ساعتين - ، فولدت ابناً أسهل ولادة ، وأبو الجيش يقوم
ويقعد ، ويذهب ويحجى . فلما ولدت - وكانت تتوقع من الولادة
امراً عظيماً - فلما ألقته قالت لى : « هذا الطلق ؟ » ، قلت : « نعم ! »
فقبلت - يعلم الله - عيني من الفرح . وصاح نهارويه : « أخبرنى
يا مباركة بخبرها » ، فقلت : « وحياة الأمير إنها فى عافية ، وقد
ولدت غلاماً سوى الخلق بحمد الله . فوجه إلى ألف دينار ،
والح أبو الجيش فى النظر إليها لفرط إشفاقه عليها ، فاستوقفته
إلى أن نقلت حوائج الولادة وقلت لها : « ياسيدتى ! أضحكى فى

(١) المغس والمغص : تقطيع يأخذ فى أسفل البطن والمعى

وَجْهَهُ كَمَا تَرِيهِ ^(١) ، . فلما دخل إليها ضحككت في وجهه ، فتقدم
بصدقة بمال كثير عنها وعن ولده ،

وقالت لى أم آسية : « لما كان يوم الأسبوع - ووقع قبل العيد
يوم واحد - ، أمرت لى بخمس مائة دينار ، وحصل من أتباعها ألف
دينار ، فحصل لى ألفان وخمس مائة دينار . وخلعت على وسائر حشمها
أكثر من ثلاثين خلعاً ، وحمل إلى مما أعد للعيد ثلاث موائد
خاصة . وانصرفت إلى منزلى ، فأرسلت إلى أختى مائدة ، ووافقتى
مهنئة ، وقد تقاصرطوها ، فأريتها ما حصل لى من المال والخلع
والطيب ، وقلت لها : « يا أختى ! أنكرت على قولى : « أقرضينى »
ومن هذا كنت أفضيك ، فلا تستصغرى من كان الله مادته ،
وعليه مدار ثقته وتعويضه »

واكتسبت هذه المرأة بمحلها من أبى الجيش مالا كثيراً ،
وقضت لجماعة من وجوه البلد حوائج خطيرة

٧١ - وحدثني شجاع بن أسلم الحاسب ، قال : قلت لسند
ابن على : « من كان سيبك إلى المأمون ، حتى اتصلت به ، وكنت
[فى جلسائه] من العلماء ؟ » . فقال : « أحدثك به :

سند بن على
والجسطى

« كان والدى يتكسب بصناعة أحكام النجوم مع قوم من
أسباب السلطان يودونه ويحبونه . وتعلق قلبى بعد فراغى من
(١) كما تریه : تريد ، حين تریه ، وقد مضى مثل ذلك فى ص (١٠)

قراءة كتاب أفليدس بكتاب الميجسطى^(١). وكان - في أيام المأمون بسوق الوراقين - رجلٌ يُعرف بمروفي ، يُورق هذا الكتاب ويبيعه^(٢) - بعد تكامل خطه وأشكاله وتجليده - بعشرين ديناراً فسألت والدي أبتياعه لي ، فقال : « أنظرني يا بني إلى أن يتهيأ لي شيء آخذه^(٣) ، إما من رزق وإما من فضل ، وأبتأعه لك

وكان لي أخٌ لا يشتهي مما [تقدمت] أنا فيه من العلم شيئاً ؛ إلا أنه كان يخدم أبي في حوائجه والإشفاق عليه . فلما سوفى أبي بالكتاب وطالت المدة فيه ، ركبتُ معه لأمسك دابته في دخوله إلى من يدخل إليه ، ولي إذ ذاك سبع عشرة سنة . فخرج إلى غلمان من كان عنده فقالوا : « انصرف ، فقد أقام أبوك عند مولانا » . فمضيت بالدابّة فبعثتها بسرّجها ولجامها بأقلّ من ثلاثين ديناراً ، ومضيت إلى معروف فاشتريتُ الكتاب بعشرين ديناراً

وكان لي بيتٌ أخلو فيه ، وجئتُ إلى أمي فقلت لها : « قد جنيتُ عليكم جنايةً » ، واقتصصتُ عليها القصة^(٤) ، وحلفتُ لها : إن شحذت أبي عليّ حتّى يمنعني من النظر في الكتاب^(٥) لا أخرجنّ

(١) هذان الكتابان من أشهر كتب يونان المترجمة إلى العربية ، الأول في

أصول الهندسة ، والآخر في الهيئة

(٢) ورّق الكتاب : نسخه وأعدّه كاملاً للبيع

(٣) أنظره : أخره وأجله

(٤) اقتص الشيء : حكاه متتابعاً

(٥) شحذه عليه : حرصه عليه وأغضبه

عنهم إلى أبعد غاية ، ورَدَدَتْ عليها فَضْلَ ثَمَنِ الدَّابَّةِ ، وقلت لها : « أنا أُغلق بابَ هذا المنزلِ الذى لى ، وأرضى منكم برغيفٍ يُلقَى إلىَّ كما يُلقَى إلى المحبوسِ ، إلى أن أقرأه جميعه . فتَضَمَّنْتَ لى بتسكين قَوْرَتِهِ ، ودخلتُ البيتُ وأغلقتُهُ من عندى . ففضى أخى إلى والدى فى الموضع الذى كان فيه ، فأسرَّ إليه الخبر ، فتغير وجهه ، وتلجأَجَ فى حديثه ، فقال له مَنْ كان عنده : « قد شَغَلَتْ قَلْبِي وَقَلْبَ مَنْ حَضَرَ بِمَا ظَهَرَ مِنْكَ ، فبحقِّ عليك إلا أخبرتنا لم ذا ؟ » ، قال فخرته : فقال : « هذا والله يَسْرَتَنَا فى ولدك ؛ فاتَّعَدُ فيه بكل جميل ^(١) » ، ثم استحضر من إسْطَبَلِهِ بَغْلًا أفره من بغلِ أبى ^(٢) ، وسرَّجاً خيراً من سرَّجه ، وقال لأبى : « اركبْ هذا البغل ، ولا تكلم ابْنَكَ بحرفٍ » قال سَنَدٌ : « وأقيمت ثلاث سنين كيوم واحد ، لا يرى لى أبى صورةَ وجهه ، وأنا مُجِدِّدٌ حتى استكملتُ كتابَ المجسطى . ثم خرجتُ وقد عمِلتُ أشكالا مُسْتَضْعِبَاتٍ ووضعتها فى كُمِّى . وسألت : « هل للمهندسين والحسابِ موضعٌ يجتمعون فيه » ؛ فقل لى : « لهم مجلس فى دارِ العباس بن سعيد الجوهري ترَبِّ المأمون ، يجتمع فيه وجوهُ العلماء بالهَيْئَةِ والهندسة » . فحضرتُه ، فرأيت جميع من حضر مشايخ ، ولم يكن فيهم حَدَثٌ غيرى ، لأنى كنت فى العشرين سنة ^(٣)

(١) اتعد : يريد انتظار فيه وعده بكل جميل

(٢) أفره ، من الفراهة : وهى نشاط الدابة وقوتها فهى فاره

(٣) الحدث : الصغير السن

« فقال العباس : « من تكون ؟ وفيمَ أنظرت ؟ » فقلت : « علام يحب صناعة الهندسة والهيئة » ، قال : « ما قرأت ؟ » قلت : « أقليدس والمجسطى » ، قال : « قراءة إحاطة ؟ » قلت : « نعم » . فسألني عن شيء مستصعب في كتاب المجسطى ، كان تفسيره في الأوراق التي كانت في كمي ، فأجبتُه . فعجب وقال « مَنْ أفادك هذا الجواب ؟ » ، قلت : « استخرجته قريحتي ، وما سمعته من غيري ، وهو وغيره فيما مر بي في ورقٍ معي » ، قال : « هاته » . فلما رآه اغتآظ واضطرب ، ثم قال لبعض من بين يديه من غلمانه : « السَّفَط » ^(١) ، فجاء به ، فنظر إلى خاتمه فوجده بحاله ، ثم فضَّه وأخرج منه كُرَّاسَةً فجعل يقابلُ بها الورق الذي كان معي ، فكان الكلامُ فيما معه أحسنَ رصفًا من الكلام الذي معي . والمعنى واحد

« فقال : « هذا شيءٌ تولَّيتُ تبيينَه من كتاب المجسطى ، فلبَّأُ أحضرتنيهِ توهمتُ أنه سُرق مني ، حتى تبيَّنتُ اختلاف اللفظين مع اتفاق المعنى » . ثم أمر أن تُقطع لي أقبية ^(٢) ، وترنادلي مِنطقةٌ ^(٣) مذهبية ^(٤) ، ففرغ من جميع ذلك في تلك الليلة ، ودخل بي إلى المأمون ، وأمرني بملازمته ؛ وأجرى لي أنزالاً ورزقاً ^(٥)

(١) السفط : وعاء تعي فيه الأشياء

(٢) أقبية : جمع قباء ، وهو ثوب تجمع أطرافه من أمام بأزرار

(٣) المنطقة : ما يدور بالبطن كالخزام

(٤) أنزال : جمع نزل ، وهو الرزق

٧٢ - وحدثني أحمد بن أبي يعقوب، قال : حدثني أبي :

« أن جبريل بن بختيشوع كان يخلف الأطباء في دار الرشيد وكانت به نزاهة^١، وبه فاقة شديدة^٢، ورزقه يومئذ ثلاثمائة درهم في كل شهر. فوقع الرشيد في غشية لم يتقدمها علة، فأجمع الأطباء على أنه تالف^٣، وأخبر ابن بختيشوع، فقال : « ماله إلا علاج واحد وهو أن يحجموه^(١) »؛ فقال محمد الأمين : « أخاف أن أخاطربه »؛ ثم قال « قد أيسنا منه، والصواب أن نمتحن هذا فيه ». فأحضروا الحجام فجمع الدم في أخذعيه وهو مستلق^(٢)؛ ثم أخرج من دمه محجمتين، ففتح الرشيد عيذه، واستدعى طعامة، وأكل ونام

فلما آتته آفتص عليه المؤمن ما جرى عليه [أمره، وأذن] للداخلين في تهنئته بالسلامة. فلما آكتملوا قال لهم : « يا معاشر الأمراء والأطباء ! إنما أرتبطتكم لحراسة نفسي^(٣)، وقد حدث عليّ حادث لم يُغن عني فيه بعد الله عز وجل إلا هذا الغلام ! ونصيبي مني نزر، ونصيبيكم وافر، فأعدلوا ميل المماكة بأن يجعل له كل رجل منكم نصيباً من إنعامي عليه وإحساني إليه، حتى يسكون له من جماعتكم ما يوازي ما تقدم عليه به في حسن الدفاع عني،

(١) حجمه : أخذ من دمه وامتنعه

(٢) الأخذعان : عرقان في جانب العنق يؤخذ منهما الدم عند الحجامة

(٣) ارتبطه : اتخذاه واستبقاه

فتسرع الناس إلى جبريل فأعطوه الضياع والدُّور والأموال .
وما بَرَحَ حتى كان أيسر مَنْ في المملكة ، وتربّت النعمة لديه .
وولده حتى وازت نعم الخلفاء

٧٣ - وحدثني عمرو بن محمد بن عمرو بن عثمان ، عن أبيه ، عن عمرو بن عثمان
والرشيد جده ، قال :

« كان لي مجلس في ديوان الإنشاء قليل الجدوى على ، وحالي حال
لا تنهض بما يحتاج إليه المقتصد ، وقد لزمته يمين لا كفارة لها
في ترك النّبيذ . فكان جماعة الكتّاب يجلسون ما جلس الوزير -
وهو يومئذ الفضل بن الربيع - ، فإذا أنصرف إلى منزله ، أنصرفوا
إلى ما عقدوا عليه أمرهم من الاجتماع ، وأقيم وحدي في الديوان
إلى أن يغلق

فبكرت إليه في يوم من الأيام ، وجاءت مطرة تطرب الوزير
فيها إلى الشرب^(١) ، لتشاغل الرشيد في دعوة لزيدة ، فلم يبق في
ديوان الإنشاء غيري . فإني لجالس حتى دخل إلى خادم من خاصة
الرشيد ، فأخذيدي وأدخلني إلى الرشيد . فلما مثلت بين يديه ، « قال اقرأ
هذا الكتاب ! » ، فقرأته ، فبينته وأعربته فقال : « أجب عنه بين يدي » ،
فأجبت عنه بأحسن معان وأجود لفظ . فقال : « اقرأه على » ، فقرأته ،
فقال لمسرور الكبير : « ألف دينار » . فجاء بها ، فقال : « أدفعها

(١) تطرب إلى كذا : طرب

عنهم إلى أبعد غاية ، ورَدَدْتُ عليها فَضْلَ ثَمَنِ الدَّابَّةِ ، وقلت لها :
 « أنا أُغلق بَابَ هذا المنزلِ الذي لى ، وأرضى منكم برغيفٍ يُلْقَى
 إلىَّ كما يُلْقَى إلى المحبوس ، إلى أن أقرأه جميعه » . فتَضَمَّنْتُ لى
 بتسكين قُورَتِهِ ، ودخلتُ البيتُ وأغلقته من عندى . فمضى أخى
 إلى والدى فى الموضع الذى كان فيه ، فأسرَّ إليه الخبر ، فتغير وجهه ،
 وتلجأجَ فى حديثه ، فقال له مَنْ كان عنده : « قد شَغَلَتْ قَلْبِي وقلبَ
 مَنْ حَضَرَ بما ظهر منك ، فبحقِّ عليك إلا أخبرتنا لم ذا ؟ » ، قال
 فخرته ، فقال : « هذا والله يَسْرَتنا فى ولدك ؛ فاتَّعَدُ فيه بكل جميل ^(١) » ،
 ثم استحضر من اسْطَبَلَه بَغْلاً أفره من بغلِ أبى ^(٢) ، وسَرَّجاً خيراً من
 سَرَّجِه ، وقال لأبى : « اركبْ هذا البغلَ ، ولا تكلمْ ابْنَكَ بحرفٍ »
 قال سَنَدٌ : « وأقيمت ثلاث سنين كيوم واحد ، لا يرى لى أبى
 صورة وجهه ، وأنا مُجِدُّ حتى استكملتُ كتابَ المجسطى . ثم
 خرجتُ وقد عَمِلْتُ أشكالا مُسْتَصْعِبَاتٍ ووضعتها فى كُمِّى .
 وسألت : « هل للمهندسين والحسابِ موضعٌ يجتمعون فيه » ؛
 فقبل لى : « لهم مجلس فى دارِ العباس بن سعيد الجوهري تَرْبِ
 المأمون ، يجتمع فيه وجوهُ العلماء بالهَيْئَةِ والهندسة » . فحضرته ،
 فرأيت جميع من حضر مشايخ ، ولم يكن فيهم حَدَثٌ غيرى ،
 لأنى كنت فى العشرين سنة ^(٣)

(١) اتعد : يريد انتظار فيه وعده بكل جميل

(٢) أفره ، من الفراهة : وهى نشاط الدابة وقوتها انتهى فاره

(٣) الحدث : الصغير السن

« فقال العباس : « من تكون ؟ وفيمَ أنظرت ؟ ، فقلت : « علام يحب صناعة الهندسة والهيئة » ، قال : « ما قرأت ؟ » ، قلت : « أقليدس والمجسطى » ، قال : « قراءة إحاطة ؟ » ، قلت : « نعم » . فسألني عن شيء مستصعب في كتاب المجسطى ، كان تفسيره في الأوراق التي كانت في كمي ، فأجبتُه . فعجب وقال « مَنْ أفادك هذا الجواب ؟ » ، قلت : « استخرجته قريحتي ، وما سمعته من غيري ، وهو وغيره فيما مر بي في ورقٍ معي » ، قال : « هاته » . فلما رآه اغتآظ واضطرب ، ثم قال لبعض من بين يديه من غلمانه : « السَّفَطُ » ^(١) ، فجاء به ، فنظر إلى خاتمه فوجده بحاله ، ثم فضَّه وأخرج منه كُرَّاسَةً فجعل يقابلُ بها الورق الذي كان معي ، فكان الكلامُ فيما معه أحسنَ رُصْفًا من الكلام الذي معي . والمعنى واحد

« فقال : « هذا شيءٌ تولَّيتُ تبيينَه من كتاب المجسطى ، فلما أحضرته فيه توهمتُ أنه سُرق مني ، حتى تبيَّنتُ اختلاف اللفظين مع اتفاق المعنى » . ثم أمر أن تُقطع لي أقبية ^(٢) ، وترنادلي مِنطقة ^(٣) مُذهَّبة ^(٤) ، ففرغ من جميع ذلك في تلك الليلة ، ودخل بي إلى المأمون ، وأمرني بملازمته ؛ وأجرى لي أنزالاً ورزقاً ^(٥)

(١) السَّفَط : وعاء تعي فيه الأشياء

(٢) أقبية : جمع قباء ، وهو ثوب تجمع أطرافه من أمام بأزرار

(٣) المنطقة : ما يدور بالبطن كالخزام

(٤) أنزال : جمع نزل ، وهو الرزق

٧٣ - وحدثني أحمد بن أبي يعقوب، قال : حدثني أبي :

« أن جبريل بن بختيشوع كان يخاف الأطباء في دار الرشيد وكانت به نزاهة ، وبه فاقة شديدة ، ورزقه يومئذ ثلاثمائة درهم في كل شهر . فوقع الرشيد في غشية لم يتقدمها علة ، فأجمع الأطباء على أنه تالف ، وأخبر ابن بختيشوع ، فقال : « ماله إلا علاج واحد وهو أن يحجموه »^(١) ؛ فقال محمد الأمين : « أخاف أن أخاطربه » ؛ ثم قال « قد أيسنا منه ، والصواب أن نمتحن هذا فيه » . فأحضروا الحجام فجمع الدم في أخدعيه وهو مستلق^(٢) ؛ ثم أخرج من دمه محجمتين ، ففتح الرشيد عيذه ، واستدعى طعامة ، وأكل ونام

فلما آتبه آقتص عليه المأمون ما جرى عليه [أمره ، وأذن] للداخلين في تهنئته بالسلامة . فلما آكتملوا قال لهم : « يامعاشر الأمراء والأطباء ! إنما أرتبطتكم لحراسة نفسي »^(٣) ، وقد حدث على حادث لم يُغن عني فيه بعد الله عز وجل إلا هذا الغلام ! ونصيئته مني نزر ، ونصييكم وافر ، فاعدلوا ميل المماكة بأن يجعل له كل رجل منكم نصيباً من إنعامي عليه وإحساني إليه ، حتى يكون له من جماعتكم ما يوازي ما تقدم عليه به في حسن الدفاع عني ،

(١) حجمه : أخذ من دمه وامتصه

(٢) الأخدعان : عرقان في جانب العنق يؤخذ منهما الدم عند الحجامه

(٣) ارتبطه : اتخذته واستبقاه

فتسرع الناس إلى جبريل فأعطوه الضياع والدُّور والأموال .
وما أبرح حتى كان أيسر مَنْ في المملكة ، وتربّت النعمة لديه .
وولده حتى وازت نعم الخلفاء

٧٣ - وحدثني عمرو بن محمد بن عمرو بن عثمان ، عن أبيه ، عن عمرو بن عثمان
والرشيد جدّه ، قال :

« كان لي مجلس في ديوان الإنشاء قليل الجدوى عليّ ، وحالي حالٌ
لا تنمض بما يحتاج إليه المُقتصد ، وقد لزمته يمينٌ لا كفارة لها
في ترك النّبيذ . فكان جماعة الكتّاب يجلسون ماجلاس الوزير -
وهو يومئذ الفضل بن الربيع - ، فإذا أنصرف إلى منزله ، أنصرفوا
إلى ما عقدوا عليه أمرهم من الاجتماع ، وأقيم وحدي في الديوان
إلى أن يُغلقَ

فبكرت إليه في يوم من الأيام ، وجاءت مطرة تطرب الوزير
فيها إلى الشرب^(١) ، لتشاغل الرشيد في دعوة لزينة ، فلم يبق في
ديوان الإنشاء غيري . فإني لجالس حتى دخل إلى خادم من خاصّة
الرشيد ، فأخذيدي وأدخلني إلى الرشيد . فلما مثلت بين يديه ، « قال اقرأ
هذا الكتاب ا » ، فقرأته ، فبينته وأعربته فقال : « أجب عنه بين يدي » ،
فأجبت عنه بأحسن معانٍ وأجود لفظ . فقال : « اقرأه علي » ، فقرأته ،
فقال لمسرور الكبير : « ألف دينار » . فجاء بها ، فقال : « أدفعها

(١) تطرب إلى كذا : طرب

إليه ، وُقِلَ للفضلِ يَصْرِفُ إليه ديوان الإنشاء ^(١) . فهو أحقُّ به
مَنْ غادره . ثم قال لي : « خذ هذا المال ، وسأُنظر لك في الوقتِ
بعد الوقت ما يزيدُ في اصطناعِي لك ، فلا يُفسد الغنى ما أصالحته
الفاقة من حُسْن ملازمتك ، واستزْدني أزدك »

قال عمرو : « فاجتهد الفضلُ بن الربيع أن يُشركَ بيني وبينه
من كان يتولَّى الإنشاء ، فلم يُطلق له الرشيد ذلك وأفردني به ^(٢) ،
حتى فرقت الأيام بيئنا »

خاتمة

كلمات للفلاسفة
والحكما.

قال أبو جعفر قال بزرجمهر : « الشدائدُ قبل المواهب ، تشبه
الجوع قبل الطعام : يحسن به موقعه ، ويلدَّ معه تناوُلُه »
وقال أفلاطون : « الشدائدُ تُصلِّح من النفس بمقدار ما تُفسد
من العيش ، والتترفُ يُفسد من النفس بمقدار ما يُصلح من
العيش ^(٣) »

وقال : « حانظ على كل صديق أهدته إليك الشدائد ، وآله
عن كل صديق أهدته إليك النعمة ،
وقال أيضاً : « الترفُّ كالليل : لا تتأمل فيه ما تُصدِّره أو تتناولُه »

(١) صرف إليه كذا : ولاه إياه

(٢) أطلق له : أذن له

(٣) التترف : الترف والترفيه في العيش

والشدة كالنهار: ترى فيها سعيك وسعي غيرك،

وقال أردشير: « الشدة كُحْلٌ تَرَى به ما لا تراه بالنعمة »

خاتمة المؤلف
لهذا الباب

وَملاك مصلحة الامر في الشدة شيئان : أصغرهما قُوَّةُ قلب
صاحِبِها على ما يُنوبه ، وأَعْظَمُهما حُسْنُ تفويضه إلى مالِكِه ورازِقِه
وَإِذا صَمَدَ الرَّجُلِ بِفِكرِه نحو خالِقِه ^(١) ، عَلم أَنه لم يَمْتَحِنُه
إِلا بما يُوجِبُ له مَثُوبَةٌ ، أو يُمَحِّصُ عنه كَبِيرَةٌ ^(٢) ، وهو مع هذا
من الله في أرباحٍ متصلةٍ ، وفوائد متتابعة

فأما إِذا اشتدَّ فِكرُه تَلَقَّاءَ الخَلِيقَةِ ، كَثُرَتْ رِذائِلُه ، وَزادَ تَصَنُّعُه ،
وَبَرِمَ بِمَقَامِه فيما قَصُرَ عن تَأَمُّلِه ، واستطال من المَحَنِ ما عسى أَن
يَنْقُضِي في يومِه ، وخاف من المَكْرُوه العَلَّةُ أَن يُخْطِئَه

وإِنما تصدُقُ المَناجاةُ بينَ الرَّجُلِ وبينَ رَبِّه لَعَلَّه بما في السرائِرِ ،
وتأَيِّدُه البَصائرُ . وهى بينَ الرَّجُلِ وبينَ أَشْباهِه كَثيرةٌ الاذِيَّةُ ، خارجة
عن المصلحة

ولله تعالى رَوْحٌ يَأْتِي عِندَ اليَأْسِ مِنْهُ يُصِيبُ به مَنْ يَشَاءُ مِنْ
خَلْقِه ^(٣) ، وإِليه الرَّغْبَةُ في تَقَرُّبِ الْفَرَجِ وتَسْمِيلِ الامرِ ، والرجوع

(١) صمد إلى كذا : قصد وتوجه ومضى إليه

(٢) محص عنه الذنب : نقصه وأسقطه عنه

(٣) الروح : رحمة الله ، فإن الراحة كلها معها

إلى أفضل ما تطاول إليه السُّؤل ؛ وهو حسبي ونعم الوكيل

تمَّ الكتاب

والحمد لله وحده وصلاؤه على سيدنا محمد النبي وعلى آله
وعترته الطاهرين وسلامه

فهرس الأعلام

أحمد بن ألى يعقوب بن واضح : ٦٦٠ و ٦١٩ و ٤٥٠

١٤٤ و ١١٩ و ٨٣ و

أحمد بن يوسف (كاتب أحمد بن وصيف)

٥٢

أحمد بن يوسف بن إبراهيم أبو جعفر (مؤلف

الكتاب) : ١ و ٦ و ٢٥ و ٢٨ و ٥٢ و ٥٦

و ١٣٥ و ١٣٦ و ١٤٦

أخو أحمد بن يوسف (مؤلف الكتاب) : ٥٦

أحمد بن يوسف بن جعفر بن سليمان

الهاشمى : ٦٨

ابن الأرقط : ٥٦

أردشير : ١٤٧

إسحق بن إبراهيم (عم المؤلف) : ١١

إسحق بن إبراهيم بن نعيم : ١٣ و ٢٠ و ٢٣

إسحق بن نعيم (إسحق بن إبراهيم)

إسحق بن عيسى بن على بن عبد الله بن

عباس : ١٥

إسحق بن نصير العبادى : ١٦ و ١٧ و ١٣٦

إسماعيل بن أسباط : ١٢

الأعشى : ١١٥

أفلاطون : ٤٨ و ٤٩ و ٦٧ و ١٤٦

اليون (ملك الروم) : ٩٧ و ٩٩

الامين : ٤٧ و ٩٧

بنى أمية : ٨٢

أبو أيوب : ٨٨ و ١٠١

ب

ابن بختيشوع : (جبريل)

بذل (جارية) : ٦٤

البرامكة : ٤٥

البرجان : ٩٧

ابن بروخ : ٤٨ و ٤٩

بزرجمهر : ١٤٦

بشر المريسى : ٦٤

بطرس : ٩٦ و ٩٨

١

أم آسية (قابلة أولاد بخارويه) : ١٣٧ - ١٤٧

إبراهيم الامام : ٩٦

إبراهيم بن الأعجمى المهندس : ١٢٩

إبراهيم بن المهدي : ١٥ و ١٦ و ٦٢ و ٩٥ و ٩٧

و ١٢٨ و ١٢٦

ابن الأبرد : ١٠٢

أحمد بن أسباط : ١٣

أحمد بن أمين : ٥٨ و ٦١ و ١١٠ و ١١٤

أحمد بن بسطام : (أحمد بن محمد بن بسطام)

أحمد بن خالد الأحول : ٤٦

أحمد بن خالد الصريفي : ٦٥

أحمد بن دعيم : ٧

أحمد بن سقلاب : ٥٢

أحمد بن سهل بن شنيف : ١٣٤

أحمد بن صالح : ٥٢

أحمد بن طغان : ٤٠

أحمد بن طولون : ٩٧ و ١٠١ و ١٢ و ١٨ و ١٩ و ٢٨

و ٢٩ و ٣٦ و ٣٧ و ٥٦ و ٥٨

و ٧٤ و ٧٥ و ٨٥ و ٩٠ و ١٢٠

أحمد بن على (أبو الطيب) : ٣١

أحمد بن أبى عمران الفقيه : ٦٤ و ١١٤

أحمد بن كثير الفرغانى : ١٣٠

أحمد بن محمد : (ابن أبى عصمة)

أحمد بن محمد بن بسطام (أبو العباس) :

١٣٦ - ١٣٤ و ١١٦ و ٣١

أحمد بن محمد بن مدبر : ٨٥ - ٩١ و ١٢٦ و ١٢٨

أحمد بن مدبر (أحمد بن محمد)

أحمد بن موسى بن شاعر المنجم : ١٢٩

و ١٣٠ و ١٣٢

أحمد بن وصيف : ٥٢

أحمد بن وليد : ١٦ و ١٨

ت

الترك : ٢٧

ث

ثابت : (أبو الجيش)

ثعلب : ١٧ و ١٦

ابن الثلجى : ٦٤

ج

جبريل بن بختيشوع : ١٤٤ و ١٤٥

ابن الجصاص : ٥٢

جعفر بن أبي جعفر المنصور : ١١٩

جعفر بن سليمان بن علي الهاشمي : ٦٨

أبو الجيش (خارويه)

أبو الجيش ثابت : ١١٦ و ١١٧

جيش بن خارويه : ١٢٠ و ١٢١

ح

الحبشة : ١٠١

أبو حبيب المقرئ : ٣٨

ابن حبش : ١٣٥

حرقه بنت النعمان بن المنذر : ٨٠

الحسن بن مخلد : ٨٩

الحسن بن مسلم الأفریطشى : ١٣٢ و ١٣٤

حسن بن مهاجر : ٥٧ و ٥٨

الحسين بن أحمد الماذرائي : ١٣٤

الحسين بن شعرة : ٨٦ و ٨٧

خ

خالد الأموى : ٣

خالد بن سهم : ٨٤

خالد بن عبد الله القسرى : ٤٣ و ٤٤

الخليج (أبو طالب) : ١٠

ابن الخليج : ٢١ و ١٣٤ و ١٣٥

خارويه بن أحمد بن طولون : ٩١ و ٩٢

و ١٠٢ و ١٠٤ و ١٢٠ و ١٣٧ و ١٤٠

الخوارج : ٧٧

الخيزران أم الرشيد : ٩٥ و ٩٦

د

داود بن محمد بن أبي الساج : ٩٢

الدقاني : ١٠٤

دميانة : ٢٥ و ٢٦

الديدان (علي المتطبب) : ٤٨

ديوانيان خالد القسرى : ٣

ر

الربيع بن يونس الحاجب : ٦٦

ربيعة بن أحمد بن طولون : ١٣٠

رسول الله صلى الله عليه وسلم : ٥٦

الرشيد : ١٦ و ٤٥ و ٤٧ و ٦١ و ٦٤ و ٩٥ و ٩٧ و ١١٦

و ١٢٤ و ١٤٤ و ١٤٥

الروم : ٨٥ و ١٣٢

ز

زبيدة : ١٤٥

الوزير بن بكار : ٨١

ابن الزوق : ١٨

زينب بنت سليمان بن علي الهاشمي : ٩٥ و ٩٦

س

ابن أبي الساج : (محمد ...)

أبو السرايا : ٩٧

سعد الفرغاني : ٨٩

سعيد بن عبد الله بن الحكم : ١٠٣

سليمان بن ثابت : ٧٤

السندی بن شاهك : ١٣٠

سند بن علي : ١٣٠ و ١٣١ و ١٤٠

سهل بن شبيب : ٩٠ و ١٣٤ و ١٣٥

سوار (أبو عبد الرحمن العمري) : ٧

سوار بن أبي شراة (أبو الفياض) : ٥١

سيف بن ذى يزن : ٩٩ - ١٠١

ش

شجاع بن أسلم الحاسب : ٢٨ و ١٣٠ و ١٤٠

شعبة : ١٨

علي بن الحسين القاضي (أبو عبيد) : ٧٦

علي بن سند : ١١٦

ابنا عمر الأخباري : ١٠٩

عمر بن فرج الرخجي : ٢٦

عمر بن يزيد البرقي : ٧٧

عمرو بن الفاص : ١٠٣

عمرو بن عثمان الكاتب : ١٤٦ و ١٤٥

عمرو بن محمد بن عمرو بن عثمان الكاتب : ٩٤٥

العمري : (أبو عبد الرحمن ...)

عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس : ١٥

ف

الفرس : ٩٩ و ٦٨

الفرغاني (أبو محمد عبد الله) راوي

الكتاب : ١

الفضل (أبو يحيى) : ١٢٤

الفضل بن الربيع : ١٤٦ و ١٤٥

الفضل بن سهل : ٤٨ و ٤٧ و ٤٥

الفضل بن يحيى بن برمك : ١٢٤

فهم : ٣٨ و ٣٧

أبو الفياض : (سوار بن أبي شراة)

فيروز : ٦٨ - ٧٢

ق

القاسم بن شعبة : ١٨ - ٢٠

القاسم بن عبيد الله بن وهب : ١١٧ و ١١٦

القبط : ١٠٣

ابن قرا : ١١٨

ك

كسرى : ٩٩ و ٨٣

كسرى (أبرويز) : ٧٨

الكنتدي : ١٣١ و ١٣٠

م

المأمون : ١٤٤ و ١٤٣ - ١٤٠ و ٩٧ و ٤٧ و ٤٥ و ٢٤

ماجور : ٨٨ - ٩٠

ماشاء الله بن مرزوق : ٦٥

المبرد : ١٧ و ١٦

المتوكل : ٤٢ و ٤٣ و ٧٢ و ١٣٠ - ١٣٢

شقيير الخادم : ٧٤

شيبان بن أحمد بن طولون : ١٢٠

الشير : ١٢

ص

صاعد : ٣٣ و ٣١

ط

الطائي : ٣٣ و ٣٢

طابو طالب (الخليج)

طاهر بن الحسين : ٤٧

طابن طباطبا (محمد بن إسماعيل) : ٩٢

ابن طغان : (أحمد ...)

ع

بنو العباس : ٨٢

أبو العباس (السفاح) : ٨٢

العباس بن خالد البرمكي : ١١٣ و ١١٠

العباس بن سعيد الجوهري : ١٤٣ و ١٤٢

أبو العباس الطرسوسي : ٨٧ و ١٩

عباس بن وليد : ١١٧

أبو عبد الرحمن العمري : ٧٦ و ٧٥ و ٩٧ و ٧

عبد العزيز بن خالد الأموي : ٣

عبد الله الفرغاني (راوي الكتاب) : ١

عبد الله بن القاسم الغنوي : ١١٥

عبد الله بن المقفع : ٩٩ و ٦٨

عبيد الله بن وهب : ١١٦

أبو عبيد الله (كاتب المهدي) : ١١٥

العجم : ٨٣

عدى بن زيد : ٧٩ و ٧٨

ابن عدى بن زيد : ٨٠ و ٧٩

العرب : ٩٩

ابن أبي عصمة (أحمد بن محمد) : ٤٠

عقبة : ١١٤

العقيق : ٥٦

علان بن المغيرة : ٥٥ و ٥٣

أبو علي : ١٣٦

علي المتطبب : (الديدان)

- محارب بن سلمة (كاتب خالد القسري) : ٣ :
 أم محمد : ٥١ و ٥٠
 محمد بن أبا : ١٠٢
 محمد بن إسماعيل : (ابن طباطبا)
 محمد بن جعفر بن المنصور : ٦٤
 محمد بنت الرشيد : ١٢٧ و ٩٥
 محمد بن أبي الساج : ٩١
 محمد بن سليمان : ٥١ و ٥٠
 محمد بن صالح الغوري : ١١٧
 محمد بن عامر البجلي : ٩٤
 محمد بن عبد الله بن الحكم : ٢٨
 محمد بن عبد الملك الزيات : ٧٧ و ٧٢
 محمد بن علي بن عبد الله بن عباس (أبو
 الخلفاء) : ١٥
 محمد بن عمرو بن عثمان الكاتب : ١٤٥
 محمد بن موسى بن شاكر المنجم : ١٣٢ - ١٢٩
 محمد بن مرثمة : ٧٢
 محمد بن هلال : ٩١ و ٩٠
 محمد بن يزيد : ٣٦
 مروان بن محمد الجعدي (آخر بني أمية) :
 ٩٦ و ٩٥ و ٨٤
 المروزي : ١٢٧ و ١٢٨
 مرية زوج هشام بن عبد الملك : ٩٦ و ٩٥
 مزاحم بن خاقان أبو الفوارس : ١٢٧
 مسافر : ٣٧ و ٣٦
 مسرور الكبير : ٦٢ و ٦٤ و ١٤٥
 أبو مسلم الخراساني : ٨٤ و ٨٥
 مسلم بن حقة : ١١٤
 مسلمة بن عبد الملك : ١٥ و ١٦
 مصقلة الحمصي : ٨٢
 مصقلة بن حبيب : ١١٩
 أبو مصلح (موسى بن مصلح) : ٥٧ و ٥٩
 مضر بن أحمد بن طولون : ١٢٠
 المعتصم : ١٣٦
 معروف الوراق : ١٤١
 معن بن زائدة : ١١٩ و ٦١
 المنتصر : ٤٣ و ٤٢ و ٢٦
 المنصور : ١١٩ و ٩٥ و ٨٤ و ٦٦
 منصور بن إسماعيل الفقيه : ١٢١
 المهدي : ٦١ و ٦٢ و ١٥ و ١١٩
 موسى بن طونيق : ١٠٥
 موسى بن مصلح : (أبو مصلح)
 الموفق : ٣٣ و ٣١
 ميخائيل البطريق : ٩٧ - ٩٩
 ميمونة (مولاة أم محمد بنت الرشيد) : ١٢٧
- ناشي : ٥١
 نافع بن مصقلة : ٨٢
 نجاح بن سلمة : ٣٤ و ٣٣
 نسيم (خادم ابن طولون) : ٧٥ و ٧٤
 نصر بن القاسم : ١٠٢
 نعمت (مولاة ابن طولون) : ٨٨
 النعمان بن المنذر : ٨٠ و ٧٩
 نقفور (ملك الروم) : ٩٧
- ه
 الهادي : ٦١ - ٦٣ و ١١٥
 هارون بن خنارويه : ١٢١
 هارون بن ملول : ٥ - ٧ و ٢٠ و ٤٢ و ٤٤ و ١٠١
 هاشم : ٩٥
 هرثمة بن أعين : ٦٢ و ٦١
 هشام بن عبد الملك : ١٥ و ١٦ و ٦٦ و ٩٥
 الهياطة : ٦٨ - ٧١
 الهيثم بن ددي : ٧٨
- و
 الواثق : ٧٣ و ٧٢
 الواسطي (أبو عبد الله) : ١٢ و ١٤
 واضح (مولى المنصور) : ٦٦ و ٨٤ و ١١٩
 أبو الوزير : ٨٨ و ١٠١
- ي
 ياسين بن زارة : ٤٤ و ٤٢
 بنت اليتيم (امرأة خنارويه) : ١٣٨

أبو يعقوب بن واضح : ١٤٤ و ١١٩ و ٨٣ و ٤٥	يحيى بن خالد بن برمك : ٤٨ و ٤٦ و ٤٥
أبو يوسف القاضي : ٦٢ - ١١٤ و ٦٤	يحيى بن الفضل : ١٢٤ و ٢٦ و ٣
يوسف بن إبراهيم (والد المؤلف) : ١٥	يحيى بن نجه : ٢٦
و ٢٨ و ٢٩ و ٥٦ و ٥٧ و ٦٢ و ٩٥ و ٩٦ و ١٢٦	يزيد بن معاوية : ٨١
و ١٣٥ و ١٣٦	ابن يعفر : ٩٤ و ٩٣
يوسف بن عمر : ٣	يعقوب : (أبو يوسف القاضي)
	يعقوب بن إسحق بن تميم : ٣٣

فهرس الأماكن

الرملة : ٩٠

س

سر من رأى : ١٢٧

سمسطا : ٣٧

ش

الشام : ٤٣ و ٣٠

الشرقية : ١٠٤٠

ص

الصعيد الأوسط : ١١٧ و ٧

ظ

طرسوس : ٤٩

طوس : ٤٧

ع

العراق : ١٣٥ و ٩٣ و ٨٢ و ٨٠ و ٥١ و ٣

غ

الغور : ٨٦

ف

فارس : ٦٨

القساط : ٢١ و ٢٤ و ٣٠ و ٤٢ و ٤٣ و ٤٥ و ١٠٣

١١٧ و ١١٨

ق

قصر الجيزة : ٢٣ و ٢٢

قصر وضاح : ١٧ و ١٦

ك

الكوفة : ١١٤ و ١١٥

م

المحرقة : ٣٧

ا

الأبلة : ٥٨

الاسكندرية : ٢١

أقريطش : ١٣٢

أمناس : ٣٧ و ٣٦ و ٢١

ب

بغاري : ٢٧

البصرة : ٥٩ و ٥٨

بغداد : ١٦ و ١٧ و ٣٣ و ٤٢ و ٥١ و ٩٠ و ١١٤ و ١١٥

١٢٨ (مدينة السلام)

البنسا : ٣٧

بوصير الأشمونين : ٨٥

ت

تنيس : ٣١ و ٣٠

ج

الجعفرى (نهر) : ١٣٠

ح

حديثة الموصل : ١٦

حران : ٩٥

الحرة : ٨١

حصن مسلمة : ١٦

حصن : ٨٢

خ

خراسان : ٤٧ و ٣٧

د

دجلة : ١٣٢ و ١٢١

دمشق : ٨١ و ٩٠ و ١٢٠

ر

رصافة هشام : ١٥

هـ

الهند : ١٢٢

و

واسط : ٧٧ و ٣١

ى

الين : ٩٣

المحلة : ٣٠

المدينة : ٨١

مدينة السلام : ٣٢ و ١١٠ و ١١٢ و ١٣٠

(بغداد)

مصر : ٥٠ و ١٧ و ١٨ و ٢٨ و ٢٩ و ٤٢ و ٥٠ و ٨٥

و ٨٨ و ٩٣ و ١٠٣ و ١٢٠ و ١٢٦ و ١٣٠ و ١٣٥

المغرب : ٣ و ٥٥ و ٦١

مكة : ٣٨ و ٣٩

فهرس الكتاب

صفحة

ترجمة المؤلف ، للأستاذ محمود محمد شاكر

مقدمة المؤلف

رقم

١ — المكافاة على الحسن

- | | |
|----|---|
| ٣ | ١ — حديث خالد القسرى وديوانياته |
| ٥ | ٢ — ماشاء الله بن مرزوق ومتضمن |
| ٧ | ٣ — أحمد بن دعيم وأعرابيان |
| ٩ | ٤ — موسى بن مصلح ومحبوس |
| ١١ | ٥ — إسماعيل بن أسباط والخناق |
| | ٦ — مسالبة بن عبد الملك ومحمد بن علي جد الخلفاء |
| ١٥ | العباسيين |
| ١٦ | ٧ — إسحاق بن نصير العبادي ووراق |
| ١٨ | ٨ — ابن الزنق النخاس والقاسم بن شعبة |
| ٢٠ | ٩ — هارون بن ملول وإسحاق بن تميم |
| ٢١ | ١٠ — المؤلف وأعراب من القيسية |
| ٢٤ | ١١ — المؤلف وعباسي من ولد المأمون |
| ٢٦ | ١٢ — يحيى بن نجه وعمر بن فرج الرخجي |

رقم	صفحة
١٣	— حديث يوسف بن إبراهيم والد المؤلف ومصطنعيه ٢٨
١٤	— المؤلف وبعض التجار ٢٩
١٥	— أحمد بن بسطام وصاعد ٣١
١٦	— نجاح بن مسلمة وإسحاق بن تميم ٣٣
١٧	— محمد بن يزيد ومسافر «أحد المتخصصين» ٣٦
١٨	— أبي حبيب المقرئ وراعى غنم ٣٨
١٩	— أحمد بن أبي عصمة الكاتب وأحمد بن طغان ٤٠
٢٠	— نصراني (من أرياف مصر) ومستتر ٤٢
٢١	— يحيى بن خالد البرمكي والفضل بن سهل ٤٥
٢٢	— على المتطبب وبعض ولد أفلاطون ٤٨
٢٣	— المؤلف وأبو علي محمد بن سليمان ٥٠
٢٤	— المؤلف وسوار بن أبي شراة الشاعر ٥١
٢٥	— علان بن المغيرة وبعض الفقهاء ٥٢
٢٦	— يوسف بن إبراهيم ورجل من أشرف الطالبين ٥٦
٢٧	— موسى بن مصلح وجماعة من التجار ٥٧
٢٨	— تاجر وزوجته ٥٨
٢٩	— هرثمة بن أعين والرشيد ٦١
٣٠	— أبي يوسف القاضي والرشيد ٦٢
٣١	— أبي يوسف القاضي وبذل جارية الرشيد ٦٤
٣٢	— المنصور ورجل من عمال هشام بن عبد الملك ٦٦
٦٦	بعض أقوال الفلاسفة في حسن المكافأة
٦٧	خاتمة الباب الأول

٢ — المكافأة على القبيح

٦٨	حديث ملك الهياطلة وفيروز ملك الفرس	٣٣
٧٢	» محمد بن عبد الملك الزيات والمتوكل العباسي	٣٤
٧٤	» ابن سليمان كاتب شقيق الخادم وجلاد	٣٥
٧٥	» أبي عبد الرحمن العمرى وغلمايه	٣٦
٧٦	» عامل متسلط وجماعة من الخوارج	٣٧
٧٧	» أحد عمال الصدقة ومتظلم	٣٨
٧٨	» عدى بن زيد والنعمان بن المنذر	٣٩
	» رجل من أشرف المدينة ورجل من	٤٠
٨١	أولياء الأمويين	
٨٢	» مولى لأبي العباس ورجل من رؤساء الأمويين	٤١
٨٣	» أحد الأكاسرة وولده	٤٢
٨٣	» خالد بن سهم ومروان بن محمد الجعدي	٤٣
٨٥	» أحمد بن طولون وأحمد بن المدبر	٤٤
٩٠	» أحمد بن المدبر ومتقبل	٤٥
٩١	» خمارويه بن طولون ومحمد بن أبي الساج	٤٦
٩٣	» أحد قرابة ابن يعفر وعجوز يمانية	٤٧
٩٥	» الخيزران أم الرشيد وامرأة هشام بن عبد الملك	٤٨
٩٦	» اليون وميخائيل ملكا الروم	٤٩
٩٩	» سيف بن ذي يزن ومتغلب على مملكته	٥٠
١٠١	» كاتب أبي الوزير وجماعة من العمال	٥١

رقم	صفحة
٥٢ -	حديث ابن الأبرد وكاتبه
٥٣ -	د عمرو بن العاص ورعية من القبط
٥٤ -	د الدفاني والحناف
١٠٥	خاتمة الباب الثاني

٣ - حسن العقبي

٥٥ -	حديث ابني عمر الأخباري و غلام يتشطر
٥٦ -	د رجل اختلت حاله وعباس بن خالد البرمكي
٥٧ -	د أبي يوسف القاضي وابن القاسم الغنوي
٥٨ -	د علي بن سند وأبي الجيش ثابت
٥٩ -	د محمد بن صالح الغوري واصل
٦٠ -	د مصقلة بن حبيب ومعن بن زائدة
٦١ -	د جيش بن خمارويه وأعمامه
٦٢ -	د رجل من تجار مصر وأحد ملوك الهند
٦٣ -	د الفضل بن يحيى البرمكي وشامي
٦٤ -	د يوسف بن إبراهيم وأحمد بن المدبر
٦٥ -	د إبراهيم بن العجمي وابن موسى بن شاكر
٦٦ -	د محمد وأحمد ابني موسى بن شاكر وسند بن علي
٦٧ -	د المرابطين بأقريطش وجيش من الروم
٦٨ -	د سهل بن شنيف وأحمد بن بسطام
٦٩ -	د المؤلف وأحمد بن بسطام
٧٠ -	د قابلة أرلاد خمارويه وأختها

رقم	صفحة
٧١ -	حديث سند بن علي وابن سعيد الجوهري ١٤٠
٧٢ -	جبريل بن بختيشوع والرشيدي ١٤٤
٧٣ -	عمرو بن عثمان الكاتب والرشيدي ١٤٥
	بعض أقوال الفلاسفة في حسن العقبي ١٤٦
	خاتمة الباب الثالث ١٤٧
	فهرس الأعلام ١٤٩
	فهرس الأماكن ١٥٤

